الدكتور مصطفى غالب

الإمامة وقائم القيامة

دار ومكتبة الهلال
بيروت

الأُمَّة وقائع القيامة

١٩٨١

العنوان

اللعازارية : شارع الأمير بشير - تلفون : ٢٩٣٩٤٦
الإدارة : شارع عمر بن الخطاب - تلفون : ٢٤٧٠٤٨
المنزل : شارع عمر بن الخطاب - تلفون : ٢٤٩٢٦٩

ص. ب : ١٥٥٠٠٣
بيروت

مقدمة

لا تزال الامامة حتى عصرنا الذي نعيش فيه ، عصر العلم ، والمعرفة ، والتقدم التكنولوجي ، موضع دراسة واهتمام من قبل العلماء والباحثين ، باعتبارها ظاهرة قيادية روحية في المجتمع الاسلامي ، تكونت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وخص بها الامام علي بن أبي طالب (ع) وذريته من بعده ٠

وبعد الفشل الذي مني به المؤيدون للنص على وصاية الامام علي بن أبي طالب ، في الصراع السياسي الذي ذر قرنه بعد غياب الرسول (ص) ، وخاصة بعد تولي أبي بكر الخلافة ، نادوا بأحقية الامام علي بن أبي طالب بتولي الخلافة والامامة، باعتباره أحق الناس بالمحافظة على زمام الدين ، ونظام المسلمين ، والسهر على تنفيذ نصوص الشريعة التي شرعها الباري سبحانه وتعالى ، حتى لا تتعرض الى التبديل ، أو الزيادة والنقصان ، مما يؤدي الى الجور والظلم والعسف ، وامتداد أيدي الظلمة الى المحظورات وظهور الضلالات ، وعموم الخوف وعدم الأمن ٠

وعمد أبو بكر في أول خطبة له الى مطالبة الناس بأن لا يجبروه على الاقتداء برسول الله الذي حفظه الله بالوحي وعصمه عن

الأخطاء والمعاصي ، أما هو فانه ربما سار على الحق ، وربما أخطأ ، فما على الناس الا أن يقوموه ، ويدلوه على الطريق القويم ، ولكن المؤيدين لوصاية الامام علي بن أبي طالب ، ذهبوا الى أن الرسول لا ينطق عن الهوى كونه يتمتع بالعصمة من الله ، وقد مارس القيادة والهداية كغاية في ذاتها ، ثم نص علنا وبصراحة في عدة مناسبات عندما علم بأنه سيودع هذا العالم قريبا ، على ضرورة موالاة الامام علي بن أبي طالب ، لما يتمتع به من أفضلية ، وصفات مناقبية رفيعة ، تخوله ليكون خليفة للمسلمين بعد وفاته ، ولكن الخلافة والقيادة الزمنية ، تبتعد عن الامام علي ثلاث مرات حتى اذا وصلته لم تستقر الأوضاع ، بل دارت رحى حرب أهلية انتهت بمقتل الامام علي ، ثم الطامة الكبرى بتولي الأمويين الخلافة والحكم .

واذا تجاوزنا كل هذه الأحداث باعتبارها مشاكل سياسية هامشية ، وولجنا الى صميم الموضوع الذي نحن بصدده ، وهو الامامة ووجوبها شرعا وعقلا من الله ، وأن الله سبحانه قد فرضها لطفا منه الى علي بن أبي طالب وذريته من بعده حتى قيام الساعة ، وقد أجمع المسلمون بعد وفاة النبي (ص) على ضرورة نصب الامام ، وجسد هذا الرأي أبو بكر بقوله : « ان محمدا قد مضى لسبيله ولا بد لهذا الدين من قائم يقوم به ، فانظروا وهاتوا آراءكم يرحمكم الله ، فناداه الناس من كل جانب : صدقت يا أبا بكر ، فكان الاجماع على هذا الشكل دليلا على وجوب الامامة (١) .

فالامامة ، على الصعيد الاجتماعي والانساني ، واجبة عقلا

(١) نهاية الاقدام في علم الكلام : الشهرستاني ص ٤٨٩ .

وعرفا • وهي لطف من الله بعباده لحفظ الشريعة ، واقامة الحدود ، ونشر الأحكام ، والانتصاف للمظلوم من الظالم •

ولما كانت العدالة الالهية ، والمشيئة الربانية ، قد شاءت ألا يحرم أبناء البشرية من قائد ملهم ، وهادي مؤيد بتأييد الله سبحانه وتعالى ، ليتولى تدبير الانسانية ، ويعرف الناس بالمسالك الروحية التي تقودهم الى السعادة والمثالية ، في أمورهم الدينية والدنيوية ، والله غفور رحيم لطيف بعباده ، فمن المستحيل أن يتركهم يتخبطون في الظلماء دون أن يرسل اليهم من يهديهم ، وينقذهم من الهوة التي قد يترددون فيها • ثم كيف يهمل الباري تعالى عباده يدورون في فلك الضلالة والغواية والشهوات ، دون أن يبعث من لدنه اماما (١) ؟!

ومما يروى عن الامام جعفر الصادق (ع) عن آبائه مرفوعا عن النبي (ص) عن جبريل عن ربه : « لم أترك الأرض الا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي ، ولم أكن أترك الشيطان يضل الناس وليس في الأرض حجة وداع اليّ وهاد الى سبيلي (٢) » •

ولما كان الله تعالى عادلا لا يجور ولا يظلم ، وكان تعالى قد خص الأمة التي كانت في أيام النبي (ص) بالفضيلة العظيمة بايجاده كون الرسول فيما بين ظهرانيهم أمانا لهم من العذاب كما أخبر تعالى بقوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (٣) » ووسيلة لهم يستغفر لذنوبهم عند زلاتهم ، كما أخبر تعالى بتنزيله : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله

---

(١) اصول المعارف : الكاظمي ص ٨٢ •
(٢) درر البحار المصطفى من بحار الانوار : محمد المرتضى ص ٢ •
(٣) سورة الانفال : اية ٣٣ •

واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله ثوابا رحيما (١) » • وجب من حيث أنه الله ليس بظلّام للعبيد أن يوجد في الأمة بعد نبيها من يقوم مقامه ويسد مسده في كونه أمانا لها ، ووسيلة يستغفر الله لها ، ويحفظ نظامها ، ويبعثها على ما فيه صلاحها ، مع فرض الله تعالى طلب الوسيلة اليه بقوله تعالى : « وابتغوا اليه الوسيلة (٢) » وامتناع توهم اعدام الله تعالى الأمة الوسيلة مع ايجابه عليها طلبها ، والقائم مقام الرسول هو الامام ، اذا الامامة واجبة •

واذا كان سبحانه وتعالى قد خلق في الانسان القوى الشهوانية والغضبية والوهمية ، ولم يجعل فيه القوة التأييدية التي تعصمه من الخطل والخطأ ، فقد وجب عليه أن ينصب اماما يقرب المكلف من الطاعات ويبعده عن القبائح ، فهو يريد لعباده الطاعة ويكره لهم المعاصي ، وكلف كل نفس وسعها ، متلطف في تكليفهم احسانا منه اليهم ، وافاضة من نعمه عليهم ، لأنه اذ كلفهم فعل الأصلح لهم بالتوجيه الافضل ، والبلوغ الى الثواب الاجزل ، فنصب لهم الامام لطفا منه ليحل محل النبي (ص) ، وكل لطف فهو فعل منه تعالى ، اذا الامام فضل ومنحة من الله تعالى •

واذا ما تطلعنا بعمق وروية الى الأحاديث المنسوبة الى النبي (ص) والأئمة من أهل البيت ، تبين لنا بأنها تدل دلالة واضحة على أن الامامة لطف من الله ، وبأمر من لدنه الى الرسول (ص) ليبلغ ما أنزل عليه في النص على من يخلفه ، نلمس مدى ارتباط الشيعة وتعلقها بهذه الأدلة الناصعة التي

---

(١) سورة النساء : اية ٦٤ .
(٢) سورة المائدة : اية ٣٥ .

أصبحت جزءا لا يتجزأ من عقائدها ، ومنطلقاتها العقلانية العرفانية •

ولعل الأدلة العقلية في النص على الامام ، المدعومة بالآيات القرآنية التي تشير الى ذلك النص ، تنير لنا الطريق الى الحكمة الكامنة خلف النص على شخصية الامام علي بن أبي طالب بالذات ، لما كان يتصف به من الخلال والفضائل ، التي لا تتوفر في انسان غيره ، قد وهب نفسه ووجوده لخدمة الدين ، وهداية البشرية •

ومما لا شك فيه بأن الشيعة قد ذهبوا الى أن الامامة بوحي من الله الى رسوله بالنص القرآني ، لذلك وجب أن يكون الامام بعد النبي منصوصا عليه في القرآن ، كما وجب على النبي أن يعين الامام بعده ، واذا ما تعمقنا في تأويل تلك الآيات التي يعتمدون عليها نلاحظ أنها تتجاوز الثلاثمائة وكلها تشير الى أفضلية الامام علي بن أبي طالب ، وأنه المنصوص عليه ، والمفروضة ولايته وامامته على جميع المسلمين •

ويلاحظ الباحث في شؤون الامامة في ضوء الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي أخرجها أئمة الحديث كالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة ، وأكابر الحفاظ كأحمد بن حنبل ، وأبو القاسم الطبراني ، وأبو نعيم الأصبهاني ، وحماد بن يعقوب الروجني ، والحاكم صاحب المستدرك ، والكنجي ، وسبط ابن الجوزي ، والخوارزمي ، وابن حجر ، وملا علي ، والشبلنجي ، والقندوزي وغيرهم • بأن تلك الأحاديث التي أفردوا لها كتبا خاصة في هذا الموضوع فوق حد الاحصاء كثرة واستفاضة ، بل هي متواترة عندهم ، فيها ما هو

صحيح ، وفيها ما هو حسن ، وفيها ما هو ضعيف ، وهو الأكثر ، لكنها لكثرتها وكثرة رواتها ، وكثرة مخرجيها ، يقوي بعضها بعضا ، حتى صارت تفيد القطع بما دلت عليه ، وتعين الاعتقاد بذلك .

وأهم ما نسب الى الأئمة من أقوال في النص على الامام ما قاله الامام محمد الباقر (ع) عندما سئل ما الحاجة الى الامام فقال : ليرفع الله العذاب عن أهل الأرض قال تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، وهكذا استشهد بآية ترمز الى النبي بصورة خاصة في معرض الامامة ، لأن الامامة خلافة عن النبوة قائمة مقامها الا في نزول الوحي .

وفي قول الامام جعفر الصادق (ع) الذي رواه عن أبيه عن جده مرفوعا الى النبي متلقيا اياه عن ربه في الحديث القدسي : « يا محمد لم أترك الأرض الا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي ». وفي قول الامام السجاد علي بن الحسين زين العابدين (ع) : لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله . ولما سئل كيف ينتفع الناس بامام مستور ويكون حجة لله عليهم ؟ قال : كما ينتفع الناس بالشمس اذا سترها السحاب .

واستنادا الى قول النبي (ص) : « من مات ولا يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية » وقوله : « وليس في عنقه بيعة الامام فقد خلع ربقة الاسلام » لا بد لنا من الاعتراف بأن الامامة هي ركن أساسي من أركان الدين الاسلامي ، ومحور قيادي تدور عليه كافة التكليفات الشرعية التي فرضها الله سبحانه وتعالى ، على كل مؤمن ومسلم . ولما سئل الامام محمد الباقر (ع) عن

كيفية عبادة الله قال : انما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فانما يعبده هكذا ضلالا ، قلت : جعلت فداك فما معرفة الله على حقيقتها ؟ قال : تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله ، وموالاة علي والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة الى الله عز وجل من عدوهم ، هكذا يعرف الله ، ومن لا يعرف الله عز وجل ويعرف الامام منا أهل البيت فانما يعرف ويعبد غير الله .

ومن هذه الأحاديث ومنطلقاتها الدالة بوضوح على أن الامامة من أركان الدين ، فلا يستقيم الدين الا بها ، ولا ينتظم الا بانتظامها ، فهي والحالة هذه الهية ، ولا بد أن ينص الله عليها ، وأن لطف الله يوجب عليه سبحانه وتعالى أن يعين شخص الامام ، وان جازت التقية للعباد فلا تجوز على الله تعالى ، لأنه كالسراج الذي هو سبب الضوء في الظلمة ، متى وجد كان الضوء واجبا لا يدفع ، وكالجزاء الذي اذا ثبت كان العمل واجبا لا ينكر .

ورغم هذه النفحات المشعة التي يتلألأ شعاعها من الأحاديث التي تضيء العقول الناهدة الى سبر أعماق الحقيقة ، التي نضعها بأمانة أمام القاريء الكريم ، لا يسعنا الا أن نستنطق العقل والوجدان ، قانعين بما أوردناه في هذا الكتاب من آراء وأفكار ، وأحاديث وآيات ، تثبت ان الامامة مفروضة وواجبة لطفا من الله سبحانه وتعالى ، لتحل محل النبوة في الهداية الى الطريق المستقيم ، وانقاذ النفوس التائهة من الضلال والنفور ، حتى تصل بأمان واطمئنان الى الكل الذي انبثقت منه ، ولعلنا بما قدمناه نكون قد أدينا أقل ما يتوجب علينا من واجبات علمية

حقانية ، منبعثة من ايماننا المتين ، بأهلية آل البيت الكرام ، للهداية والقيادة والزعامة في الدنيا والآخرة ، ملتمسا منه سبحانه وتعالى أن يرشدنا بتأييد بركاتــه القدسيــة ، ويمدنا بفيض السعادات النفسية ، لنؤدي الأمانة ، وننصح الأمة بضرورة اتباع مصابيح الدجى ، الذين نوّر الله بهم الوجود والموجودات ، ودفع ببركاتهم العلوية السرمدية تمويهات المنافقين ، والدخلاء .

ومن المشاكل التي عالجناها في هذا الكتاب بالاضافة الى ماهية الامامة في الاسلام ، مشكلة التشيع ومتى بدأ ؟ وهل هو وليدة الخلاف الذي ذر قرنه بين المسلمين عقب انتقال النبي ؟ أم أنه رافق الرسالة منذ انبثاقها ؟ أم بتأثير بعض العناصر اليهودية والفارسية ؟

ولما كنا لا نشك أبدا بأن التشيع قد رافق الرسالة منذ أن سطع نورها الشعشعاني في عالم الكون والفساد ، فقد أثبت أن الشيعة في اللغة تعني الأتباع والانصار والأعوان ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وأصل ذلك من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة ، وقد اختص هــذا اللفظ بمن تولى عليا وبنيه عليهم السلام ، واعترف بامامتهم ، حتى صار ينصرف اليهم اذا أطلق عند الاستعمال من دون قرينة وامارة .

ويرى ابن خلدون ان الشيعة لغــة هم الصحب والأتباع ، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم . ومن المؤكد أن الرسول (ص) هو

(١) المقدمة : ابن خلدون ص ١٣٨ .

الذي استعمل هذا اللفظ في الاسلام عندما قال مخاطبا الامام علي ابن أبي طالب (١) : « يا علي اذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله ، وأنت أخذت بحجزتي ، وأخذ ولدك بحجزتك ، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم (٢) ، فنرى أين يؤمر بنا » .

ويقول ابن حجر في صواعقه المحرقة أن رسول الله (ص) قال : « يا علي انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضابى مقحمين ، ثم جمع يده يريهم الأقماح » .

وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : ألم تسمع قول الله : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض اذا جاءت الأمم للحساب تدعون غدا غرا محجلين .

وعن المغازلي بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ، ثم التفت الى علي عليه السلام ، فقال : هم شيعتك وأنت امامهم .

وهذا نهر رقراق من بحار الأحاديث النبوية التي تدعم فكرة التسمية الشيعية بأنها كانت في حياة الرسول (ص) وأنه بالذات قد أطلقها على علي وأولاده المنتجبين ، وقد سارت هذه اللفظة جنبا الى جنب مع الرسالة والدعوة المحمدية ، ولا تزال حتى

---

(١) ربيع الابرار : الزمخشري ص ١١٨ .
(٢) الحجزة بضم الحاء المهملة ... متعقد الازرار ، ثم قيل لزار حجزة للمجاورة ، والاخذ بالحجزة هنا كناية عن شدة الاعتصام والمبالغة في الاتباع .

عصرنا الحاضر تتالق وتشع أنوارها لتضيء معالم الكون .

ومن الطبيعي ان نتعرض لفرية ابن سبأ وما لف تلك الفرية من خرافات وأساطير تدل على سذاجة مطلقيها والقائلين فيها ، فابن سبأ ليس سوى خرافة تقوقعت وتكومت في عقول بعض المأجورين من الكتاب والمؤرخين ، فأطلقوها لتفعل في نفوس الغوغاء دون رادع من ضمير ، أو وازع أخلاقي ، ومن تحقق من قيمة هذه الخرافة لدى الشيعة ، عرف مدى استنكارهم لها ، ولمس براءة علمائهم من كل الأدوار التي قيل أن ابن سبأ قد لعبها ، وما يقوله المؤرخ محمد كرد علي يكفينا للدلالة على تفاهة مثل هذه الخرافات الهادفة الى تشويه السمعة ، والطعن في العقائد : « .. عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي ابن أبي طالب والموالاة له ، ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الأربع قال : الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج ، قيل : فما الواحدة التي تركوها ؟ قال : ولاية علي بن أبي طالب ، قيل له : وأنها لمفروضة معهن ؟ قال : نعم هي مفروضة معهن ، ومثل أبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت ، وأبي أيوب الانصاري ، وخالد ابن سعيد بن العاص ، وقيس بن سعد بن عبادة ... وأما ما ذهب اليه بعض الكتاب من أن أهل مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، فهو وهم ، وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم،ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم

منه ومن أقواله وأعماله ، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم علم مبلغ هذا القول من الصواب ، لا ريب في أن أول ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد المتشيع له (١) » ٠

ولم نغفل في كتابنا هذا الحديث عن العصمة وما يدور حولها من آراء وأفكار ، مدعومة بالحجج والبراهين المقنعة ، والأدلة الثابتة المستقاة من أحاديث وأقوال الأئمة من آل البيت كقول الامام علي زين العابدين : « ان الامام منا لا يكون الا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخليقة فيعرف بها ولذلك لا يكون الا منصوصا ٠ فقيل له : فما معنى المعصوم ؟ قال هو المعتصم بحبل الله،وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة (٢) »٠

وبعد أن أدلينا بدلونا في كل هذه الأمور العقائدية عند أهل الشيعة ،تلفتنا الى بعض الفلاسفة واستعرضنا مجملا من أفكارهم الفلسفية المتعلقة بالامامة ، وخاصة آراء ابن سينا في اثبات النبوات ، وما يقوله جماعة أهل الحق من الفلاسفة والفقهاء ، في الامامة ، والهداية ، باعتبارهما ركنا أساسيا من أركان عقائدهم الحقانية العرفانية ٠

وبواسطة هذه الآراء العقلانية تمكنا من تكوين صورة واضحة عن ماهية الامامة ، والعصمة ، في مفهوم كافة الفرق الاسلامية ، التي تكونت وتأسست بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فرسمناها بدقة وأمانة ، تاركين الحكم لها أو عليها للقارئ الكريم ٠

---

(١) خطط الشام : كرد علي ج ٥ ص (٢٥١ — ٢٥٦) ٠
(٢) عيون اخبار الرضا : القمي ج ١ ص ٥١ ٠

ولما كانت المواضيع التي عالجناها في هذا الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية ، فقد رأينا أن نقدم رسالة مخطوطة لم تنشر من قبل في الامامة ، كتبها الداعي الحقاني أبو الفوارس منذ ألف عام تتميما للفائدة ، واظهارا للحقيقة الكامنة وراء سجف الغيب والخيال ٠

ولما كانت فكرة قائم القيامة ، أو المهدي المنتظر ، تحتل مكان الصدارة بالنسبة لكافة أبناء الانسانية ، لما ينتظرونه على يديه من خلاص للأجساد والأرواح معا ، مما تعانيه من ويلات وظلم واستبداد ، فقد أفردنا لها الجزء الاكبر والأوسع من هذا الكتاب ، فاعتمدنا على آراء الشيعة وجماعة أهل الحق ، بالاضافة الى بعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما روي عن الأئمة الأطهار من أهل البيت (ع) ٠

وليست عقيدة المهدي المنتظر من حيث استفاضة الأحاديث فيها وتواترها ، وتعدد مخرجيها ، بل من حيث اثباتها وتوكيدها، باعتبارها من المسائل الهامة التي ترتبط بعقيدة الشيعة بصورة خاصة ، والدين الاسلامي الحنيف بصورة عامة ٠

والحقيقة الجوهرية التي لا غبار عليها ، ان مسألة المهدي المنتظر بمفهومها العرفاني ، قد أصبحت من المسائل الهامة التي تشغل عقول وأفكار الناس أجمعين ، بعد ذيوعها وانتشارها لدى مختلف الطوائف والفرق والمذاهب ، يؤمن بها ، ويعتنقها ، أولئك الذين يعانون الظلم والاضطهاد ، وينتظرون الفرج على يد المنقذ الذي يخلصهم من الدوامة التي يترددون فيها ، ويملأ

الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا • وهذا يعني أنهم ينهدون الى تبديل الاوضاع القائمة ، وتغييرها بواسطة المخلص المنقذ تغييرا شاملا بكل ما فيه من موجودات ، ولن يتمكن من هـذا التغيير أي انسان عادي قائم بالقوة بأفعاله واستجاباته الحسية والنفسية ، لذلك لا بد من انتظار مخلص لا يمت الى هذا العالم وما فيه من مخازي ومساويء ، بل ينطلق من عالم العدل والحق، ليصرع الباطل ، ويهذب النفوس ، وينقلها من القيام بالقوة الى القيام بالفعل •

ومن البديهي بعد أن استعرضنا الأفكار الشيعية المتعلقـة بالامام المهدي المنتظر أن نلجأ الى مصنفات أهل الحق لنتعرف على منطلقاتهم العقلانية ، ونظراتهم العرفانية ، التي تدور في فلك قائم القيامة المنتظر الذي سيكون سابع السبعاء ، وخاتم الأدوار الصغيرة ، ومتم الكور ، وجـامع الصور الروحانية في عالم الابداع •

هذه هي المواضيع التي عالجناها في هذا الكتاب في ضوء العقل والمنطق الحقاني السليم ، وقد حرصنا بقدر الطاقة على اتباع المنهج العلمي العرفاني، مبتعدين عن الأفكار السقيمة ، والعقائد المعوجة ، التي لا تتفق والتفكير العقلاني السليم ، وانتقينا من الأحاديث ، والروايات ، والأقوال ، ما يشتم منه نفحة الصدق والايمان ، رغم خطورة المواضيع التي خضنا غمارها ، وأظهرنا خفاياها •

وكان لا بد لي من الاعتماد على أغصان الشجرة العلوية ، وفروع الدوحة النبوية ، وبيوت علم المبدع وأنواره ، ومحل

شعاع القدس وقراره ، الذين خصهم الباري سبحانه وتعالى بالشرف والفضل ، فعسى أن أكون قد وفقت ، والله نسأل أن يسدد خطانا لما فيه الخير والسعادة والكمال المطلق ، والله من وراء القصد ٠

بيروت ٢٢/١١/٧٩ الدكتور مصطفى غالب

الامامــة والقــائم

ماهية الامامة في الاسلام :

ليست الامامة كما يراها البعض لقب يمكن اطلاقـه على الخليفة ، أو الحاكم ، أو الزعيم السياسي الذي ينوب عن الرسول لقيادة الجماعات ، وحراسة كيانها وممتلكاتها الدنيوية ، من عبث العابثين ، وطمع الطامعين • انما هي واجبة فرضها الله سبحانه وتعالى لهداية الأمة وقيادتها بحكمة وروية الى دروب النجاة والخلاص •

والامامة بمفهومها العرفاني أساس الدين ، والمحور العقلاني الذي تدور عليه كل العقائد الباطنة والظاهرة ، لأن الدين لا يستقيم أمره الا بوجود الامامة ، ولا يكمــل وجوده ، وتتـم تفاعلاته الروحية والوجدانية الا بوجودها ، باعتبارها تتمــة للنبوة واستمرارا لها • فالامام الذي يخلف النبي يسهر على تعاليمه ، ويحافظ على شريعته ، ويصون أحكامها ، ويطبق نصوصها بحكمة ودقة ، وعدل ، ومساواة ، باذلا كل القــوى الجسدية والروحية لصيانة الدين من التحريف والتبديل •

ولا بد لنا قبل البحث في ماهية الامامة من الناحية العرفانية، والدينية ، والفلسفية ، من التطلع الى مفهوم الامامة اللغوي كما يحدده ابن منظور فيقول (١) : « الأمام بالفتح القصد ، أمه يؤمه أماً اذا قصده ، وفي الحديث : كانـوا يأتمون شرار ثمارهم في الصدقة أي يتعمدون ويقصدون ، وفي حديث كعب بن مالك وانطلقت أتأمم رسول الله ، أمـا تفسير قـوله تعالى : « فتيمموا صعيدا طيبا » أي اقصدوا الصعيد الطيب • ثم كثر الاستعمال لهذه الكلمة حتى صار التيمم اسما علما لمسح الوجه واليدين ، وذكر الجوهري : يممته برمحي تيمما اذا قصدته وتوخيته دون سواه ، وجمل مئم أي دليل هاد ، وفي التنزيـل العزيز : « انا وجدنا آباءنا على أمة » أي على طريقة ، ويقال للدين الأمة ، قال الشاعر : وهل يستوي ذو أمة وكفور ، والأم : العلم الذي يتبعه الجيش ، والأمة : السنة ، وأم القوم : تقدمهم وهي الامامة ، والامام (٢) كل من ائتم به قوم كانوا علـى الصراط المستقيم أو كانوا ضالين ، وفي قوله تعالى : « يوم ندعو كل أناس بامامهم » قيل بكتابهم وقيل بنبيهم وشرعهم ، وسيدنا محمد امام أمته وعليهم جميعا الائتمام بسنته التي نص عليها ، والامام ما ائتم به من رئيس والجمع أئمة ، وفي التنزيل العزيز : « فقاتلوا أئمة الكفر » أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم الذين

---

(١) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية : الدكتور احمد محمود صبحي ص ٢١ .

(٢) ويرى ابن خلدون ا ن اهل الاسلام من اتباع المذهب السني لا يفرقون بين القبي الخليفة والامام ، فكلاهما يشير الى شخص واحد : واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة وامام . مقدمة ابن خلدون ص ١٣٤ .

صار ضعفاؤهم تبعا لهم ، وقال تعالى : « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار » أي من تبعهم فهو في النار يوم القيامة ، وامام كل شيء قيّمه والمصلح له ، والقرآن امام المسلمين ، وسيدنا محمد امام الأئمة ، والخليفة امام الرعية ، وامام الجند قائدهم ، وأممت القوم في الصلاة امامة وائتم به أي اقتدى .

والامام يعني القدوة أو المثال ، كما يقول النابغة :

أبوه قبله وأبو أبيه   بنوا مجد الحياة على امام

والامام هو الخيط الذي يمد على البناء ، والحادي امام الابل وان كان وراءها لأنه الهادي لها ، والامام : الطريق لقوله عز وجل : « وانهما لبامام مبين » أي طريق يؤم أي يقصد فيتميز اذ يمرون عليه في أسفارهم ، فجعل الطريق اماما لأنه يؤم ويتبع، وقال أبو بكر : قولهم يؤم القوم أي يتقدمهم أخذ من الامام ، يقال فلان امام القوم معناه هو المتقدم لهم ويكون الامام رئيسا كقولك امام المسلمين (١) » .

وانطلاقا من هذا الرأي الذي حدد فيه ابن منظور مفهوم الامامة اللغوي الذي استخدمه علماء أهل السنة فذهبوا الى أن لفظ الامامة يمكن أن يطلق على الخليفة أو الحاكم أو الرئيس السياسي للمجموعة الاسلامية ، كون الناس يأتمون به ويجعلونه قدوة (٢) دون حاجة الى أن يختص بتشبيهه بامامة الصلاة ، ويرون الامامة فضلا عن أنها مماثلة للخلافة التي ليست سوى الامامة العليا تنطبق على امامة الصلاة المتصلة بالزعامة والهداية الدينية ، باعتبار سياسة الأمور الدنيوية تنسجم في بعض الفترات

---

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ ١٤ ص ٢٨٧ .
(٢) محمد ابو زهرة : المذاهب الاسلامية ص ٣٧ .

مع الأمور الدينية ، وذلك ما توضح في عصور متأخرة من تاريخ الدعوة الاسلامية ٠

وبالرغم من الانسجام اللغوي بين الخلافة والامامة الـذي يقول به عامة أهل السنة ، فان لفظ الامامة بمعزل عن الخلافة قد شاع استخدامه عندما اشتعل أوار الجدل بين العلماء والفقهاء ضمن المجموعة الاسلامية (١) ٠

واذا تصفحنا التاريخ الاسلامي منذ انبثاق الرسالة المحمدية نلاحظ بأن الانشقاق الذي حصل بين صفوف الجماعة الاسلامية بعد اعلان انتقال الرسول الى الملأ الأعلى بوصفه ظاهرة وافدة على المجتمع الاسلامي نتيجة لأحداث وتطورات سياسية محددة تكونت وتكوكبت بعد تولي أبو بكر الخلافة قد أدى الى ظهور جماعة مؤمنة بقيت على اخلاصها لآل بيت النبي ، واعـلان المعارضة ، بعد خروج الخلافة والزعامة والقيادة من هذا البيت الهاشمي الرائد ٠

ومن الطبيعي أن يـؤدي هـذا الانشقـاق في جسم الأمـة الاسلامية بعد المعركة السياسية الأولى التي وقعت عقب انتقال الرسول مباشرة ، واتمام البيعة لأبي بكر في السقيفة ، الى ظهور الجماعة المعارضة ممثلة بشخص الامام علي بن أبي طالب (ع) الذي كان مرشحا لتولي الخلافة بعد النبي (ص) بعد أن أعـد اعدادا رساليا خاصا ، باعتبار أن النبي كان يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها ، ويزوده بالعطاء الفكري ، والتأييد العرفاني ، ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار يفتح

---

(١) احمد محمود صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة ص ٢٢ ٠

عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق ، ومناهج العمل الى آخر يوم في حياته الفاضلة (١) •

ويعتمد الذين يذهبون هذا المذهب على أحاديث وروايات نقلوها وأوردوها عن لسان النبي (ص) أكدوا فيها أحقية الامام علي بن أبي طالب بتولي الهداية والخلافة بعد رسول الله (٢) •

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي اسحاق سألت قثم بن العباس كيف ورث علي رسول الله قال لأنه كان أولنا به لحوقا وأشدنا به لزوقا • وفي حلية الأولياء عن ابن عباس أنه يقول كنا نتحدث ان النبي عهد الى علي سبعين عهدا لم يعهده الى غيره•

وروى النسائي في الخصائص عن الامام علي أنه يقول كانت لي منزلة من رسول الله لم تكن لأحد من الخلائق كنت أدخل على نبي الله كل ليلة فان كان يصلي سبح فدخلت وان لم يكن يصلي أذن لي فدخلت ، وروى أيضا عن الامام قوله كان لي من النبي مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار (٣) •

وروى النسائي عن الامام أيضا أنه كان يقول كنت اذا سألت رسول الله أعطيت ، واذا سكت ابتدأني • ورواه الحاكم في المستدرك أيضا وقال صحيح على شرط الشيخين •

وروى النسائي عن أم سلمة أنها كانت تقول والذي تحلف به أم سلمة ان أقرب الناس عهدا برسول الله علي قالت لما كانت غداة قبض رسول الله فأرسل اليه رسول الله وأظنه كان بعثه في حاجة فجعل يقول جاء علي ثلاث مرات فجاء قبل طلوع الشمس

---

(١) تاريخ الامامية : الدكتور عبد الله فياض ص ١٧ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٧ . مقدمة محمد باقر الصدر .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٨ .

فلما أن جاء عرفنا أن له اليه حاجة فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة وكنت في آخر من خرج من البيت ثم جلست وراء الباب فكنت أدناهم الى الباب فأكب عليه علي فكان آخر الناس به عهدا فجعل يساره ويناجيه (١) ٠

ويعتقد الجماعة الذين ناصروا الامام علي بن أبي طالب وعرفوا بشيعته وأنصاره ، بأن الشواهد التي تبين بوضوح أن الرسول (ص) كان يعد الامام علي بن أبي طالب لتسلم الزعامة والهداية من بعده كثيرة ، وهي بكاملها تهدف الى تأهيله واعداده ليحل محله في قيادة الأمة الاسلامية ٠ كما أنهم يؤكدون بما لا يقبل الشك أن في حياة الامام علي وسلوكه الديني والعرفاني بعد وفاة النبي أمورا كثيرة جدا تكشف عن ذلك التأهيل العقلاني الخاص للامام علي من قبل النبي بما تعكسه من آثار ذلك التأهيل الخاص ونتائجه ، فقد كان الامام علي هو المفزع والمرجع لحل أي مشكلة يصعب حلها على الزعامة الحاكمة وقتئذ ، ولا نعرف في تاريخ التجربة الاسلامية على عهد الخلفاء الأربعة كما يقول محمد باقر الصدر واقعة واحدة رجع فيها الامام الى غيره لكي يتعرف على رأي الاسلام وطريقة علاجه للموقف ، بينما نلمس في صفحات التاريخ عشرات الوقائع التي أحست الزعامة (٢) الاسلامية الحاكمة فيها بضرورة الرجوع الى الامام علي بن أبي طالب بالرغم من تحفظاتها في هذا الموضوع ٠

واذا كانت الشواهد كثيرة على أن النبي كان يعد الامام علي اعدادا خاصا لمواصلة قيادة السفينة الى شاطىء السلام من بعده

---

(١) تاريخ الامامية : الدكتور عبد الله فياض ص ١٨ ٠
(٢) المصدر نفسه : ص ١٩ ٠

فالشواهد على اعلان الرسول القائد عن تخطيطه هذا واسناده زعامة الدعوة الفكرية والسياسية رسميا الى الامام علي (١) لا تقل عنها كثرة كما يلاحظ ذلك محمد باقر الصدر في حديث الدار وحديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث الغدير وعشرات من النصوص النبوية الأخرى ٠

واذا كان التاريخ الاسلامي بما فيه من تناقضات واضطرابات يرشدنا الى أن أول من حمل لقب الامام في الاسلام هو الامام علي ابن أبي طالب ، فمفهوم الامامة عند الشيعة يختلف عن مفهوم الخلافة ، فالامامة بمفهومهم من الأسرار الالهية ، أو المظهر الالهي الحافظ لنظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ، وأسس الاسلام النامي ، وفرعه السامي ، وهي واجبة على الله سبحانه وتعالى من باب اللطف لاقامة الحجة على عباده ، وان الكون لا يستطيع البقاء لحظة دون امام ، وانه لو فقد الامام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد ٠ والامام يقيم حدود الله ، وينافح عن دين الله ، ويدعو الى سبيل الله ، بالحكمة ، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة ٠

ويقول الماوردي : الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا (٢) ٠ ويرى التفتازاني ان الامامة رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم ٠ ويقول الايجي ان الامامة خلافة الرسول في اقامة الدين وحفظ حوزة الله حيث يجب اتباعه على كافة الأمة (٣) ٠

---

(١) المصدر نفسه : ص ١٩ .
(٢) الاحكام السلطانية للماوردي ص ٤ .
(٣) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٢٥ .

ويورد الكافي وصفا بالغا للامام منسوبا الى الامَام الرضا فيقول : الامامة منزلة الأنبياء وارث الأوصياء ، الامامة خلافة الله وخلافة الرسول ، والامامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ، الامامة أس الاسلام النامي وفرعه السامي ، وبالامامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج وتوفير الفيء والصدقات ، وامضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف ، الامام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ، الامام المطهر من الذنوب ، والمبرأ من العيوب ، المخصوص بالعلم المرسوم بالحلم ، الامام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المتفضل الوهاب ، لقد راموا صعبا وقالوا افكا اذ تركوا أهل بيته عن بصيرة ورغبوا عن اختيار الله ورسوله الى اختيارهم والقرآن ينادي : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم » فكيف لهم اختيار الامام ؟ عالم لا يجهل وداع لا ينكل ... مخصوص بدعوة الرسول ، ان العبد اذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره ، وأودع قلبه ، ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاما ، فلم يع بجواب ، ولا يحيد فيه عن الصواب ، فهو معصوم قد أمن من الخطأ والزلل والعار ، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهدا على خلقه ، والله أمر بطاعتهم ونهى عن معصيتهم وهم بمنزلة رسول الله الا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للأنبياء ، فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله (١) .

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٢٥ .

الامامة والأدلة القرآنية :

يعتمد القائلين بضرورة وجود الامام في كل عصر ودور لاثبات نظرياتهم حول هذا الموضوع على ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات تؤكد صدق هذه النظريات القائلة بان العدالة الالهية تقتضي ألا يحرم الناس من التشريع السماوي والتوجيه الرباني بنصب الامام من الله ، ان عناية الله تقتضي ألا يترك العالم خاليا من رئيس يدبر وامام يجمع الناس ويعرفهم مصالحهم الدينية والدنيوية،والله تعالى قد «كتب على نفسه الرحمة (١)» .

وكيف يترك الله ابليس يغوي العباد ويضلهم عن القصد دون أن يبعث من لدنه اماما عن الصادق عن آبائه مرفوعا عن النبي عن جبريل عن ربه : لم أترك الأرض الا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي ، ولم أكن أترك ابليس يضل الناس وليس في الأرض حجة وداع اليّ وهاد الى سبيلي (٢) .

ويعتقد أتباع الامام علي بن أبي طالب وأنصاره من الشيعة أن الامام علي دون سائر من تولى الخلافة بعد النبي (ص) هو الذي أجمع المسلمون على اختلاف فرقهم وتباين آرائهم وتضارب أفكارهم على امامته ، فالشيعة على سبيل المثال لا الحصر يثبتون له الامامة والقيادة بعد النبي ، وأهل السنة من جانبهم يعترفون بامامته بعد عثمان بن عفان ، وأما الخوارج فمع كونهم أصلب الفرق الاسلامية انكارا عليه فقد سلموا بصحة امامته وخلافته منذ تولاها الى أن كان التحكيم بعد معركة صفين ، أما غيره ممن تولى الخلافة بعد النبي فلا اجماع كهذا الاجماع (٣) .

---

(١) سورة : الانعام اية ١٢ .
(٢) درر البحار المصطفى من بحار الانوار : محمد بن المرتضى ص ٣ .
(٣) المناظرات : للكاظمي القزويني ص ٧ — ٨ .

والجدير بالملاحظة أن الشيعة أنفسهم لا يعتبرون الاجماع بذي أهمية ، حتى لو أن بعض مجتهديهم قد استند اليه كحجة في بعض المناقشات والمجادلات ، باعتبار ان الاجماع ليس بحجة قاطعة ، كون اجماع الأمة لا يؤسس امامة ولا ينصبها ، ولا يعترف فيه في الأمور الدينية (١) .

ولكن ابن تيمية الذي خاض غمار المجادلات الدينية والفقهية مع أنصار الامام علي بن أبي طالب وشيعته يرى وهو يرد على العلامة الحلي قائلا : « أما قولك امامة علي ثابتة بالاجماع بخلاف الثلاثة فهو كقول اليهود نبوة موسى ثابتة بالاجماع بخلاف نبوة محمد أو كقول النصارى : الالهية منتفية عن موسى ومحمد بالاجماع وتنازعنا في عيسى والهيته (٢) » .

أما الشيعة فيستندون في اثبات امامة علي بن أبي طالب بعد النبي على ما ورد في الكتاب الكريم من آيات وأحاديث مروية على لسان النبي والأئمة من آل البيت ، فاذا كانت الامامة كما يعتقدون من الله فوجب أن يكون الامام بعد النبي منصوصا عليه في القرآن كما وجب على النبي أن يقيم الامام بعده .

ويؤكد علماء الشيعة أن هناك العديد من الآيات تكاد تتجاوز الثلاثمائة آية تشير كلها الى فضل الامام علي بن أبي طالب وأحقيته في تسلم الهداية والقيادة بعد رسول الله ، وأوضح تلك الآيات التي تنص على أن عليا قد نص عليه الله فهي الآيات التالية :

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ١٧٥ .
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال : ابن تيمية ص ٤١٢ .
(٣) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ١٧٦ .

١ ـ آية المباهلة : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (١) » ٠

ولما كانت مناسبة نزول هذه الآية كما يروى عن جابر بن عبد الله أن وفدا من نصارى بني نجران قدم على النبي وفيهم السيد والعاقب وجماعة من الأساقفة فقالوا : يا محمد أخبرنا من أبو موسى ؟ فقال : عمران ٠ فقالوا : وأنت من أبوك ؟ قال : عبد الله بن عبد المطلب ٠ قالوا : فعيسى من أبوه ؟ فسكت النبي ينتظر الوحي ، فنزل قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب (٢) » فقالوا : انا لا نجد هذا فيما أوحى الى أنبيائنا ٠ فقال : كذبتم ٠ فنزل قوله تعالى : « فمن حاجك » ٠ قالوا : أنصفت فمتى نباهلك ؟ قال : غدا ان شاء الله ، فانصرفوا وقال بعضهم لبعض : فلا تباهلوه فانه نبي صادق ولئن باهلتموه لتهلكن ٠ ثم بعث النبي الى أهل المدينة ومن حولها فلم تبق بكر لم تر الشمس الا خرجت ، وخرج رسول الله وعلي بين يديه والحسن عن يمينه ، والحسين عن شماله ، وفاطمة خلفه ، ثم قال : هلموا فهؤلاء أبناؤنا وأشار الى الحسن والحسين ، وهذه نساؤنا يعني فاطمة ، وهذه أنفسنا ، يعني نفسه ، وأشار الى علي ، فلما رأى القوم ذلك خافوا وجاءوا بين يديه فقالوا : يا محمد أقلنا أقالك الله ٠ فقال : والذي نفسي بين يديه لو ابتهلوا لامتلأ الوادي بهم نارا ٠

وفي رواية أبي اسحق وتفسير الثعلبي أن الرسول قال لهم :

---

(١) سورة آل عمران : اية ٦١ .
(٢) سورة آل عمران : اية ٥٩ .

اذا دعوت فأمنوا . فقال أسقف نجران : يا معاشر النصارى اني أرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزالوه ، فلا تبتهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الارض الا مسلم ، فرجعوا الى بلادهم وصالحوا رسول الله (١) .

والاشارة التي يتخذها الشيعة دلالة على الامامة من هذه الآية فهي قوله تعالى « وأنفسنا وأنفسكم » كون المقصود بالأنفس هنا نفس الامام علي بن أبي طالب ، استنادا الى اتفاق مفسري القرآن من الشيعة كالبيضاوي في الجزء الثالث من تفسيره في الصفحة ٧٠ ، والطبري في تفسيره في الجزء الثالث ص ١٩٢ ، والرازي في تفسيره الكبير في الجزء الثاني ص ٤٧٣ ، وينفون أن يكون المقصود بهذا القول نفس النبي لأن الانسان لا يدعو نفسه ، فالمقصود اذن بالنفس غيره أي نفس علي بن أبي طالب ، ولا يجوز أيضا أن تكون نفس علي هي (٢) نفس النبي بعينها بل المقصود أن نفس علي مثل نفس النبي وذلك يتطلب ويوجب التساوي من كافة الوجوه فيما عدا النبوة والوحي ، أما ما عدا ذلك في حق النبي فيظل معمولا به في حق علي ، ومحال أن يكون النبي قد دعا عليا لمجرد ارتباطه به بصلة النسب اذ لو كان كذلك لأحضر العباس وعقيلا فلزم أن يكون قد اختص عليا لكمال فضله وسمو مناقبه ، ولما كان النبي معصوما وجب أن يكون علي معصوما ، ولما كان النبي اماما واجب الاتباع لازم الطاعة فقد وجب ذلك لعلي ، واذا كان النبي أفضل من جميع الأنبياء فضلا عن الصحابة فقد وجب ذلك لعلي أيضا ، اذ ليس

(١) المعارف الحسينية : محمد حسين آل حيدر ص ٨٣ .
(٢) اصول المعارف : الموسوي الكاظمي ص ٨٥ — ٨٦ .

في الكتاب ولا في السنة أن النبي بالاطلاق أفضل من كل من ليس بنبي ، ولما كان كل ذلك لعلي ، ولما كان الفضل كله قد اجتمع له بمشابهته (١) نفس النبي ، ولما كانت الامامة لا تكون الا للأفضل فقد وجب اذن أن يكون علي اماما (٢) .

ومن الملاحظ أن أهل السنة لا يجادلون في هذه الناحية بعد أن أكدها المفسرين ، ومنهم البيضاوي الذي قال : كان النبي محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها (٣) ، وانما يجادلون على التفسير الشيعي لهذه الواقعة ، حيث أشاروا الى علي استنتاجا للفظة « أبناءنا » التي ذهبوا الى أنها تشير الى الحسن والحسين ، ونساءنا يشير الى فاطمة لذلك لم يبق ما يشير الى الاشارة الى علي الذي يؤكدون أنه كان موجودا الا بلفظة « أنفسنا (٤) » .

ويرى فقهاء أهل السنة أن لفظ « النفس » الذي اعتمده علماء الشيعة للدلالة على امامة علي بن أبي طالب لا يدل على المثل أو المساواة وانما يشير الى القريب والشريك في النسب والدين اعتمادا على قوله تعالى : « يخرجون أنفسهم من ديارهم » « ولا تلمزوا أنفسكم (٥) » .

ولو فرضنا جدلا كما يقول أهل السنة ان الآية دالة على امامته لوجب كون الأمير اماما في زمن رسول الله وهذا محال ، ولا دلالة فيها على الامامة أو الأفضلية لأن أحدا لا يساوي

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ١٧٧ .
(٢) أصول المعارف : الموسوي الكاظمي ص ٨٦ .
(٣) تفسير البيضاوي : جـ ٣ ص ٧٠ .
(٤) ترجمة الالوسي : غلام محمد : التحفة الاثني عشرية ص ٩٢ .
(٥) المنتقى عن منهاج الاعتدال : ابن تيمية ص ١٠٠ .

الرسول ، ولفظ النفس لا يوجب المساواة ، أما اختيار النبي لعلي فلأن المباهلة لا تكون الا بالأقارب ، ولذا علق وفد نجران تصديقهم للنبي على اختياره لصحابته أو قرابته ، ذلك لآن الانسان يخاف على قرابته كرهن الأبناء أو النساء في المهادنة (١) وأما اختيار النبي لعلي دون سائر قرابته فلأنه لم يكن وقت المباهلة قد أسلم من أولي قرابته الا العباس ولم تكن له سابقة .

ولم يكن ابن تيمية الفقيه السني الوحيد الذي حاول تجريد الامام علي بن أبي طالب بمقتضى الآية من الاشارة الى فضله وأنه أصلح الجماعة الى الامامة والهداية ، بل نلاحظ ان الرازي قد تخطاه الى نفس الرأي حيث ذهب الى أن اطلاق لفظ النفس على علي على سبيل المجاز ، وينفي أن يكون علي كان أثناء المباهلة موجودا ، لأن ابن اسحق لم يذكر في السير أن عليا قد حضر المباهلة (٢) .

والآية التي يعتمد عليها الشيعة في دلالاتهم على امامة علي ابن أبي طالب هي قوله سبحانه وتعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين (٣) » وذلك عندما نزلت هذه الآية بعد أن استجاب النبي لأمر ربه فدعى عشيرته الى دار عمه وهم يومئذ أربعون رجلا وامرأتان يزيدون رجلا أو ينقصون وفيهم أعمامه : أبو طالب ، والحمزة ، والعباس ، وأبو لهب ، فصنع لهم طعاما ، وكان الرجل منهم يأكل الجزعة ويشرب العزق من الشراب ، فأكلت الجماعة كلهم من ذلك اليسير من الطعام حتى شبعوا

---

(١) المنتقى : ابن تيمية ص ٣٨ .
(٢) نهاية العقول: الرازي ص ٢٨٥ .
(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

فبهرهم ذلك وتبين لهم أنه صادق في نبوته ، فقال : يا بني عبد المطلب ان الله بعثني الى الخلق كافة ، وبعثني اليكم خاصة ، حيث قال : « وأنذر عشيرتك الأقربين » أنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان (١) ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم ، وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون من النار : شهادة أن لا اله الا الله ، وأني رسول الله ، فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني عليه يكون أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي ؟ فقال علي وكان أصغر القوم سنا : أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ الرسول برقبة علي وقال : هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، فقام القوم يتضاحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك (٢) .

ولقد ناقش هذا التفسير بعض فقهاء المسلمين كابن أبي حاتم والثعلبي وابن جرير الطبري وأبي الفداء ، وذكره أبو جعفر الاسكافي ، وابن حنبل ، والسيوطي ، واعتبروه من أوضح النصوص التي تدل صراحة على امامة علي بن أبي طالب ، ووجوب الطاعة له على الأكابر من قومه وبني عمومته باعتباره خليفة عليهم (٣) .

ولكن ابن تيمية يرى غير هذا الرأي ويذهب الى أن دعوة النبي كانت لقريش فاجتمعوا فعم وخص وقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار

---

(١) اصول المعارف : الموسوي الكاظمي ص ٨٧ .
(٢) المراجعات : شرف الدين ص ١١٠ .
(٣) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ١١١ .

فاني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما ، أما ما ذكر عن قيام علي ووصية النبي له فلم يذكر في السنن ولا الأسانيد ولا المغازي ٠

وفي اعتقاد ابن تيمية أن انذار النبي ليس وقفا على عائلته ، لأن تلك العائلة لم يصل عدد أفرادها في ذلك الوقت الى أربعين رجلا ، ولا كانوا حسب زعم ابن تيمية من المعروفين بالشراهة في الطعام حتى يقدم لهم النبي القليل فيشبعوا اظهارا لمعجزته (١)٠

ولكن بعد أن يعترف الرازي بهذه الرواية يقول (٢) : ان النبي قد قال : انه خليفتي فيكم ولم يقل انه خليفتي فيكم من بعدي ، ولو قد قال ذلك لكانت نصا جليا ، والزيدية من الشيعة حسب زعمه ينكرون النص الجلي على امامة علي مع أنهم من أشد الناس حبا لأمير المؤمنين ٠

أما الآية التي تدل بوضوح على آل البيت ، وأنهم مطهرون من كل دنس ، فقد أثبتها علماء التفسير ، كالسيوطي ، والرازي، وابن حجر ، والحاكم ، والذهبي ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما ، وتعرف بآية التطهير ، التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا(٣) »٠

ويجزم الشيعة أن هذه الآية قد خص بها علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، باعتبارهم المعنيون بلفظة « أهل البيت » كونها نزلت والنبي في بيت أم سلمة وهي جالسة عند الباب فقالت : يا رسول الله : ألست من أهل البيت ؟ قال : انك على

---

(١) المنتقى : ابن تيمية ص ٤٥٨ ٠
(٢) نهاية العقول في دراسة الاصول : الرازي ص ٢٥ ٠
(٣) سورة الاحزاب: اية ٣٣ ٠

خير ، انك من أزواج النبي ، ثم أتى النبي بكساء فجاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم دعا النبي بقوله : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (١) .

ولما كان المقصود بالرجس مطلق الذنوب والآثام والشكوك فان نفي الرجس عنهم بارادة الله يفيد العصمة لهم جميعا ، ولما كانت العصمة شرط الامامة ، ولما كان الاتفاق أن أحدا غيرهم غير معصوم ، فقد وجب أن يكون علي هو الامام بعد النبي .

ولكن أهل السنة لا يرون هذا الرأي الشيعي ، بل يذهبون في تفسير الآية الى أنها نزلت في نساء النبي ، ويستدلون على ذلك بسياق الآية السابقة عليها : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقتين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس » .. فالخطاب حسب زعمهم للأزواج المطهرات وفيه أمر ونهي ، فكون أن ينتقل المعنى الى حال آخرين غير نساء النبي بلا تنبيه على انقطاع كلام سابق يخالف وظيفة البلاغة ، والخطاب كذلك للاناث لقوله تعالى : « بيوتكن » ، فالاشارة الى أهل البيت اذن يستفاد منها بيت رسول الله ، أي ما يسكن فيه أزواجه (٢) .

ومن الطبيعي أن يعترض الشيعة على هذا التفسير، فيؤكدون

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ١٨١ .
(٢) التحفة الاثني عشرية : غدم محمد ص ٢٠٢ .

رأيهم بأن أهل البيت ليس المقصود بهم أزواج النبي ، لأن بيوتهن غير بيت النبي ، والخطاب بهذه الآية لا يرتبط مع الآيات السابقة نظرا لوجود لفظ التأنيث فيها دائما (لستن ـ تخضعن ـ قرن ـ تبرجن) أما هذه الآية فالخطاب فيها بلفظ المذكر « عنكم ـ ويطهركم » مما يدل صراحة أن المعني بارادة الله اذهاب الرجس أفرادا آخرين غير أزواج النبي،ولا بد أن يكون فيهم ذكور (١)٠

ويستدل الشيعة أيضا في قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى (٢) » على أن النبي لما نزلت هذه الآية سئل من هم قرابته التي أوجب الله مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وابناهما ، لذلك يوجب الشيعة مودة علي باعتباره أفضل الصحابة والامام المفروضة مودته من الله ، ومخالفته تنافي المودة كما أن طاعته مودة فيكون واجب الطاعة مفروض المودة (٣) ٠

ويعلق أهل السنة على هذا الرأي فيقولون: ان سورة الشورى بتمامها مكية ، ولم يكن علي قد تزوج فاطمة بعد ، ولم يولد الحسن الا في السنة الثالثة من هجرة الرسول والحسين في السنة الرابعة ، فكيف تكون الآية قد نزلت فيهم ؟

ولو كان النبي ينال أجرا على رسالته ، فكيف يثاب عليها وقد أعطيناه أجره الذي استحقه على الرسالة ٠ ولو كان مفهوم الآية مودة أولي قرباه أجرا له لتناقض ذلك مع مفهوم آيات أخرى ٠

وقد روى البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في معنى قوله سبحانه وتعالى : لا أسألكم على الدعوة والتبليغ من أجر

---

(١) المناظرات : الموسوي الكاظمي ص ٩ .
(٢) سورة الشورى : اية ٢٣ .
(٣) المنتقي : ابن تيمية ص ٤٣١ .

الا المودة والمحبة بحق قرابتي لكم ولم يكن هناك بطن من بطون قريش الا وللنبي به صلة قرابة ، فهو اذن يذكره بها وبحقها عليهم الذي هو لا أقل من ترك ايذائهم له ، فهذا أقل مراتب صلة الرحم ·

ويعترف ابن تيمية بأن آل بيت النبي هم المقصودون من لفظ القربى في الآية ، وأنه ورد في السنن أن النبي قال : « والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي · ولكنه ينفي ان الآية تشير الى علي بوجه خاص فضلا عن أنها تدل على امامته ·

ومن الآيات الواضحات التي يستدل بها الشيعة على أن الله سبحانه وتعالى قد نص تلبية لطلب النبي على ولاية الامام علي ابن أبي طالب فقال : « واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي (١) » · قال أبو نعيم عن ابن عباس أن النبي أخذ بيد علي ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم ان موسى سألك فأجبته وأنا أسألك أن تجعل لي وزيرا من أهلي علي بن أبي طالب أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ، قال ابن عباس : فسمعت مناديا ينادي : يا أحمد قد أوتيت سؤالك (٢) ·

ولكن فقهاء أهل السنة يردون على هذا الرأي فيقولون ان ابن عباس وقت نزول هذه الآية بمكة كان طفلا رضيعا ، ولو صح ورود هذا القول عنه لكان علي شريك النبي في النبوة مشاركة هارون لموسى ، كون موسى قد طلب من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون لعقدة في لسانه ، لأن هارون كان أفصح منه

---

(١) سورة طه : اية ٢٩ .
(٢) الحلي : منها ج الكرامة ص ١٦٥ .

لسانا ، فهو كونه نبي بحاجة الى الفصاحة ، فضلا عن أن هارون كان محبوبا من بني اسرائيل أكثر من موسى لما له من هيبة ووقار ، وكل ذلك لم يكن ينقص النبي حتى يكمله علي فيحتاج اليه حاجة موسى الى هارون (١) ٠

وبالاضافة الى هذه الآية توجد آيات أخرى تشير الى القرابة كقوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه (٢) » قد ادعى الشيعة ، وأنصار علي بن أبي طالب بأنها نزلت في أهل البيت ، وقوله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه (٣) وسلموا تسليما (٤) » فقد زعموا أن النبي سئل عن كيفية الصلاة على أهل بيته فقال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، ولما كان علي أفضل آل محمد فيكون أولى بالقيادة والامامة ٠

ومن الآيات الواضحة البينة في معانيها واشاراتها الى الولاية وأنها حق من الله أوجبها لعلي بن أبي طالب قوله تعالى : « وانما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥) » ٠ روى الثعلبي باسناده الى أبي ذر قال : سمعت رسول الله بهاتين ـ يقصد أذنيه ـ يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، أما اني صليت مع رسول الله يوما الظهر وسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئا (٦) فرفع يديه الى السماء وقال :

(١) المنتقى : ابن تيمية ص ٤٢١ ٠
(٢) سورة الابسراء : اية ٢٦ ٠
(٣) سورة الاحزاب : اية ٥٦ ٠
(٤) مذاهب التفسير الاسلامي : غولدسهير ص ٣١٠ ٠
(٥) سورة المائدة : اية ٥٥ ٠
(٦) المناظرات : الكاظمي القزويني ص ١٢ ٠

اللهم اشهد أني سألت في مسجد نبيك فلم أعط شيئا ، وكان علي راكعا فأدنا اليه بخنصره فأقبل وأخذ الخاتم وذلك بعين رسول الله ، فلما فرغ رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم ان موسى سألك « واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري » فأنزلت عليه قرآنا ناطقا سنشد عضدك بأخيك « اللهم (١) وأنا نبيك وصفيك اللهم فاشرح صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي عليا أشدد به أزري ، فما استتم كلامه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية « انما وليكم الله ورسوله (٢) » ٠

ويرى عبد الحسين شرف الدين ان المنافقين وأعداء علي ما كانوا يطيقون أن يستمعوا لهذه الآية على سبيل المفرد اذ لا يبقى لهم مطمع في التمويه ولا ملتمس في التضليل فيكون منهم بسبب بأسهم مما تخشى عواقبه على الاسلام فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد اتقاء من معرتهم ، ثم جاءت النصوص تترى بعبارات مختلفة ومقامات متعددة وتثبت فيهم أمر الولاية تدريجيا ، وهذه حكمة مطردة في كل ما جاء في القرآن الكريم في آيات فضل أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين (٣) ٠

أما القزويني فيعتقد ان ايراد الآية أي الذين آمنوا بصيغة الجمع بعد ذكر الله ورسوله انما لبيان عدم جواز التعدد في الخالق ، ولا في نبيه بخلاف ذلك في الامام فانه لا بد من تعدده ولزوم امام في كل زمان عملا بقوله تعالى : « يوم ندعو كل أناس

---

(١) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ١٤٣ .
(٢) منهاج الكرامة : الحلي ص ٢١٣ .
(٣) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ١٤٦ .

بامامهم » فكل أناس اذا قد اختصوا بامام يجب عليهم التعرف به والانقياد اليه •

ويمكننا أن نضيف الى الآيات التي ذكرناها قوله تعالى : « والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى (١) » لدلالتها على وجوب الوصاية والامامة ، فالمعروف لدى الشيعة أن الفقيه علي بن المغازلي الشافعي باسناده عن ابن عباس قال : كنت جالسا مع فئة من بني هاشم عند النبي اذ انقض كوكب من السماء فقال النبي : من انقض هذا الكوكب في منزله فهو الوصي من بعدي ، فاذا هو قد انقض في منزل علي ، قالوا يا رسول الله قد غويت في حب علي فأنزل الله سبحانه (٢) : « والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى » •

ويروي ابن الجوزي عن الكلبي عن ابن عباس قال : لما عرج بالنبي الى السماء السابعة وأراه الله من العجائب جعل يحدث عشيرته فكذبه من أهل مكة من كذبه فانقض شهاب من السماء ، فقال النبي : في دار من وقع هذا فهو خليفتي من بعدي فوقع في دار علي ، فقال أهل مكة : ضل محمد وغوى وهوى أهل بيته ومال الى ابن عمه ، فنزلت « والنجم اذا هوى » •

ويقول الله سبحانه وتعالى : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد (٣) » • ويروى عن الثعلبي أنه قال : لما أراد رسول الله الهجرة استخلف عليا لقضاء ديونه ورد الودائع وأمره ليلة خرج الى الغار وأحاطوا

---

(١) سورة النجم : الاية ١ ، ٢ .
(٢) منهاج الكرامة الحلي ص ٢١٧ .
(٣) سورة البقرة : اية ٢٠٧ .

بالدار أن ينام على فراشه ويتشح ببرده الاخضر ، وقال انه لا يخلص اليك منهم مكروه ففعل فأوحى الله الى جبريل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة ، فقال : ألا كنتما مثل علي آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة ، اهبطا الى الارض فاحفظاه ، فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ، فأنزل الله على نبيه وهو متوجه الى المدينة : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله (١) » . قال ابن عباس انها نزلت في علي ، ويعلق الحلي بقوله : وهذه فضيلة تدل على الافضلية فيكون هو الامام .

ويفسر علماء الشيعة الآية : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين . ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون (٢) » ويقولون بأن علي بن أبي طالب هو المعني بالصدق ، اذ لما كان الصدق هو المطابق للواقع سواء أكان في الاعتقاد أم الأخبار ، ولما كان علي ما عبد الأصنام والأوثان أبدا وغيره بالاتفاق كان قبل بعثة النبي من الكافرين الكاذبين ذلك أن الكذب مثل الاذعان بالكفر والاقرار به كان علي هو الموصوف بالصدق دائما وهو المقصود بأمر الله أن نكون

(١) سورة البقرة : اية ٢٠٧ .
(٢) سورة الزمر : اية ٣٣ الى ٣٥ .

معهم ونأخذ الدين عنهم ونقتدي بهم (١) ٠

ويكشف علماء الشيعة عن تفسير آخر لكلمة الصدق فيرون أنه مماثل للعصمة ، لأن الصدق لا يكون دائما الا ان كان الصادق معصوما دائما ، ولا يكون الرجل صادقا ولا يوصف بالصدق لقوله الصدق مرة واحدة أو مرات معدودات لقوله عليه السلام : « وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا » فتحري الصدق دائما لازم عن العصمة الدائمة ، وعلي هو وحده المعصوم بعد النبي ٠

روى ابن المغازلي الشافعي عن ابن مسعود عن رسول الله أنه قال : انتهت الدعوة الي والى علي ، لم يسجد أحدنا لصنم فاتخذني نبيا ، واتخذ عليا وصيا ٠

ويعتقد الشيعة أن هذه الروايةمنسجمة مع عهد الله لابراهيم حيث يقول سبحانه وتعالى : « اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (٢) » ٠ فالامامة التي هي عهد الله لا يصح أن تكون لظالم بمقتضى هذه الآية ، ويؤيدهم الطبري في تفسيره للآية فيقول : ان الظالم لا يكون اماما يقتدي به أهل الخير ، ولا يكون الامام ظالما ، كما فسر ابن عباس قوله تعالى : « لا ينال عهدي الظالمين » بقوله ليس للظالمين عهد (٣) ٠

ويقول تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه (٤) » ٠ وتفسير هذه الآية تعني ان آدم سأل ربه بحق محمد وعلي وفاطمة

(١) توفيق التطبيق : علي الجيلاني ص ٤٩ .
(٢) سورة البقرة : اية ١٢٤ .
(٣) تفسير القرآن : الطبري جـ ١ ص ٤١٧ .
(٤) سورة البقرة : اية ٣٧ .

والحسن والحسين عندما ارتكب الخطيئة وندم على فعلته ، فتاب عليه ، وهذا التفسير يدلنا حسب رأي الشيعة أن الله قد خلق هؤلاء قبل آدم ، قبسا من نور ، وآدم بين التراب والماء •

أما قوله تعالى : « انما أنت منذر ولكل قوم هاد (١) » فقد نزلت في علي ، كما نقل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأن النبي قال : أنا المنذر وعلي الهادي ، فبك يا علي يهتدي المهتدون ، وأن هذه الآية صريحة في الامامة • ويعلق المستشرق كولدتسهير على هذا التفسير فيرى أنها تعني الاعتراف بحجية علي في العلم فحسب لا الى حقه وحقوق بنيه (٢) السياسية ، معتمدا على تفسير الطبري (٣) •

وقوله تعالى : « وقفوهم انهم مسئولون (٤) » يروى عن الشعبي عن ابن عباس قوله : مسئولون عن ولاية علي ، ويعلق الحلي بقوله : اذا سئلوا عن الولاية له يوم القيامة وجب أن تكون ثابتة فيكون هو الامام (٥) •

ويقول سبحانه وتعالى : « والسابقون السابقون • أولئك المقربون (٦) » في رواية ابن عباس أن النبي قال : السابقون ثلاثة : فالسابق الى موسى يوشع بن نون ، والسابق الى عيسى صاحب ياسين ، والسابق الى محمد علي بن أبي طالب •

وقوله : « عم يتساءلون عن النبأ العظيم (٧) » سأل أبو

---

(١) سورة الرعد : اية ٧ .
(٢) كولدتسهير : مذاهب التفسير ص ٢٩١ .
(٣) تفسير الطبري : ج ١٣ ص ٦٣ .
(٤) سورة الصافات : اية ٢٤ .
(٥) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ١٩٩ .
(٦) سورة الواقعة : ١٠ ، ١١ .
(٧) سورة النبأ : ١ ، ٢ .

سفيان النبي عن خليفته فقال له : علي •

وفي قوله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية (١) » ويروى عن ابن عباس أن النبي قال لعلي : هم أنت وشيعتك يأتون يوم القيامة راضين ويأتي خصومك غضابا مقحمين •

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة (٢) » • ويرى الجيلي أن هذه الآية نزلت بحق علي بن أبي طالب كونه تصدق في يوم احدى عشرة مرة ، ولم يتصدق أحد من أصحاب الرسول في هذا اليوم مرة فنزلت الآية فيه (٣) •

ومما يروى عن ابن عباس أنه قال : ليس في القرآن يا أيها الذين آمنوا الا وعلي على رأسها وأميرها ، ولقد عاب الله أصحاب محمد وما ذكر عليا الا بخير ، وأخرج ابن عساكر : ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي ، وأخرج أيضا : نزلت في علي ثلاثمائة آية •

ومن المؤكد كما يفهم من آيات الذكر الحكيم أن الله سبحانه وتعالى قد فضل آل بيت النبي على العالمين ، وقرنهم بمحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، وسفنا للنجاة اذا طغت لجج النفاق ، وأماما للأمة من الاختلاف اذا عصفت عواصف الشقاق ، وباب حطة يغفر لمن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام

---

(١) سورة البنية : اية ٧ .
(٢) سورة المجادلة : اية ١٢ .
(٣) توفيق التطبيق : علي الجيلاني ص ٤٧ .

لها (١) ٠

ومن الملاحظ عندما نتعمق في دراسة العقائد الامامية الشيعية ان الاعتقاد بالامامة أمر مفروض ولطف من الله تعالى بالنسبة لكل مؤمن شيعي ، فعدم الايمان بوجوب الامامة يعني بمفهومهم عدم الايمان بالنبوة ، لأن دفع الامامة كدفع النبوة لا فرق بينهما ، لأن الجهل بالامامة كالجهل بالنبوة (٢) ٠

ويرى ابن شهراشوب أن الله تعالى يعني بقوله : « اني جاعل في الارض خليفة (٣) » أنه بدأ بالخليفة قبل الخليقة ، والحكيم العليم يبدأ بالأهم قبل الأعم ، وقوله : « فقد وكلنا بها قوما ليسوا بكافرين ٠ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده (٤) » دليل على أنه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين أما نبي أو امام (٥) ٠

قال الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٦) » ويروى عن جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت جابر بن عبد الله الانصاري يقول : لما أنزل الله على نبيه محمد هذه الآية ، قلت : يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟

فقال : هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم

---

(١) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ١٤ ٠
(٢) التبيان : للطوسي جـ ٩ ص ٣٥١ ٠
(٣) سورة البقرة : آية ٣٠ ٠
(٤) سورة الانعام : اية ٨٩ ٠
(٥) مناقب ال ابي طالب : ابن شهراشوب جـ ١ ص ٢١١ ٠
(٦) سورة النساء : اية ٥٩ ٠

علي بن أبي طالب (١) ·

ويقول تعالى : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم (٢) » · عن جابر بن عبد الله الانصاري قال : دخلت الى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يكتب باصبعه ، وتبسم · فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ما الذي يضحكك ؟ فقال (ع) : عجبت لمن يقرأ هذه الآية ولم يعرفها حق معرفتها · فقلت له : أي آية يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : قوله تعالى : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة ، فالمشكاة محمد صلى الله عليه وآله ، فيها مصباح ، يعني أنا المصباح ، في زجاجة ، الزجاجة الحسن والحسين ، كأنها كوكب دري وهو علي بن الحسين ، يوقد من شجرة مباركة ، محمد بن علي ، زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء يعني الأئمة المنحدرين من العقب ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، أي القائم في آخر الكور ، ويضرب الله الأمثال للناس · والروايات التي تدل على أن هذه الآية نزلت في أهل البيت كثيرة وصحيحة ·

قال الله سبحانه وتعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » أخرج الثعالبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير

---

(١) الزام الناصب : للحائري ج ١ ص ٥٤ ·
(٢) سورة النور : اية ٣٥ ·

بالاسناد الى ابان بن تغلب عن الامام جعفر الصادق ، قال : نحن حبل الله . وعدها ابن حجر من الآيات النازلة في حق آل البيت (١) ، ونقل في تفسيرها عن الثعلبي ما سمعه من قول الصادق ، وقال الشافعي ـ كما في رشفة الصادي للامام أبي بكر ابن شهاب الدين :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم
مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم
كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل (٢)

ويعتبر الشيعة ان الأئمة من آل البيت هم أهل الذكر الذين عناهم الله سبحانه وتعالى في قوله : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ويذهبون الى أن الثعلبي قد أخرج في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير عن جابر قال : لما نزلت هذه الآية قال علي : نحن أهل الذكر ، وهذا هو المأثور عن سائر أئمة الهدى ، وقد أخرج العلامة البحريني في الباب ٣٥ نيفا وعشرين حديثا صحيحا في هذا المضمون (٣) .

ويقول سبحانه وتعالى : « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » والامانة التي عرضها الله سبحانه

---

(١) الصواعق المحرقة : ابن حجر الفصل الاول الباب ١١ .
(٢) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ٣٤ .
(٣) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ٣٥ .

وتعالى على السموات والارض ليست سوى الامامة وما يرتبط فيها من أسرار ومعاني قدسية سامية ، حملها الأئمة من آل البيت ، وضحوا في سبيلها بكل غال ورخيص ، حتى يوفروا السعادة والهناء لأبناء الانسانية جمعاء . والروايات حول تفسيرها أوردها البحريني في الباب ١١٥ من كتابه غاية المرام(١) .

قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » يرى الشيعة أن النبي بعد نزول هذه الآية قد صدع لأمر الباري سبحانه وتعالى وبلغ رسالته عن الله يوم الغدير حيث هضب خطابه ، وعب عبابه فأنزل الله يومئذ : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ، أخرجه فقيه واحد من أصحاب السنن كما يقول صاحب المراجعات (٢) كالامام الواحدي في سورة المائدة من كتابه أسباب النزول عن أبي سعيد الخدري ، قال : نزلت هذه الآية يوم غدير خم في علي ابن أبي طالب ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره بسندين ، ورواه الحمويني الشافعي في فرائده بطرق متعددة عن أبي هريرة مرفوعا ، ونقله أبو نعيم في كتابه نزول القرآن بسندين أحدهما عن أبي رافع والآخر عن الأعمش عن عطية مرفوعين .

ومما لا شك فيه أن هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل دلالة واضحة سواء قمنا بتفسيرها أو تأويلها وفق متطلبات العقل السليم ، أم أخذنا تفسيرها عن غيرنا من العلماء والفقهاء الذين اعتنوا باخراجها ، على فضل آل البيت ، وأنهم والقرآن

---

(١) غاية المرام : البحريني رقم ٢٠ والمراجعات : شرف الدين ص ٣٧ .
(٢) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ٣٨ .

شقيقان لا يفترقان ، وأن النص الالهي الدال على امامة علي بن أبي طالب مؤكد وجلي • لذلك لا بد لنا من عرض بعض الأحاديث التي تشير الى النص والتفويض والمناداة بولاية علي بن أبي طالب كامام روحي ، وهادي الى سبيل الله القويم •

الامامة والأحاديث القدسية :

الأدلة الشرعية ، والبراهين القطعية ، التي وردت في الأحاديث القدسية التي رواها الشيعة في كتبهم ومصنفاتهم ، تبين لنا بوضوح وجلاء أن الامامة والهداية ، قد خص بها الامام علي بن أبي طالب، وأعقابه من أئمة آل البيت النبوي ، المنصوص عليهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي قرنهم بمحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الالباب ، وسفن النجاة ، وأمان الأمة ، وباب حطة ، نوردها بنصها الحرفي بعد أن قدمنا الأدلة من نصوص بعض الآيات القرآنية ، التي توجب الامامة وضرورة وجودها في كل عصر وزمان ، باعتبارها نيابة عن صاحب الشريعة لحفظ الدين ، وسياسة الدنيا ، اقتداء برسول الله الذي مارس في حياته السلطتين الزمنية والروحية •

والشيعة كما يشتم من أفكارهم التي تدور في فلك الامامة والهداية ، يستدلون بالوجوب العقلي على نصب الامام (١) ، وأدلتهم هذه تتفق وتنسجم مع مفهوم الامامة ومدى السلطات الممنوحة للامام المنحدر من أهل البيت بموجب النص الجلي ، اذ لا يكفي لدفع الفساد وجود كتاب الله ، انما يقتضي وجود

---

(١) محصل افكار المتقدمين والمتأخرين : الرازي ص ١٧٦! •

قيم عالم بما فيه حتى يمنع الاختلاف في تفسيره ، والتعارض في تأويله ، باعتبار أن آيات القرآن مجملة ، وأكثر الأحكام غير مفهومة من ظاهر القرآن ، فلا بد من وجود مرشد من جانب الله لاستنباط الأحكام من القرآن ، ولو كان كتاب الله كافيا لما حدث الاختلاف في التفسير (١) • لذلك أصبح من الضرورة وجود الامام •

وبموجب العدالة الالهية وجب أن لا يحرم الناس من التشريع السماوي والتوجيه الرباني بنصب الامام من الله ، لأن عنايته تقتضي ألا يترك العالم خاليا من هادي يهدي أبناء البشرية ، وينظم مصالحهم الدينية والدنيوية ، وامام يجمع الناس ويمنع عنهم الغواية والضلال •

وروي عن الصادق عن آبائه مرفوعا عن النبي عن جبريل عن ربه : « لم أترك الارض الا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي ، ولم أكن أترك ابليس يضل الناس وليس في الارض حجة وداع الي وهاد الى سبيلي (٢) •

واذا كان الباري سبحانه وتعالى قد أوجد في الانسان الغرائز الشهوانية والغضبية والوهمية ، ولم يوفر له القوة القدسية الروحانية التي تعصمه من الزلل وتدله على مسالك الخير ، فقد وجب أن ينصب له اماما يقربه من الطاعات ويبعده عن الشرور والآثام ، والله ينشد لعباده من أبناء البشرية الخير والسعادة ، ويكره لهم الشرور والمعاصي ، لذلك وجب من قبل اللطف احسانا منه اليهم ، وافاضة من خيراته وبركاته عليهم ، لأنه اذ

---

(١) الفارق بين الصدق والميت : الحلي ص ١٥ .
(٢) درر البحار المصطفى من بحار الانوار : محمد بن المرتضى ص ٢ .

كلفهم وجب عليه فعل الأصلح لهم بالارشاد الافضل والتعليم الامثل الناهد الى الثواب والغفران والكمال .

وليس النص من قبله سبحانه على الامام سوى لطف ، وكل لطف فهو واجب عليه سبحانه ، فنصب الامام أو بالأحرى توليته مقامه القدسي ، ومركزه الرباني ، واجب على الله ، يقرب العبد الى الطاعة ويبعده عن المعصية ، وينمي في كيانه القدرة ، ويكمل عقله ، ويعده لفعل الطاعة ، وتجنب المراوغة (١) .

ويذهب الحلي الى أن الامامة بمفهومها القدسي لطف من الله كونها خالية من المفاسد ومن الأفعال السيئة جميعا ، اذ لو كانت مشتملة على مفسدة لما أوجب الله على المكلفين طاعة الامام بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٢) » .

وحتى تكون الامامة لطفا لا بد أن يخلق الله الامام ويمكنه بالقدرة والعلوم والنص عليه باسمه ونسبه وهذا واجب على الله وقد فعله ، ثم تحمل الامامة وقبولها ، وهذا يجب على الامام وقد فعله ، ثم النصرة والذب عنه والامتثال لأوامره وقبول قوله وهذا يجب على الرعية ، فعدم التمكين قصور من ناحية الأمة لا من ناحية الله تعالى ولا من ناحية الامام ، هذا فضلا عن أن التمكين من الله والاجبار ينافي التكليف ، ولو جاز على الله تمكين الامام لجاز عليه قهر العباد على الطاعات ومنعهم عن المعاصي من غير واسطة الامام وفي هذا الجاء ، بينما طاعة الامام امتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه دون قهر على الطاعة أو على الامتثال (٣) .

---

(١) الالفين : الحلي ص ١٥ .
(٢) سورة ٤ : اية ٥٩ .
(٣) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٧٥ .

ومن المعلوم والمفهوم أن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عندما أسس الدعوة الاسلامية، وشرع أحكامها، وشيد قواعدها، وسن قوانينها، ونظم شؤونها بأمر الباري سبحانه وتعالى، كان صهره وابن عمه عليا وزيره تلبية لرغبته، وظهيره على عدوه، والمؤهل لوراثته بعد وفاته، وولي عهده، وصاحب الأمر من بعده، ومن اطلع على أحاديث النبي وأفعاله، في حله وترحاله، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية، من مبدأ أمره الى انقضاء عمره (١).

ويروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قبل ظهور الاسلام بمكة، حين أنزل الله تعالى عليه «وأنذر عشيرتك الأقربين» قد دعا أقربائه الى دار عمه ـ أبي طالب ـ وهم يومئذ أربعون رجلا فخاطبهم النبي قائلا: يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها غير علي ـ وكان أصغرهم ـ اذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله برقبته، وقال: ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا (٢).

أخرجه بهذه الألفاظ كثير من حفظة الآثار النبوية، كابن اسحاق وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وأبي نعيم، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي، والطبري في تفسير

---

(١) المراجعات: عبد الحسين شرف الدين ص ١٢٣.
(٢) المصدر نفسه ص (١٢٤ ـ ١٢٥).

سورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين ، وأخرجه الطبري أيضا في الجزء الثاني من كتابه: تاريخ الأمم والملوك (١) وأرسله ابن الأثير ارسال المسلمات في الجزء الثاني من كامله (٢) عند ذكره أمر الله نبيه باظهار دعوته ، وأبو الفداء في تاريخه (٣) عند ذكره أول من أسلم من الناس ، ونقلـه أبـو جعفر الاسكافي المعتزلي في كتابه ، مصرحا بصحبته ، وغيرهم الكثيرين ، ويعرف هذا الحديث لدى الشيعة بحديث الدار .

ويرى فقهاء الشيعة ان الامام علي بن أبي طالب يتمتـع ببضع عشرة فضيلة ليست لأحد غيره ، وقد أوردها وأخرجها الامام أحمد في الجزء الأول من مسنده ، والامام النسائـي في خصائصه العلوية ، والحاكم في صحيحه المستدرك ، والذهبي في تلخيصه ، وغيرهم من أصحاب السنن بالطرق المجمـع علـى صحتها ، عن عمر بن ميمون ، قال : اني لجالس عند ابن عباس اذ أتاه تسعة رهط ، فقالوا : يا ابن عباس اما أن تقوم معنا ، واما أن تخلو بنا من بين هؤلاء ، فقال ابن عباس : بل أنا أقوم معكم ، قال : وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى ، قال : فابتدؤوا ، فتحدثوا ، فلا ندري ما قالوا ، قال : فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبدا ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فاستشرف لها من استشرف ، فقال : أين علي ؟ فجاء وهو أرمد

---

(١) تاريخ الامم والملوك : الطبري ص ٢١٧ .
(٢) الكامل : ابن الاثير جـ ٢ ص ٢٢ .
(٣) تاريخ ابو النداء جـ ١ ص ١١٦ .

لا يكاد أن يبصر ، فنفث في عينيه ، ثم هز الراية ثلاثا ، فأعطاها اياه ، فجاء علي بصفية بنت حيي ، قال ابن عباس : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلانا بسورة التوبة ، فبعث عليا خلفه ، فأخذها منه ، وقال : لا يذهب بها الا رجل مني وأنا منه ، قال ابن عباس : وقال النبي لبني عمه : أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ قال : وعلي جالس معه فأبوا ، فقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة ، قال : أنت وليي في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا ، وقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة ، فقال لعلي : أنت وليي في الدنيا والآخرة ، قال ابن عباس وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله ثوبه ، فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين ، وقال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » • قال : وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ، ثم نام مكانه وكان المشركون يرمونه ، الى أن قال : وخرج رسول الله في غزوة تبوك وخرج الناس معه ، فقال له علي : أخرج معك ؟ فقال النبي : لا ، فبكى علي ، فقال له رسول الله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه ليس بعدي نبي ، انه لا ينبغي أن أذهب الا وأنت خليفتي ، وقال له رسول الله : أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة ، قال ابن عباس : وسد رسول الله أبواب المسجد غير باب علي ، فكان يدخل المسجد جنبا وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال : وقال رسول الله :

---

(١) المراجعات : شرف الدين ص ١٣١ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٣١ .

من كنت مولاه ، فان مولاه علي ، الحديث ، قال الحاكم بعد اخراجه : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ، قلت : وأخرجه الذهبي في تلخيصه ، ثم قال : صحيح •

ويضيف صاحب المراجعات قائلا : ولا يخفى ما فيه من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، على أن عليا ولي عهده ، وخليفته من بعده ، ألا ترى كيف جعله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليه في الدنيا والآخرة ، آثره بذلك على سائر أرحامه ، وكيف أنزله منه منزلة هارون من موسى ، ولم يستثن من جميع المنازل الا النبوة ، واستثناؤها دليل على العموم (١) •

والكل يعلم أن أظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى وزارته له وشد أزره به ، واشتراكه معه في أمره ، وخلافته عنه ، وفرض طاعته على جميع أمته بدليل قوله : « واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري » وقوله : « اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » وقوله : « قد أوتيت سؤالك يا موسى » فعلي بحكم هذا النص خليفة رسول الله في قومه ، ووزيره في أهله ، وشريكه في أمره ـ على سبيل الخلافة عنه (٢) على سبيل النبوة ـ وأفضل أمته ، وأولاهم به حيا وميتا ، وله عليهم من فرض الطاعة زمن النبي ـ بوزارته له ـ مثل الذي كان لهارون على أمة موسى زمن موسى ، ومن سمع حديث المنزلة فانما يتبادر منه الى ذهنه هذه المنازل كلها ، ولا يرتاب في ارادتها منه ، وقد أوضح رسول الله الأمر فجعله جليا بقوله: انه لا ينبغي أن أذهب الا وأنت خليفتي •

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٢ .
(٢) المراجعات : شرف الدين ص ١٣٢ .

وهذا نص صريح في كونه خليفته ، بل نص جلي في أنه لو ذهب ولم يستخلفه كان قد فعل ما لا ينبغي أن يفعل ، وهذا ليس الا لأنه كان مأمورا من الله باستخلافه ، كما ثبت في تفسير قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ومن تدبر قوله تعالى في (١) هذه الآية : « فما بلغت رسالته » ثم أمعن النظر في قول النبي : انه لا ينبغي أن أذهب الا وأنت خليفتي ، وجدهما يرميان الى غرض واحد كما لا يخفى ، ولا ننس قوله في هذا الحديث : أنت ولي كل مؤمن بعدي ، فانه نص في أنه ولي الأمر ووليه والقائم مقامه فيه ، كما قال الكميت :

ونعم ولي الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

ويرى صاحب المراجعات أن من ألم بالسيرة النبوية ، وجد الرسول يصور عليا وهارون كالفرقدين على غرار واحد ، لا يمتاز أحدهما عن الآخر في شيء ، وهذا من القرائن الدالة على عموم المنزلة في الحديث ، على أن عموم المنزلة هو المتبادر من لفظه بقطع النظر عن القرائن (٢) •

ويروى أن رسول الله قد خرج على أصحابه يوما ووجهه مشرق ، فسأله عبد الرحمن بن عوف ، فقال : بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج عليا من فاطمة • ولما زفت سيدة النساء الى كفوئها سيد العترة ، قال النبي : يا أم أيمن ادعي لي أخي ، فقالت : هو أخوك وتُنكحه ؟ قال : نعم يا أم أيمن ، فدعت عليا فجاء •

---

(١) صحيح مسلم : باب فضائل علي ج ٢ ص ٣٢٤ •
(٢) المراجعات : شرف الدين ص ١٤٤ •

ولما حضرت الرسول الوفاة قال : ادعو لي أخي ، فدعوا عليا ، فقال : ادن مني ، فدنا منه اليه ، فلم يزل كذلك وهو يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية ، فأصابه بعض ريقه صلى الله عليه وآله وسلم .

ويقول عمران بن حصين (١) : بعث رسول الله سرية ، واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فاصطفى لنفسه من الخمس جارية ، فأنكروا ذلك عليه ، وتعاقد أربعة منهم على شكايته الى النبي ، فلما قدموا . قام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ألم تر ان عليا صنع كذا وكذا ؟ فأعرض عنه ، فقام الثاني فقال مثل ذلك ، فأعرض عنه،وقام الثالث فقال مثل ما قال صاحباه فأعرض عنه ، وقام الرابع فقال مثل ما قالوا ، فأقبل عليهم رسول الله والغضب يُبصر في وجهه ، فقال : ما تريدون من علي ؟ ان عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن من بعدي (٢) .

ويعرف هذا الحديث بحديث بريدة وقد ورد في مسند أحمد ابن حنبل (٣) قال : بعث رسول الله بعثين الى اليمن ، على أحدهما علي بن أبي طالب ، وعلى الآخر خالد بن الوليد ، فقال : اذا التقيتم فعلي على الناس (٤) ، وان افترقتم فكل واحد منكما على جنده ، قال : فلقينا بني زبيدة من أهل فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه ، وقال بريدة : فكتب معي خالد الى

---

(١) اخرجه احمد بن حنبل من حديث عمران ج ٤ ص ٤٣٨ من مسنده .
(٢) المراجعات : شرف الدين ص ١٥٣ .
(٣) مسند ابن حنبل : ج ٥ ص ٣٥٦ .
(٤) وهنا يعلق صاحب المراجعات فيقول : ما امر رسول الله ، احدا على علي مدة حياته ، بل كانت له الامرة على غيره ، وكان حامل لوائه في كل زحف بخلاف غيره ، فان ابا بكر وعمر كانا من اجناد اسامة وتحت لوائه الذي عقده له رسول الله حين امره في غزوة مؤتة .

رسول الله ، يخبره بذلك ، فلما أتيت النبي ، دفعت الكتاب ، فقريء عليه ، فرأيت الغضب في وجهه ، فقلت : يا رسول الله هذا مكان العائذ ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ، ففعلت ما أرسلت به ، فقال رسول الله : لا تقع في علي فانه مني ، وأنا منه ، وهو وليكم بعدي ، وانه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي •

ويروى عن أبي ذر الغفاري ، قال : سمعت رسول الله ، بهاتين والا صمتا ، ورأيته بهاتين والا عميتا ، يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله • قال أبو ذر : فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » •

ويورد صاحب المراجعات في كتابه أربعون حديثا مؤيدة للنصوص التي يتفق الشيعة على أنها دالة على أفضلية الامام علي ، وأنه منصوص على امامته وهدايته من الله سبحانه وتعالى :

كقول رسول الله ، وهو آخذ بضبع علي : هذا امام البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ثم مد بها صوته • أخرجه الحاكم من حديث جابر في ص ١٢٩ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك ، ثم قال : هذا صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه •

وقوله صلى الله عليه : أوحي الي في علي ثلاث : أنه سيد المسلمين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، أخرجه الحاكم في أول صفحة ١٣٨ من الجزء الثالث من المستدرك ، ثم قال :

هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه (١) ٠

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : أول من يدخل من هذا الباب امام المتقين ، وسيد المسلمين ، ويعسوب الدين ، وخاتم الوصيين ، وقائد الغر المحجلين ، فدخل علي ،فقام اليه مستبشرا، فاعتنقه وجعل يمسح عرق جبينه ، وهو يقول له : أنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي (٢) ٠

ويقول النبي (ص) : أن الله عهد الي في علي أنه راية الهدى ، وامام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين ٠ وقوله (ص) أيضا وقد أشار بيده الى علي : ان هذا أول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهذا الصديق الأكبر ، وهذا فاروق هذه الأمة ، يفرق بين الحق والباطل ، وهذا يعسوب المؤمنين (٣) ٠

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا ، هذا علي فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، فان جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل (٤) ٠ وقال (ص) : أنا مدينة العلم ، وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب ٠ وقوله (ص) : أنا دار الحكمة وعلي بابها ٠ وقوله (ص) : علي باب علمي ، ومبين من بعدي لأمتي ، ما أرسلت به ، حبه ايمان ، وبغضه نفاق ٠ وقوله (ص) : علي

---

(١) المراجعات : شرف الدين ص ١٦٩ . واخرجه البارودي ، وابن قانع ، وابو نعيم ، وهو الحديث ٢٦٢٨ من احاديث الكنز للبزاز ص ١٥٧ ج ٦ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٤٥٠ .
(٣) اخرجه الطبراني في الكبير من حديث سلمان وابي ذر .
(٤) اخرجه الطبراني في الكبير وهو الحديث ٢٦٢٥ من الكنز ص ١٥٧ ج ٦.

ابن أبي طالب باب حطة ، من دخل منه كان مؤمنا ، ومن خرج منه كان كافرا (١) ٠

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني عصى الله ، ومن أطاع عليا فقد أطاعني ، ومن عصى عليا فقد عصاني ٠ وقوله (ص) : يا علي أنت سيد في الدنيا ، وسيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك من بعدي ٠

وقوله (ص) : من سره أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليتول عليا من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بأهل بيتي من بعدي ، فانهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي (٢) ٠ وقوله : أنا المنذر ، وعلي الهاد ، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي ٠

ويقول (ص) : من أراد أن ينظر الى نوح في عزمه ، والى آدم في علمه ، والى ابراهيم في حلمه ، والى موسى في فطنته ، والى عيسى في زهده ، فلينظر الى علي بن أبي طالب (٣) ٠ وقوله (ص) : الصديقون ثلاثة : حبيب النجار ، مؤمن آل ياسين ، قال : يا قوم اتبعوا المرسلين ، وحزقيل ، مؤمن آل فرعون ، قال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وعلي بن أبي

---

(١) المراجعات : شرف الدين ص ١٧٢ ٠
(٢) المصدر نفسه ص ١٧٧ ٠
(٣) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٤٤٩ ٠

طالب ، وهو أفضلهم ٠

ويقول النبي (ص) : من أحب أن يحيا حياتي ، ويموت ميتتي ، ويدخل الجنة التي وعدني ربي ، وهي جنة الخلد ، فليتول عليا وذريته من بعده ، فانهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة ٠ وقوله (ص) : يا عمار اذا رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره فاسلك مع علي ، ودع الناس ، فانه لن يدلك على ردى ، ولن يخرجك من هدى (١) ٠ وقوله : يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل ، اطلع الى أهل الأرض فاختار رجلين ، أحدهما أبوك ، والآخر بعلك (٢) ٠

ومما يروى عن النبي (ص) قوله لعلي : ان الأمة ستغدر بك بعدي ، وأنت تعيش على ملتي ، وتقتل على سنتي ، من أحبك أحبني ، ومن أبغضك أبغضني ، وان هذه ستخضب من هذا ، يعني لحيته من رأسه ٠ وعن علي أنه قال : ان مما عهد النبي الي أن الأمة ستغدر بي بعده ٠ وعن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لعلي : أما أنك ستلقى بعدي جهدا ، قال : في سلامة من ديني ؟ قال : في سلامة من دينك (٣) ٠

وقوله (ص) : ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر قال أبو بكر : أنا هو ؟ قال : لا ، قال عمر : أنا هو ؟ قال : لا ، ولكن خاصف النعل يعني عليا ، قال أبو سعيد الخدري :

---

(١) اخرجه الديلمي عن عمار وابي ايوب في الكنز ج ٦ ص ١٥٦ .
(٢) اخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٩ .
(٣) اخرجهما الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٠ واوردهما الذهبي في التلخيص .

فأتيناه فبشرناه ، فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله (١) .

وقال (ص) : يا علي أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي (٢) ، وتخصم الناس بسبع ؟ أنت أولهم ايمانا بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية ، وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله : يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيها أحد ، أنت أول المؤمنين بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأرأفهم بالرعية ، وأعلمهم بالقضية ، وأعظمهم مزية (٣) .

وقوله (ص) : علي مع القرآن والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، وقوله (ص) : علي مني بمنزلة رأسي من بدني ، وقوله (ص) : والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ، ولتؤتن الزكاة ، أو لأبعثن اليكم رجلا مني أو كنفسي ، وأخذ بيد علي ، فقال : هو هذا (٤) .

وأخرج الطبراني وغيره بسند مجمع على صحته عن زيد بن أرقم قال : خطب رسول الله (ص) بغدير خم تحت شجرات ، فقال : أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب (٥) واني مسؤول

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٢ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، واخرجه الامام احمد بن حنبل من حديث ابي سعيد في مسنده ج ٣ ص ٨٢ وفي ص ٣٣ .

(٢) اخرجه ابو نعيم من حديث معاذ ، في حلية الاولياء من الكنز ج ٦ ص ١٥٦ .

(٣) اخرجه ابو نعيم من حديث معاذ في حلية الاولياء من الكنز ج٦ ص ١٥٦.

(٤) اخرجهم الخطيب والديلمي ونقلهم ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٧٥ .

(٥) يرى صاحب المراجعات ان الرسول انما نعى اليهم نفسه الزكية تنبيها =

وانكم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وجاهدت و نصحت ، فجزاك الله خيرا ، فقال : أليس تشهدون أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث بعد الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : اللهم اشهد ، ثم قال : يا أيها الناس ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه ، يعني عليا ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال : يا أيها الناس اني خرطكم ، وانكم واردون على الحوض ، حوض أعرض مما بين بصري الى صنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، كيف تخلفوني فيهما ، الثقل الاكبر كتاب الله عز وجل ، سبب طرفه بيد الله تعالى ، وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي ، فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض .

ويقول الكميت في هذا اليوم المشهود :

ويوم الدوح دوح غدير خم   أبان له الخلافة لو أطيعا
ولم أر مثل ذاك اليوم يوما   ولم أر مثله حقا أضيعا
ولكن الرجال تبايعوها   فلم أر مثلها خطرا مبيعا

مما لا شك فيه ان الكثيرين منذ انبثاق الرسالة الاسلامية السمحاء وحتى عصرنا الذي نعيش فيه قد تجادلوا وتناقشوا

= الى ان الوقت قد استوجب تبليغ عهده ، واقتضى الاذان بتعيين خليفة من بعده ، وانه لا يسعه تأخير ذلك مخافة ان يدعى فيجيب قيد احكام هذه المهمة التي لا بد له من احكامها ، ولا غنى لامته عن اتمامها . ص ١٨٧ .

حول حجة الوداع ، وحديث الغدير ، والآيات البينات التي نزلت خلال تلك الواقعة ، التي يعتمدها الشيعة للدلالة على أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله الكريم أن يصرح علنا على أن موالاة الامام علي بن أبي طالب من الضروريات الواجبة لاكمال الدين الاسلامي الحنيف ، ولكن خصومهم من أبناء السنة يعتبرون أغلب الأحاديث التي تدل على فضل الامام علي بن أبي طالب ووجوب ولايته موضوعة ، وليس لها أي أساس من الصحة، خاصة تلك التي تنص على كفر خصومه ، أو التي تشير الى أنه أفضل الخلق بعد النبي ، ومع هذا يعترفون ضمنا وصراحة أنه ما جاء من الأحاديث في حق أحد من صحابة رسول الله (ص) مثل ما جاء في حق علي ، يقول ابن حنبل : ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي . وقال اسماعيل القاضي والنسائي والنيسابوري : لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي .

ويرد بعض الباحثين الأسباب الى أن الله أطلع نبيه على ما سيكون بعده مما ابتلي به علي ، وما سيقع من الاختلاف عندما يؤول اليه أمر الخلافة ، فاقتضى ذلك توجيه النصح الى الأمة وذلك عن طريق اشهار تلك الفضائل لتحصل النجاة لمن يتمسك به ممن بلغته ، وعندما وقع الاختلاف والخروج على خلافته أذاع من سمع تلك الفضائل ونشرها نصحا للأمة ، ولما اشتد الخطب وانهمكت طائفة من بني أمية بسبه على المنابر ،ووافقهم الخوارج .. اشتغلت جماعة الحفاظ من أهل السنة ببعث فضائله حتى كثرت نصحا للأمة ونصرة للحق (١) .

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٢٤٢ .

ونحن وان كنا نؤمن ايمانا قاطعا بأفضلية الامام علي بن أبي طالب وحقه القدسي والالهي في تولي الهداية والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن الآيات البينات التي نزلت في حقه وتأييده ، ووجوب توليته ، ليحل محل النبي بعد وفاته ، مؤكدة وواضحة لكل ذي عينين ، ولكننا حسب مفهومنا الحقاني لمرتبة الامامة لا نؤيد أو ننفي بعض الأحاديث التي يظهر في ثناياها الغلو والتعصب ، والبعد عن الواقع والحقيقة .

فالرسول (ص) كان يعلم علم اليقين بما تنطوي عليه نفوس بعض من يلتفون حوله من الصحابة والمهاجرين والأنصار ، لذلك فضل أن تبقى الولاية أو بالأحرى الخلافة من بعده غير معلنة رسميا وبصراحة ، خشية أن يؤدي هذا الاعلان الى الخلاف والانشقاق ، وبعثرة الصفوف ، بعد أن توصل بحكمته ولباقته الى رصها وجمعها في بوتقة الرسالة الاسلامية السمحاء ، لذلك فضل أن ينتقل الى جوار ربه حاقدا غاضبا ولو باطنيا على كبار صحابته الذين لمس تمردهم على أوامره ، وتآمرهم على آل بيته الذي يمثلهم علي بن أبي طالب من أجل الوصول الى بعض المكاسب الدنيوية ، ولولا خوفه أن يقال محمد يقتل أصحابه لأمر بقتل بعضهم ، لما كانوا يبطنونه من النية السيئة ، والنفاق والتدليس، وعدم الولاء الكامل للرسالة الاسلامية التي يجسدها .

ومما لا شك فيه بأن النبي كان يؤثر عليا ويفضله على كافة الأقرباء والأصحاب بل على كافة المسلمين ، باعتباره المؤمن الأول ، والمجاهد الأول ، وصهره وابن عمه ، وأنه أبلغ العرب وأشجعهم وأكرمهم وأعلمهم ، فمن هو الافضل والأسبق منه في المسلمين ؟

ومن الواضح أن النبي كان يعلم تمام العلم بأن كل وصية علنية وصريحة لعلي بالخلافة والهداية ، أو كل تصميم منه على وجوب تعيينه خليفة من بعده ، ستذهب أدراج الرياح ، وربما أدى الى تفتيت وحدة المسلمين ، وارتداد الكثيرين الى الوثنية ، كون علي كان يعتبر المساهم الأول في هدم العقائد الوثنية ، وزعزعة ركائز العشائرية المتأصلة في النفوس ، والقضاء على العائلات الكبيرة والثروات الضخمة والزعامات الواسعة ٠

ونلاحظ من خلال الوقائع والأحداث التي أعقبت وفاة النبي أن هؤلاء قد وجدوا بعد النبي الفرصة مؤاتية لأخذ الثأر والانتقام ، فكانت السقيفة وهي أول الغيث ، وكانت فدك ، وكانت اهانة فاطمة الزهراء ، فأعطت الفئة الحاقدة الدليل على أنها لم تنس الماضي ، وان في أعماقها شوقا الى دين الآباء والأجداد ، وان كل وصية علنية صريحة من النبي لا يأخذون بها مطلقا ٠

ويعتقد الشيعة أن بيعة الغدير كانت في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة من الهجرة ، ولما بلّغ النبي الرسالة كما أمره ربه وعهد الى علي بالامامة وأخذ على المسلمين عهدا أن يوالوه نزلت آخر آية في القرآن : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا (١) » ٠ ولما سمع عمر بن الخطاب قول النبي هنأ عليا وقال : بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ٠

ولما شاع خبر الغدير في طول البلاد وعرضها ، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله وقال : يا محمد

---

(١) سورة المائدة : اية ٣ .

أمرتنا أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلنا منك ، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا ، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا ، وأمرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله ، فقال : والله الذي لا اله الا هو ان هذا لمن الله عز وجل ، فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول : اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو أئتنا بعذاب أليم ، فما وصل الى راحلته حتى رماه الله بحجر على هامته فقتله ، وأنزل الله : « سأل سائل بعذاب واقع • للكافرين ليس له دافع • من الله ذي المعارج (١) » .

ومن هنا يتبين لنا مدى انتشار بيعة الغدير بين جميع المسلمين في الجزيرة العربية ، حتى يعرف الناس أجمعين ، أن بيعة النبي لعلي ليست منه ، بل بأمر من الله سبحانه وتعالى ، كما أشار النبي الى السائل الذي سأله بصراحة : أهذا أمر من عندك أم من الله ؟

وليست الوصية أو البيعة التي بايع فيها النبي لعلي من الله من شاء عمل بها ومن شاء تركها ، وانما هي فرض ديني وواجب شرعي يأثم تاركه ويعتبر مشركا وكافرا ، فقد نال هذا الذي قبل جميع أركان الاسلام الخمس وآمن بها ثم تشكك في بيعة علي وولايته غضب الله بشكل لم يقع لأحد من معاصري رسول الله مسلمين أو كافرين ، اذ ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وانما هو غضب الله وقع على منكري رسالات الأنبياء الغابرين

(١) سورة المعارج : ١ ـــ ٣ .

كما يرويه القرآن (١) .

ولما اختلف الناس في أمر علي بعد مبايعته بالخلافة جمع الناس في الرحبة من الكوفة فقال : أنشد الله كل امريء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما قال الا قام فشهد بما سمع ولا يقم الا من رآه بعينيه وسمعه بأذنيه ، فقام ثلاثون صحابيا فيهم اثنى عشر بدريا ، واذا كان قد ذكر أن شهود يوم الغدير قد جاوزوا مائة ألف فانه كان قد مر على ذلك اليوم خمسة وعشرون عاما ، مات واستشهد فيها عدد كبير فضلا عن أن يوم الرحبة كان بالكوفة ولم يكن بها الا القليل من المهاجرين والأنصار .

ونظرا للأهمية التاريخية والعقائدية ليوم الغدير فقد اتخذ الشيعة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عيدا ، وهم يحيون هذه الليلة بالصلاة ، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الشروق ويلبسون الجديد ، ويعتقون العبيد ، ويذبحون الأغنام ، ويلحقون الأجانب بالأهل للاكرام ، ويهنيء الشعراء وغيرهم الكبراء منهم بهذا العيد (٢) . ولهم في ذلك اليوم من كل سنة زيارة لمشهد أمير المؤمنين ، لا يقل المجتمعون فيها عند ضراحه عن مئة ألف ، يأتون من كل حدب وصوب ، ليعبدوا الله بما كان يعبده في مثل ذلك اليوم أئمتهم الميامين ، من الصوم والصلاة والانابة الى الله والتقرب اليه بالمبرات والصدقات ، ولا ينفضون حتى يحدقوا بالضراح الأقدس فيلقوا ــ في زيارته ــ خطابا (٣)

---

(١) الوصية : الحلي ص ١٥ .
(٢) صبح الاعشى : القلقشنوي ج ٢ ص ٤٠٧ .
(٣) المراجعات : شرف الدين ص ١٩٨ .

مأثورا عن بعض أئمتهم ، يشتمل على الشهادة لأمير المؤمنين بمواقفه الكريمة ، وسوابقه العظيمة ، وعنائه في تأسيس قواعد الدين ، وخدمة سيد الأنبياء والمرسلين الى ما له من الخصائص والفضائل التي منها عهد النبي اليه ، ونصه يوم الغدير عليه ، هذا دأب الشيعة في كل عام ، وقد استمر خطباؤهم على الاشادة في كل عصر ومصر ، بحديث الغدير مسندا ومرسلا ، وجرت عادة شعرائهم على نظمه في مدائحهم قديما وحديثا ، يقول مهيار الديلمي :

وأسألهم يوم خم بعد ما عقدوا له الولاية لم خانوا ولم خلعوا(١)

وقال الشاعر السيد الحميري (٢) :

فعندها قام النبي الذي كان بما يأمره يصدع
يخطب مأمورا وفي كفه كف علي نورها يلمع
من كنت مولاه فهذا له مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا

ويقول حسان بن ثابت شاعر الرسول الكريم (٣) :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالنبي مناديا
فقال من مولاكم ونبيكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال لهم قم يا علي فانني رضيتك من بعدي اماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادى عليا معاديا

ويقول أبو تمام في رائيته المشهورة :

---

(١) الديوان : مهيار الديلمي ج ٢ ص ١٨٣ .
(٢) ضحى الاسلام : احمد امين ج ٣ ص ٣٠٩ .
(٣) اثبات الوصية : الحلي ص ٢٦ .

ويوم الغدير استوضح الحق أهله بفيحاء ما فيها حجاب ولا ستر
أقام رسول الله يدعوهم بها ليقر بهم عرف وينهاهم نكر
يمد بضبعيه ويعلم أنه ولي ومولاكم فهل لكم خبر
يروح ويغدو بالبيان لمعشر يروح بهم غمر ويغدو بهم غمر
فكان له جهر باثبات حقه وكان لهم في بزهم حقه جهر
أثم جعلتم حظه حد مرهف من البيض يوما حظ صاحبه القبر

وبالاضافة الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أوردناها والتي تدل على وجوب ولاية الامام علي بن أبي طالب يعتمد الشيعة على أحاديث أخرى يروونها عن الأئمة من آل البيت لا بد من ايراد بعضها كونها تفيد وجوب النص في غير لبس ولا ابهام ، وأهم هذه الأحاديث في النص على الامام ما يروى عن الامام الباقر (ع) عندما سئل : ما الحاجة الى الامام ؟ فأجاب قائلا : ليرفع الله العذاب عن أهل الارض ، لقوله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » • وهكذا نلاحظ أن الامام الباقر (ع) يستشهد بهذه الآية التي تشير الى النبي بصورة خاصة في معرض الامامة ، لأن الامامة ليست سوى خلافة عن النبوة قائمة مقامها الا في نزول الوحي •

ويروى عن الامام جعفر الصادق عن أبيه عن جده مرفوعا الى النبي متلقيا اياه عن ربه في الحديث القدسي : يا محمد لم أترك الأرض الا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي ، ويكون ظهوره فيما بين قبضة النبي الى خروج النبي الآخر ، ولم أكن أترك ابليس يضل الناس وليس في الارض حجة وداع اليّ وهاد الى سبيلي ، وعارف بأمري ، واني قد قيضت لكل قوم هاديا أهدي

به السعداء ويكون حجة على الاشقياء (١) .

ومما يروى في صحيفة الامام علي زين العابدين (ع) قوله : لم تخل الارض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو الى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله ، ولما سئل كيف ينتفع الناس بامام مستور ويكون حجة لله عليهم قال : كما ينتفع النـاس بالشمس اذا سترها السحاب (٢) .

وعن الامام القائم قيل له (٣) : أخبرني عن العلة التي تمنع القوم من اختيار امام لأنفسهم ؟ قال : مصلح أو مفسد ؟ قيل : بل مصلح ، قال : هي العلة أبدها لك ببرهان يقبله عقلك ؟ قيل : نعم ، قال : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتاب وأيدهم بالوحي والعصمة اذ هم أعـلام الأمم وأهدى الى ثبت الاختيار ومنهم موسى وعيسى عليهمـا السلام ، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما اذا همـا بالاختيار أن يقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن ؟ قيل : لا ، قال : فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمـال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا لم يشك في ايمانهم واخلاصهم ، فوقعت خيرته على المنافقين اذ قال الله عز وجل : « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا (٤) » فلما وجدنا من قد اصطفاه الله تعالى للنبوة واقعا على الأفسد دون الأصلح ، وهو يظن أنه الاصلح

---

(١) درر البحار المصطفى من بحار الانوار : ابن المرتضى ج ٣ ص ٢ .
(٢) نفس المصدر ونفس الصفحـــة .
(٣) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٨٣ .
(٤) سورة الاعراف : آية ١٥٥ .

دون الافسد علمنا أن الاختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكن الضمائر ، ولا يعرف السرائر مفسدة ، وأن الأخطر اختيار المهاجرين والانصار بعد وقوع خيرة الانبياء على ذوي الفساد من حيث أرادوا الاصلاح (١) .

ومما يروى عن الامام الرضا (ع) قوله : الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب ، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام أو يمكنه اختياره ، هيهات هيهات خلت العقول وحارت الألباب ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز والتقصير ، وكيف ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ، وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ، لقد راموا صعبا ، وقالوا افكا اذ تركوا أهل بيته بصيرة ، ورغبوا عن اختيار الله ورسوله الى اختيارهم والقرآن يناديهم « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (٢) » فكيف لهم باختيار الامام ؟ عالم لا يجهل ، وداع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة ، والنسك والزهد والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول ونسل المطهرة (٣) البتول ، ان العبد اذا اختاره الله لأمر عباده شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاما ، فلم يع بعده بجواب ،

---

(١) دور البحار المصطفى من بحار الانوار : ابن المرتضى ص ٣ .
(٢) سورة القصص : اية ٦٨ .
(٣) الامامة والسياسة : ابن قتيبة ص ١٩ — ٢٠ .

ولا يحيد فيه عن الصواب ، فهو معصوم مويد ، موفق مسدد ، قد أمن من الخطأ والزلل والعثار ، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهد على خلقه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٠

وأول الأحاديث المأثورة عن الامام علي ، حديثه يوم اجتماع السقيفة بعد وفاة النبي (ص) حيث قال : احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ، الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم ، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القاريء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المتطلع لأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية (١) ٠

ومن قوله عليه السلام : أما ابن أبي قحافة فقد تقمصها ، وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير ، ثم بينما هو يستقيلها في حياته يعقدها لآخر بعد وفاته ، حتى اذا مضى عمر لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيالله وللشورى متى (٢) اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن الى هذه النظائر ٠٠٠ فصغى رجل منهم لضغنه ، وما الآخر لصهره مع هن وهن الى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع الى أن انتكث قتله

(١) الامامة والسياسة : ابن قتيبة ص ٢٠ ٠
(٢) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦٨ ٠

وأجهز عليه عمله وكبت به بطانته ، ثم عرج بعد ذلك الى حال الناس في أمر توليته ، فقال : فما راعني الا والناس كعرف الضبع الي ينثالون علي من كل جانب ... فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة الظالم ، ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (١) .

واذا ما أردنا تقصي كافة الأحاديث التي تروى عن الامام علي بن أبي طالب (ع) لطال بنا المطال ولتطلب منا ذلك مجال أوسع من هذا الكتاب لذا نكتفي بهذا القدر ونتلفت الى بعض الأحاديث المروية عن الأئمة الاطهار من أهل بيت النبوة والرسالة زيادة في الايضاح .

ولما وضع النبي (ص) على السرير بعد وفاته ، وأرادوا الصلاة عليه ، قال علي : لا يئم على رسول الله أحد ، هو امامكم حيا وميتا ، فكان الناس يدخلون رسلا رسلا ، فيصلون صفا صفا ، ليس لهم امام ، ويكبرون وعلي قائم حيال رسول الله يقول : سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم انا نشهد ان قد بلغ ما أنزلت اليه ، ونصح لأمته ، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله عز وجل دينه ، وتمت كلمته ، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله اليه ، وثبتنا بعده ، واجمع بيننا وبينه ،

---

(١) نهج البلاغة : محمد عبده ص ٢٥ .

فيقول الناس : آمين آمين ، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، روى هذا كله باللفظ الذي أوردناه ابن سعد عند ذكره غسل النبي من طبقاته ، وأول من دخل على رسول الله يومئذ بنو هاشم ، ثم المهاجرون ، ثم الانصار ، ثم الناس ، وأول من صلى عليه علي والعباس وقفا صفا ، وكبرا عليه خمسا (١) ·

ومما يروى في الأخبار والسير عن ابن عباس ، قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبي : هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال عمر : ان النبي قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي كتابا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ، قال لهم رسول الله (ص) : قوموا ، فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) ، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (٢) ·

ويروى عن ابن عباس أنه قال (٣) : لما نزلت هذه الآية : « وكل شيء أحصيناه في امام مبين » قام رجلان فقالا يا رسول الله ، أهي التوراة ؟ قال : لا · قالا : فهو الانجيل ؟ قال : لا · قالا : فهو القرآن ؟ قال : لا · فأقبل أمير المؤمنين (ع) فقال : هو هذا الذي أحصى الله فيه علم كل شيء ، وان السعيد كل السعيد من أحب عليا على حياته وبعد وفاته ، والشقي كل

---

(١) الكنز : الديلمي ج ٦ ص ٤٠٣ .
(٢) صحيح البخاري : باب قول المريض : ج ٤ ص ٥ .
(٣) مشارق انوار اليقين : البرسي ص ٥٥ .

الشقي من أبغض هذا في حياته وهو يتجلد ، فقال له : كبر سنك يا رجل ، فقال : في طاعتك يا أمير المؤمنين • فقال : انك تتجلد • فقال : على أعدائك • فقال : أجد فيك بقية • فقال : هي لك يا أمير المؤمنين ، وقال أمير المؤمنين (ع) : نحن أئمة المسلمين وحجة الله على العالمين ، ونحن أمان لأهل السموات والأرضين ، ولولانا لساخت الارض بأهلها ، وقال رسول الله (ص) : ان الله اختارني واصطفاني ، وجعلني سيد المسلمين واختار لي وزيرا من أهلي ، وجعله سيد الوصيين ، الحياة معه سعادة ، والموت معه سعادة ، أول من آمن بي وصدقني اسمه في التوراة مقرون مع اسمي ، وزوجته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ابنتي ، وأبناه ريحانتاي من الدنيا وسيدا شباب أهل الجنة ، والأئمة من ولده حجج الله على خلقه ، من تبعهم نجا من النار ، ومن اقتدى بهم هدي الى الصراط المستقيم ، ما وهب الله محبتهم لعبد الا دخل الجنة (١) •

وعن أبي عبد الله (ع) أنه قال : نحن شجرة النبوّة ، ومعدن الرسالة ، ونحن عهد الله ونحن ذمة الله ، لم نزل أنوارا حول العرش نسبح فيسبح أهل السماء لتسبيحنا ، فلما نزلنا الى الأرض سبحنا فسبح أهل الارض ، فكل علم خرج الى أهل السموات والارض فمنا وعنا ، وكان في قضاء الله السابق أن لا يدخل النار محب لنا ، ولا يدخل الجنة مبغض لنا ، لأن الله يسأل العباد يوم القيامة عما عهد اليهم ولا يسألهم عما قضى عليهم (٢) •

---

(١) مشارق انوار اليقين : البرسي ص ٥٦ •
(٢) المصدر نفسه ص ٤٥ •

وعن محمد بن سنان عن أبي الحسن الرضا (ع) أنه قال يا بن سنان ان محمدا كان أمين الله في خلقه فلما قبض كنا نحن أهل بيته وخلفاؤه ، وعندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب، ومولد الاسلام والجفر والجامعة ، وما من فئة تضل آية أو تهدي بآية الا ونحن نعرف ناعقها وقايدها وسايقها،وانا لنعرف الرجل اذا رأينا بحقيقة الايمان أو النفاق ، وان شيعتنا المكتوبين بأسمائهم أخذ الله علينا وعليهم العهد قبل خلق السموات والأرض ، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ، ليس على حملة الاسلام غيرنا وغيرهم الى يوم القيامة ٠

ويرى بعض فقهاء الشيعة ومنهم صاحب كتاب أنوار اليقين ان الأئمة من آل البيت عنه يقولون ، وبأمره يعملون ، وفي أبياتهم هبط التنزيل ، واليهم بعث الأمين جبرائيل ، فهم كما قيل :

اذا رمت يوم البعث تنجو من اللظى
ويقبل منك الدين والفرض والسنن
فوالي عليا والأئمة بعده
نجوم هدى تنجو من الضيق والمحن
فهم عترة قد فوض الله أمره
اليهم فلا ترتاب في غيرهم فمن
أئمة حق أوجب الله حبهم
وطاعتهم فرض بها الخلق يمتحن
فحب علي عدة لوليه الذي يلاقيه
عند الموت والقبر والكفن

كذلــك يوم البعــث لــم ينــج قــادم
مــن النــار الا مــن توالى أبا الحسن

ومما يروى في بعض المؤلفات الشيعية الغالية ما يقوله ابن أبي الحديد :

تقبلــت أفعـــال الربوبيــة التـــي
عذرت بها مــن شــك أنــك مربـوب

ويــا علــة الدنيــا ومــن بدأ خلقها
اليه سيتلو المبــدأ في الحشر تعقيــب

ولا بد لنا ونحن في مجال ختم الأحاديث والاقوال المروية في بعض الكتب الشيعية ، والتي يشتم منها رائحة الغلو والتقديس للأئمة من أهل البيت وخاصة الامام علي بن أبي طالب من انهاء المطاف بهذا القول الذي ورد في كتاب مشارق أنوار اليقــين للبرسي ، وهو جزء من أقوال كثيرة أوردها المذكور ونسبهــا لبعض الأئمة ، وهم في اعتقادي براء من كل صفة أو اشارة تدل على الغلو فيهم ، وايصالهم عن طريقها الى مرتبة الربوبية أو الألوهية ، ولنستمع اليه وهو يقول (١) :

فهو قطب الولاية ونقطة الهداية ، وخطة البداية والنهاية ، يشهد بذاك أهل العناية ، وينكره أهل الجهالة ، والعملية ، وقد ضمنه أمير المؤمنين (ع) أيضا في قوله كالجبل ينحدر عني السيل، ولا يرقى اليَّ الطير ، وهذا رمز شريف لأنه شبه العالــم في خروجهم من كتم العدل بالسيل وحبه ارتفاعهم في ترقيهم بالطير

(١) مشارق انوار اليقين : الحافظ رجب البرسي ص ٤٤ .

لأن الاول ينحدر من الاعلى الى الأدنى ، والثاني يرتفع من الأدنى الى الأعلى ، فقوله : ينحدر عني السيل • اشارة الى أنه باطن النقطة التي عنها ظهرت الموجودات ولأجلها تكونت الكائنات ، وقوله : لا يرقى اليَّ الطير • اشارة الى أنه أعلى الموجودات مقاما ولسائر البريات اماما ، ولهم في الحشر قايدا وقساما ، فهو قسيم نور الحضرة النبوية المحمدية صاحب الولاية الالهية ، فهو الكلمة الربانية ، وموْلى سائر البرية ، ولقد أحسن ابن أبي الحديد اذ فوق سهم التوفيق راميا لهذا المرمى الدقيق عن قوس التحقيق فقال :

والله لولا حيدر ما كانت   الدنيا ولا جمع البرية مجمع
واليه في يوم المعاد حسابنا   وهو الملاذ غدا والمفزع

وكيف أنكروه ، وما عرفوه ، وبمجرد السمع له ردوه ،وهو لعمري غرة فخر الانوار ، ودرة بحر الاسرار ، وزبدة مخض الأسرار ، ومعرفة أسرار الجبار ، لأنه نهج للاسم ، والاسم الاعظم ، والترياق الاكبر ، والكبريت الاحمر ، ولكن ذا المذاق الوثي ، والصدر الشجي ، لا يفرق بين الحنظل والسكر (١) :

جنبوهم قول الغلاة وقولوا ما استطعتم في فضلهم أن تقولوا
فاذا عدت سماء مع الأرض الى فضلهم فذاك قليل (٢)

جذور الشيعة وأصولها :

قال الله سبحانه وتعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم

---

(١) المصدر نفسه ص ١٦ .
(٢) المصدر نفسه ص ٦٩ .

أشد على الرحمن عتيا (١) » · يرى صاحب كتاب أصل الشيعة وأصولها (٢) ان أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية ، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء ، ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته ، ويستدل على ذلك بأحاديث وردت عن النبي في مدح علي ، فقد ورد في كتاب الدر المنثور في تفسير كتاب الله بالمأثور في تفسير قوله تعالى : « أولئك هم خير البرية » أن ابن عساكر أخرج عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل علي عليه السلام فقال النبي : والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ويذكر أن ابن عدي أخرج عن ابن عباس قال : لما نزلت الآية : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » قال رسول الله لعلي : هو أنت وشيعتك يوم القيامة تبعثون راضين مرضيين ·

ويذهب محمد الحسين المظفري فيقول (٣) : ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه صارخا بكلمة لا اله الا الله · فانه لما نزل عليه قوله : « وأنذر عشيرتك الأقربين » جمع بني هاشم وأنذرهم قائلا : أيكم يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووصيي وخليفتي فيكم بعدي ؟ فلما لم يجبه الى ما أراد غير المرتضى قال لهم الرسول : هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم

---

(١) سورة مريم : اية ٦٩ .
(٢) أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين كاشف الغطاء ص ٨٧ .
(٣) تاريخ الشيعة : محمد الحسين المظفري ص ٩ .

بعدي فاسمعوا له وأطيعوا ، ويعلق قائلا : فكانت الدعوة الى التشيع لأبي الحسن من صاحب الرسالة تمشي معه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين ومن ثم كان أبو ذر الغفاري من شيعة علي عليه السلام ، ثم يورد كلاما اقتبسه عن صاحب خلط الشام قوله : عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له ، ومثل أبي سعيد الخدري القائل : أمر الناس بخمس فعلوا أربعا وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الاربع قال : الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج ، قيل : فما الواحدة التي تركوها ؟ قال : ولاية علي بن أبي طالب ٠

وينقل محمد حسين الزين العاملي نصا عن الشيخ الداعي الاسماعيلي أبي حاتم الرازي قوله في روضات الجنان نقلا عن كتاب الزينة : ان أول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله هو الشيعة ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم : أبو ذر ، وسلمان ، والمقداد ، وعمار ٠ ويذكر أن الذين بايعوا عليا يوم غدير خم أربعون ألفا ، وقيل سبعون ألفا ، وكل هؤلاء كانوا شيعة ، ولكن اسم الشيعة قد تغلب واختص يومئذ بأبي ذر والمقداد وسلمان وعمار ، وذكر أسماء أخرى من الصحابة ومن بني هاشم وعدهم شيعة لعلي ٠

ويلاحظ محمد حسين الزين العاملي أن للتشيع بداية ثانية اذ أن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر

وصار المسلمون فرقة واحدة الى أواخر أيام الخليفة الثالث (١)، ويذكر كاتب شيعي آخر الأمين العاملي ان التشيع ظهر عند حدوث الاختلاف في أمر الخلافة يوم وفاة النبي (ص) (٢) ٠

ويرى مؤلف كتاب نظرية الامامة (٣) ان الحوادث الهامة التي تمت في عهد الرسول لا تتخذ بداية للتشيع ، فحادثة غدير خم لا تدل على أن كل من شاهدها وآمن بها كان شيعة لعلي ، والا لكان عمر وهو المنسوب اليه أنه هنأ عليا اذ أصبح مولى كل مؤمن ومؤمنة من الشيعة ، وهذا ما لم يذهب اليه أحد ٠

وارجاع التشيع من الناحية التاريخية الى عهد الرسول ليست الا محاولة من جانب متكلمي الشيعة لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة الى أصول أجنبية ٠

ويبدو أنه من الضروري تتبع وجهات النظر المختلفة في زمن نشأة التشيع :

وجهة النظر الأولى : وهي تعني أن التشيع قد ظهر بعد وفاة الرسول ، لأن أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم هو اختلافهم في الامامة ٠

فالأنصار يرون استحقاقهم للخلافة باعتبارهم أول من آوى رسول الله ونصره ، فهم يزعمون أن لهم السابقة في الدين ، والفضيلة في الاسلام ، فرسول الله قد مكث في قومه بضع عشرة سنة فما آمن من قومه الا قليل ، لم يمنعوا رسول الله ولا دافعوا عنه حتى خص الله الانصار بالفضيلة وساق لهم الكرامة وخصهم

---

(١) الشيعة في التاريخ : محمد حسين الزين ص ٢٦ ٠
(٢) اعيان الشيعة : الامين العاملي ص ٣٤ ٠
(٣) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٣١ ٠

بالنعمة ورزقهم الايمان به حتى استقام الامر لرسول الله بأسياف الأنصار ، حتى توفي رسول الله وهو عنهم راض وبهم موصي ، اذ قال فيهم : لو اتخذت العرب شعبا واتخذ الأنصار شعبا لاتخذت شعب الانصار ، هذا الى أن الرسول قد توفي في مدينتهم ودفن بها وترك الدنيا ، ومدينة الأنصار عاصمة الاسلام ، وقد جسد هذه النظرية سعد بن عبادة (١) •

أما المهاجرين فيزعمون أنهم أول الناس اسلاما وأوسط العرب أنسابا ولن تدين قبائل العرب الا لهذا الحي من قريش ، كما كانت تدين به في الجاهلية ، وهم أول من عبد الله في الارض وهم أولياء رسول الله وعشيرته ، فالأئمة من قريش ، وقد عبر عن وجهة النظر هذه أبو بكر الصديق •

ولكن بني هاشم الذين يعتبرون أدنى الناس قرابة من رسول الله ، فقد صمموا على أن لا يخرج سلطان محمد في العرب من داره ما دام في هذه الدار القاريء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله ، وقد مثل هذه النظرية الامام علي بن أبي طالب (٢) •

ويعتقد صاحب كتاب نظرية الامامة أنه عندما ظهرت هذه النظريات الثلاثة ظهر التشيع لعلي معبراً عن وجهة نظره ، ذلك رأي الباحثين ، حيث يقول جولدتسيهر : غير أنه نشأ بين كبار الصحابة منذ بدأت مشكلة الخلافة حزب نقم على الطريقة التي انتخب بها الخلفاء الثلاثة الأوائل وهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وقد فضل هذا الحزب بسبب هذا الاعتبار أن يختار للخلافة عليا

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٣٢ •
(٢) الامامة والسياسة : ابن قتيبة جـ ١ ص ١٠ •

ابن أبي طالب (١)

ويبدو أن صاحب كتاب ضحى الاسلام (٢) لم يقتنع بما يقوله الشيعة ، فذهب الى أن بداية التشيع كانت عقب وفاة النبي (ص) فقال : وقد بدأ التشيع من فرقة عن الصحابة كانوا مخلصين في حبهم لعلي يرونه أحق بالخلافة لصفات رأوها فيه ومن أشهرهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود .

ويذكر اليعقوبي أنه تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين وقالوا بأحقية علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي بن كعب .

ومن الملاحظ أنه كان لكل من هؤلاء دور يتفق وينسجم مع آراء ومناقب علي في أصول القيادة والهداية ، وفلسفته في الحياة الدينية والسلوكية الاجتماعية والسياسية في الاسلام . لذلك أجمع بعض الباحثين أن هؤلاء كانوا النواة التي زرعت في حديقة التشيع بعد وفاة الرسول (ص) كونهم كانوا أشد أنصاره اخلاصا وتجاوبا مع معطياته الدينية والاخلاقية ، وتكاد تجمعهم جميعا صفة واحدة مشتركة هي الزهد والايمان العميق ، فلم يشاركوا فيما شارك فيه بعض الصحابة من التمتع بنعيم الدنيا وشهواتها .

واذا وافقنا على اعتبار هؤلاء بداية التشيع ورواده ، فلا بد

---

(١) العقيدة والشريعة : جولدتسهير ص ١٧٤ .
(٢) ضحى الاسلام : احمد امين ج ٣ ص ٢٠٩ .

لنا أن نلاحظ الفرق بين الافكار الشيعية المتأثرة بتيارات فكرية متباينة ، وبين أفكار هؤلاء المبنية على الزهد والتصوف والقناعة ٠

ومع هذا يميل بعض الباحثين المحدثين الى أن يردوا بداية التشيع الى أواخر عهد عثمان أو الى ما يسمونه حركة ابن سبأ ٠ فأبو الحسين الملطي يجعل السبأية المزعومة أساسا للتشيع ، وأن زعيم هذه الفرقة عبد الله بن سبأ هو الذي بذر بذرة التشيع الأولى في الاسلام ، باعتباره يمت الى اليهودية في الأصل ، لذلك هدف من وراء بذر هذه البذرة الى تقويض دعائم الاسلام وتفرقة صفوفه (١) ٠

أما الدكتور سامي النشار فيقول : كان اليهود مؤسسي العقيدة الشيعية الغالية الحقيقيين فقد دخل بعض أحبارهم أو كهانهم في الاسلام ، وتقدموا الى العالم الاسلامي منتهزين ابعاد علي عن الخلافة بفكرة الامام المعصوم أو خاتم الأوصياء ، وتكاد تجمع كتب العقائد الاسلامية على أن عبد الله بن سبأ ـ وهو أول من دعا الى فكرة القداسة التي نسبت الى علي ـ كان يهوديا قبل الاسلام (٢) ٠

ويضيف النشار في مكان آخر قائلا : من المؤكد أن هذه الفكرة ـ الاعتقاد بأن عليا هو صاحب الحق الأول في الخلافة ـ لم تظهر على عهد أبي بكر وعمر ، ولكنها نشأت في خلافة عثمان على يد عبد الله بن سبأ ، ويمثل عبد الله بن سبأ ، تيارا باطنيا من التيارات التي كانت تعمل على هدم العالم الاسلامي ٠

---

(١) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع : ابو الحسين الملطي ص ٢٥ .
(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام : سامي النشار ص ١٨ .

أما الشيخ أبو زهرة الذي أرسل كل ما يتفاعل في أعماقه من حقد وتعصب فيقول (١) : وكان الطاغوت الاكبر عبد الله بن سبأ الذي دعا الى ولاية علي ووصايته والى رجعة النبي ، وأنه في ظل هذه الفتن نشأ المذهب الشيعي ٠

ويرجع محمد محي الدين عبد الحميد في تعليقه على كتاب « مقالات الاسلاميين » منشأ التشيع الى ابن سبأ فيقول (٢) : وعن هذه الآراء الفاسدة التي نفث سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثير من الفرق ، فمن تعاليمه تشعبت أقوال الغلاة من الشيعة ، أفليس كثير منهم يذهبون الى أن الامامة موقوفة على قوم بأعيانهم كقول الامامية ٠

ولكن برنارد لويس يضرب بهذه الافكار القائلة بأن عبد الله ابن سبأ هو الذي بذر بذور التشيع في الاسلام عرض الحائط ، ويتهم الذين يذهبون هذا المذهب بأنهم ينادون بآراء غريبة ، لا تمت الى الحقيقة والواقع بأية صلة ، فالأفكار الشيعية العرفانية التي أثرت في المنطلقات العقلانية العالمية لا يمكن أن تكون صادرة عن شخصية خرافية أسطورية كابن سبأ ٠ لذلك يتشكك في وجوده فكريا ، وينفي نفيا قاطعا أن يكون له أي أثر في التطور العقائدي للاسلام ويقول : ولكن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث وأنه صورة مثل بها في الماضي وتخيلها محدثو القرن الثاني للهجرة من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ ، وقد أظهر فلهاوزن وفريد ليندر بعد دراسة المصادر دراسة نقدية بأن المؤامرة والدعوة المنسوبتين الى ابن

---

(١) المذاهب الاسلامية : محمد ابو زهرة ص ٤٦ ٠
(٢) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٣٦ ٠

سبأ من اختلاق المتأخرين ، وبين كايتاني أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن أن يتصورها العالم العربي المعروف عام ٣٥هـ بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبـوة وأنها تعكس أحوال العصر العباسي الاول بجلاء ، فقد اقتضى قتل الامام علي واستشهاد الحسين وأتباعه المفجع في كربـلاء حدوث تبدل اجتماعي كبير قبل أن يمكن ظهور التشيع الثوري ذي الصبغة المهدوية (١) .

ونحن وان كنا نعلم تمام العلم بأن برنارد لويس من أصل يهودي لا يتورع عن توسيع شقة الخلاف بين الفرق الاسلامية اذا كان في هذا التوسيع مصلحة لليهودية العالمية ، فاننا نستهجن كل الآراء التي وردت ونشرت ، والزاعمة بأن ابن سبأ هو الذي بذر بذور الشيعة في العالم الاسلامي ، لأن هذا الزعم خـرافي وأسطوري قصد منه ابعاد الناس عن الشيعة بعد أن غرقوا في طوفانها

واليهود كما هو معروف كانوا بكثرة في الحجاز ، وخاصة في يثرب ، قبل ظهور الاسلام ، وكان لهم قوة اجتماعية،واقتصادية، وزراعية ، واندماج وثيق بالحياة العربية ، حيث توطـدت بين العرب واليهود صلة النسب والقربى ، عن طريق الزواج والمصاهرة ، حتى أن النبي (ص) تزوج من صفية اليهودية من خيبر ، لذلك أشك بأن عبد الله بن سبأ لو اعترفنا بوجوده كانسان حقيقي قد حمل الافكار اليهودية الى الاسلام ، فاذا كان في الأصل يهوديا قبل الاسلام ، أو لم يكن ، فهذا شيء طبيعي لأن جميع من اعتنقوا الاسلام كانوا من الوثنيين ، أو اليهود ،

---

(١) اصول الاسماعيلية : برنارد لويس ص ٨٧ .

أو النصارى !!

وإذا ما علمنا بأن بعض واضعي التاريخ الاسلامي في تلك الفترة كانوا يهدفون من وراء ما يدونون ويكتبون الى ارضاء من بيدهم الأمر ، والسلطان السياسي ، والديني ، من خلفاء وحكام وأمراء ، وفقهاء ، بالاضافة الى الخوف من السيوف الحادة المسلطة على الرقاب ، علما ان التاريخ الاسلامي بمجمله عامر بالتباين ، والدس ، والتجني ، والتزوير على من كان رأيه يخالف رأي الحكام !!!

والأغرب من هذا كله لا يزال بعض الكتاب من المعاصرين يجرون على قاعدة الاخذ والنقل والاقتباس عن المصادر والنصوص القديمة دون التدقيق ، والتمييز بين الواقع والخيال ، والأسطورة والحقيقة .

وليس القول بأن عبد الله بن سبأ المزعوم كان يهوديا من الغلاة الذين ساهموا بوضع أسس الغلو في الاسلام ، سوى فرية من الفريات التي لفقها الخصوم ، وحاولوا من خلالها الطعن في ماهية الأفكار الشيعية ، الخلاقة المبدعة ، فالنصوص المتعلقة بالحركات الباطنية التي ظهرت في الاسلام ، والتي نملك الكثير منها في مكتبتنا الخاصة ، لا تشير من قريب أو بعيد ، أو حتى بواسطة الرمز والاشارة الى أي مساهمة لمن يدعى عبد الله بن سبأ في تكوين هذه الحركات ، وانطلاقا من هذا يمكننا أن نجزم بأن عبد الله بن سبأ لم يكن له أية صلة ، أو علاقة تأسيسية أو تكوينية في أفكار الشيعة ، أو الحركات الباطنية التي ظهرت في الاسلام .

أما التلميح بأن هناك مخطوطات باطنية تثبت بأن ابن سبأ

كان يهوديا مندسا هو محض افتــراء وتحريض على الشيعــة خاصة ، وعلى الفرق الباطنية عامة التي زعم البعض بأنهــا تقدسه وتعتبره داعيها الاكبر ، ومؤسس عقائدها الدينيــة ، فابن سبأ مشكوك في وجوده من الناحية التاريخية ·

وفي ما قاله الدكتور طه حسين دليل بين على صحة وحقيقة ما نذهب اليه : الغريب أن هؤلاء المؤرخين قد نسوا السبأيــة نسيانا تاما أو أهملوها اهمالا كاملا حين رووا حروب صفين ·· وأقل ما يدل على اعراض المؤرخين عن السبأية وعن ابن السوداء في حرب صفين أن أمر السبأية وصاحبهم ابن السوداء انما كان متكلفا منحولا قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعــة وغيرهم من الفرق الاسلامية ، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا امعانا في الكيد لهم والنيل منهم ··· أما أنا فلا أعلل الأمرين ـ غياب ابن سبأ عن صفين وعن نشأة الخوارج ـ الا بعلة واحدة وهي أن ابن السوداء لم يكن الا وهما ، وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون وصوروا نشاطه في أواخر أيام عثمان ، وفي العام الأول من خلافة علي ، وانما هو شخص ادخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم ، ولم يدخروه للخوارج ، لأن الخوارج لم يكونوا من الجماعة ، ولم يكن لهم مطمع في الخلافة ولا في الملك ، ثــم يستدل على ذلك أن البلاذري لم يذكر شيئا عن ابن السوداء ولا أصحابه في أمر عثمان ، ثم يستغرب طه حسين كيــف أن حادثة تحريق علي الذين ألهوه ، والتي ذكرها الطبري ، كيف لم يذكرها بعض المؤرخين ، ولم يؤقتوها ، وانما أهملوهــا

اهمالا تاما (١) .

ومن الملاحظ أن مبالغة المؤرخين وكتاب الفرق في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبأ يرجع الى سبب آخر كما يزعم مؤلف كتاب نظرية الامامة غير ما ذهب اليه طه حسين ، فلقد حدثت في الاسلام أحداث سياسية ضخمة كمقتل عثمان ثم حرب الجمل وقد شارك فيها كبار الصحابة وزوجة الرسول وكلهم يتفرقون ويتحاربون ، كل هذه الأحداث تصدم وجدان المسلم المتتبع لتاريخه السياسي أن يبتلى تاريخ الاسلام هذه الابتلاءات ، ويشارك فيها كبار الصحابة الذين حاربوا مع رسول الله ، وشاركوا في وضع أسس الاسلام ، كان لا بد أن تلقى مسئولية هذه الأحداث الجسام على كاهل أحد ، ولم يكن من المعقول أن يتحمل وزر ذلك كله صحابة أجلاء أبلوا مع رسول الله بلاء حسنا ، فكان لا بد أن يقع عبء ذلك كله على ابن سبأ ، فهو الذي أثار الفتنة التي أدت لقتل عثمان ثم هو الذي حرض الجيشين يوم الجمل على الالتحام على حين غفلة من علي وطلحة والزبير ، ولم يكن أحد منهم يدري أنه سيكون قتال ، هذا في التاريخ السياسي ، أما في التاريخ الفكري فعلى عاتقه يقع أكبر انشقاق عقائدي في الاسلام بظهور الشيعة ، هذا هو تفسير مبالغة كتاب الفرق وأصحاب المذاهب ، لا سيما السلفيين والمؤرخين في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبأ ، ولكن أليس عجبا أيضا أن يعبث دخيل في الاسلام كل هذا العبث فيحرك تاريخ الاسلام السياسي والعقائدي معا على النحو الذي تم عليه،

---

(١) علي وبنوه : الدكتور طه حسين ص ٩٨ — ١٠٠ .

وكبار الصحابة شهود (١) ؟

واذا كنا نقر بعض ما ورد في هذا الرأي ، وخاصة ما قيل حول ابن سبأ بأنه كان المحرض والدافع لكل ما حدث من ثورات، وانشقاقات عقائدية في الاسلام ، ولكننا [illegible] الاستنكار هذا الدور الذي أوجده كتاب الفرق لابن سبأ ، مع زعمهم بأنه يهودي ودخيل على الاسلام ؟ ولا أدري كيف نصدق أن يقوم مثل هذا الانسان بمثل هذا الدور الهام الذي ان دل فانما يدل على تفاهة أولئك الذين سمحوا له القيام به ، وهم كما هو معروف من كبار الصحابة ، والقادة ، المشهود لهم بحسن القيادة ، ورجاحة العقل ؟

كل هذه الأمور مجتمعة تجعلنا نجزم بأن ابن سبأ ليس سوى اسطورة مدسوسة بصفاقة وقحة في وسط التيارات السياسية والعقائدية التي كانت تتصارع على مسرح العالم الاسلامي ، فاذا كان انسان هذه صفاته قد استطاع أن يلعب ذلك الدور الذي زعم أن ابن سبأ قد لعبه ، فأين كان الصحابة ، والعقلاء ، وأصحاب الرأي السديد من الصحابة والمهاجرين والانصار ؟ حتى يفسحوا له المجال للقيام بما قام به ؟!!

ولنعود الى التشيع والشيعة ، فنقول : الشيعة ، في اللغة ، يعني الانصار والأتباع • أما في الاصطلاح ، فان شيعة تطلق على كل من يتولى عليا ، وأهل بيته • قال الفيروزآبادي : وشيعة الرجل ، بالكسر ، أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد ، والاثنين ، والجمع والمذكر ، والمؤنث • وقد

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٣٩ — ٤٠ .

غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا (١) ٠

ويقول سبحانه وتعالى : « ولقد أهلكنا أشياعكم (٢) » والخطاب يعني أهل مكة ، وقال عز وجل : « كما فعل بأشياعهم من قبل (٣) » والمعني هنا أهل مكة أيضا ٠ وقوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٤) » هذا ما يذهب اليه مقاتل بن سليمان من أقدم من فسر القرآن ،وصاحب الأشباه والنظائر (٥) ٠ وهذا يفسر لنا أن لفظة « شيعة » قد وردت في الكتاب قبل ظهورها بالفعل ٠

ومن أقدم الروايات الرواية المذكورة لأبي مخنف ، والتي تضمنت كلمة « شيعة » بمعناها الدال على أتباع علي وأهل بيته ونصرتهم ٠ والتي تشير الى أن الحسن بن علي قال لأهل الكوفة : أنتم شيعتنا ٠ وورد المعنى نفسه في روايتي المنقري والمسعودي التاليتين : فالمنقري يقول ان الامام عليا قال : ان أتباع طلحة والزبير في البصرة قتلوا شيعتي وعمالي (٦) ٠

وروى المسعودي أن الامام عليا أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمت البيعة لأبي بكر ٠ ويعرف أبو الحسن الأشعري الشيعة فيقول : وانما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا

---

(١) القاموس المحيط : للفيروزبادي : مادة شاع .
(٢) سورة القمر : اية ٥١ .
(٣) سورة سبأ : اية ٥٤ .
(٤) سورة مريم : اية ٦٩ .
(٥) الاشباه والنظائر : مقاتل بن سليمان ص ١٥٤ .
(٦) وقعة صفين : نصر بن مزاحم ص ٧ .

ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله (١) • أما الشهرستاني فيفسر الشيعة قائلا : الشيعة هم الذين شايعوا عليا على الخصوص ، وقالوا بامامته وخلافته ، نصا ووصية أما جليا وأما خفيا • واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده (٢) •

ويتحدث الطوسي عن النص والوصية (٣) ويربط التشيع بالاعتقاد بكون علي اماما للمسلمين بوصيته من الرسول وبارادة من الله ، ثم يقسم النص الى نوعين : الجلي والخفي • أما النص الجلي فيقول بأن الشيعة الامامية قد تفردوا بنقله ، خاصة ـ وان كان في أصحاب الحديث من رواه على وجه نقل أخبار الأحاد ـ أما النص الخفي فيرى الطوسي ان جميع الأمة تلقته بالقبول ، وان اختلفوا في تأويله والمراد منه ، ولم يقدم أحد منهم على انكاره ممن يعتد بقوله (٤) •

أما ابن حزم فيقول : ومن وافق الشيعة في أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله (ص) وأحقهم بالامامة وولده من بعده فهو شيعي ، وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا (٥) •

ونرى الدكتور الشيبي يناقش بعض العبارات الاصطلاحية التي أدخلها الاسلام مثل الانصار ، والمهاجرين ، والتابعين ، والشيعة ، فيقول : فالأنصار تنصرف الى من ناصروا النبي (ص)

---

(١) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين : جـ ١ ص ٦٥ .
(٢) الملل والنحل : جـ ١ ص ١٣١ .
(٣) تلخيص الشافي : جـ ٢ ص ٥٦ .
(٤) المصدر نفسه ، جـ٢ ص ٤٦ .
(٥) الفصل في الملل والاهواء والنحل : جـ ٢ ص ١١٣ .

من أهل المدينة كمـــا تنصرف العبـــارات الأخرى الى دلالاتهـــا المعروفة ، وصارت عبارة « الشيعة » مختصة بمشايعـــي علي وناصريه • ويخلص الشيبي الى القول بأصالة عبارة « الشيعة » وصدورها عن روح الاسلام وطابعه الجديد في اطلاق الأوصاف على الجماعات التي يجمعها جامع معين ، وتلك الروح العربية تنعكس من طابع العرب وطراز تفكيرهم • وعبارة الاسلام نابعة من هذا المنبع ، والمسلمون هم المنقادون لله ، والانصار مـــن نصروا النبي ، والمهاجرون من هجروا الأوطان لنصرة النبي ••• والشيعة من شايعوا عليا ، وكل ذلك جار على أسلوب العرب وطابعهم (١) •

ويقول البرقي ان أصحاب علي أمير المؤمنين ينقسمون الى الأصحاب ، ثم الاصفياء ، ثم الاوفياء ، ثم الأولياء ، ثم شرطة الخميس •• ويجعل من الاصفياء سلمان الفارسي ، والمقداد ، وأبو ذر ، وعمار ، وأبو ليلى ، وشبير ، وأبو سنان ، وأبو عمره ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو برزة ، وجابر بن عبد الله ، والبراء ابن عازب ، وعرفة الازدي (٢) • واذا كان هؤلاء جميعا من أصحاب رسول الله (ص) ، وأنهم قالوا بالتشيع لعلي والتزموا بتأييده بعد وفاة الرسول ، فلا بد أن يكون رأيهم بامامة علي قد تكون في حياة الرسول (٣) •

وللدلالة على أن التشيع ظهر في زمن الرسول (ص) وقبل أن ينتقل الى جوار ربه يقول النوبختي : ان أول الفرق الشيعية

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع : ج ١ ص ١٠ •
(٢) الرجال : البرقي احمد بن ابي عبد الله ص ١ •
(٣) تاريخ الامامية : عبد الله فياض ص ٣٥ •

هم فرقة علي بن أبي طالب ، المسمون شيعة علي في زمان النبي ، وبعده معروفون بانقطاعهم اليه والقول بأمامته (١) . روى الصدوق أن ابن عباس قال : سمعت رسول الله يقول : اذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال ... (٢) . وقال رسول الله أيضا : يدخل من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، ثم التفت الى علي وقال : هم شيعتك يا علي وأنت امامهم (٣) .

وبالاضافة الى القول بأن التشيع ظهر في عهد النبي (ص) توجد آراء أخرى تذهب الى أن ظهور التشيع كان يوم السقيفة ، ويعتمد أصحاب هذا الرأي على تصريح جماعة من الصحابة يوم السقيفة بوجوب تقديم علي . روى الطبري ان الزبير اخترط سيفه ، وقال : لا أغمده حتى يبايع علي (٤) .

ويتحدث اليعقوبي عن جماعة من المهاجرين والانصار قد تخلفوا عن بيعة أبي بكر ، ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ابن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء ابن عازب ، وأبي بن كعب (٥) .

ويعلق صاحب كتاب « تاريخ الامامية » على هذا الحديث فيقول (٦) : ويصعب القول ان هؤلاء كونوا رأيهم في استحقاق

---

(١) فرق الشيعة : ص ١٥ .
(٢) علل الشرائع : ص ١٥٦ .
(٣) ارشاد القلوب : محمد الديلمي ج ١ ص ١٩٣ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك : ج ٢ ص ٤٤٤ .
(٥) التاريخ : ج٢ ص ١٠٣ .
(٦) الدكتور عبد الله فياض ص ٣٦ .

علي (ع) للامامة بعد وفاة النبي (ص) دون مقدمات ، ويبدو ان عددا منهم كونوا الرأي المذكور في حياة النبي • ثم ان استمرار طائفة من هؤلاء على ولائهم لعلي واعترافهم بامامته يدل على أن قولهم بأمامة علي لم يكن نتيجة لأفكار طارئة خلقتها ظروف بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة •

أما أولئك الذين يجعلون تاريخ ظهور الشيعة يوم الجمل فقد أشار اليهم ابن النديم فقال : ان عليا قصد طلحة والزبير ليقاتلهما حتى يفيئا الى أمر الله جل اسمه ، وتسمى من اتبعه على ذلك الشيعة ، فكان يقول شيعتي ، وسماهم عليه السلام الأصفياء ، الاولياء ، شرطة الخميس ، الأصحاب (١) •

ولكن المستشرق فلهاوزن بعد أن يعلن عن قبول رأي ابن النديم يقول : بمقتل عثمان انقسم الاسلام الى حزبين : حزب علي ، وحزب معاوية ، والحزب يطلق عليه في العربية اسم الشيعة ، فكانت شيعة علي في مقابل شيعة معاوية ، لكن لما تولى معاوية الملك في دولة الاسلام كلها ••• أصبح استعمال لفظ شيعة مقصورا على أتباع علي (٢) •

وهناك فرض آخر يرى ان تاريخ ظهور الشيعة كان بعد عودة علي من صفين ومن أشهر الذين يذهبون هذا المذهب وات مونتكومري الذي يقول : ان بداية حركة الشيعة هو أحد أيام سنة ٦٥٨م الموافق ٣٧هـ حين قال جماعة من أتباع علي اننا نوالي من والاك ونعادي من عاداك ، ويعني هذا ان هؤلاء كانوا مستعدين للقول بأنهم يقبلون بصورة مطلقة حكم علي في القضايا

---

(١) الفهرست : ص ٢٦٣ •
(٢) الخوارج والشيعة : ص ١٤٦ •

المهمة (١)· ويلاحظ أن (وات) قد اعتمد على ما ورد في الطبري الذي يقول : لما قدم علي الكوفة وفارقته الخوارج وثبت اليه الشيعة فقالوا في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت (٢) ·

وبعد هذه الآراء والأقوال التي استعرضناها والتي تتحدث عن بداية ظهور التشيع في الاسلام نرى لزاما علينا أن نشير الى بعض الآيات القرآنية الكريمة التي أوردناها والتي يمكننا أن نفهم منها أن لفظة « شيعة » كانت معروفة في اللغة العربية قبل الاسلام وظهور الامام علي بن أبي طالب وأنصاره ، باعتبار هذه اللفظة من صميم اللغة العربية منذ وجودها ، مشتقة من المشاع أو الشيوع ، أو التشيع ، وعبر التاريخ أخذت هـذه الكلمة تطلق على الانصار والأتباع حسب تفاعلات الأشخاص مع البيئة والمجتمع الذي يعيشون فيه · لذلك نرى من الصعب جدا تحديد الوقت أو الظرف الذي شاعت فيه هذه اللفظة ·

واذا أخذنا برأي الدكتور علي زيعور الذي يرى أن التشيع مصطلح قبل اسلامي يعني تضحية بالذات وجعلها مشاعيـة أي ملكا لله ، لا نكون ذهبنا بعيدا ، لانطباق المعنى وانسجامه مع الزهد والتضحية بالذات خدمة للدين ولأهل الله ، وبالوقـت نفسه لآل البيت ·

وعندما يرد زيعور كلمة التشيع الى الطقوس الجاهليـة المرتبطة بالتضحية بالنفس ، والمبايعة على الموت ، وتسليـم النفس الى خالقها ، يكون برأينا قد أصاب كبد الحقيقة ، وأعطى

---

(١) Watt, W.M., Islam and the Integration : p. 104

(٢) تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٤٦ ·

الكلمة معناها العرفاني العقلاني من الناحية العقائدية (١) • ولكننا من الناحية التاريخية السياسية لا نرى هذا الرأي ، لأن كلمة « شيعة » أول ما ظهرت في الاسلام مع ما أصابها من تطور عبر التاريخ فقد خص بها أولئك النخبة من الصحابة الذين بايعوا الامام علي بن أبي طالب وأيدوه وناصروه في حياة النبي (ص) ، ومع مرور الزمن وتطور الأحداث ، ونتيجة للصراعات العقائدية والسياسية التي حدثت في العالم الاسلامي وخاصة بعد استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، وما أصاب أنصاره من ندم كونهم قد تخلوا عن تأييده ومناصرته ، اتسع نطاق هذه الكلمة حتى شملت جميع أنصار آل البيت ومن ساندوهم في نضالهم ضد الخصوم ، والمغتصبين لحقهم في القيادة والهداية •

ولا يهمنا المكان الذي ظهرت فيه هذه الكلمة ، أو أول من قالها في الاسلام ، أو الجماعة الذين أطلقت عليهم ، بعد حادثة معينة ، أو معركة خاضوها ، ولكن الذي يهمنا طبيعة هذه الكلمة وتفاعلاتها العرفانية والعقائدية ، في الذات الاسلامية من الناحية العقلانية ، والفلسفية ، والروحية •

وليست وجهات النظر التي تصارعت في الاسلام عبر التاريخ، سواء كان ذلك في تفسير القرآن وتأويله أو رواية السنة النبوية، سوى منعطفات عرفانية ناهدة الى اظهار الحقيقية الجوهرية الفاعلة في صميم مرتكزات العقائد الاسلامية ، وتطورت وجهات النظر تلك فتحولت الى مدرسة فكرية اسلامية خاصة عرفت فيما بعد بالمذهب الجعفري أو الشيعي • ولا نكتم اذا قلنا بأن

---

(١) التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق : الدكتور علي زيعور ص ٢٢ •

وجهات النظر المغايرة لما تبناه الشيعة قد تحولت أيضا مع الزمن الى مدرسة فكرية اسلامية أخرى تضمنتها مذاهب أهل السنة المعروفة ٠

ولعل فيما ذكرناه حول جذور الشيعة وأصولها يرسم لنا صورة واضحة عن الأشخاص الذين كانوا النواة الحقيقية في تأسيس هذه العقيدة السامقة التي لا تختلف في شيء عن أصول ومرتكزات العقائد الاسلامية السمحاء ٠

الامامة والعصمة :

تعتبر العصمة بالنسبة للشيعة من أهم المناقب التي منحها الله سبحانه وتعالى للامام المنصوص عليه من آل البيت ، احتلت المكان الأسمى في المنطلقات العقائدية الشيعية الى جانب الوصاية ، والولاية ، والنص الذي لا يرجع القهقري ٠

والعصمة تعني المنع ، يقال عصمه يعصمه عصما أي منعه ووقاه ، وفي التنزيل (١) : « سآوي الى جبل يعصمني من الماء » أي يمنعني ، ولا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، أي لا مانع الا من رحمة الله ، واعتصم فلان بالله اذا امتنع به ، فالعصمة هنا تفيد الحفظ ، واعتصمت بالله أي امتنعت بلطفه عن المعصية ، وفي قوله تعالى في وصف يوسف حين راودته امرأة العزيز عن نفسها فاستعصم أي تأبى عليها ولم يجيبها الى ما طلبت ، وفي التنزيل : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر (٢) » أي بعقد نكاحهن ، اذ يقال بيده عصمة النكاح ، أي عقد النكاح ، ويقال ان أصل العصمة الحبل ، وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه ،

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ١٠٤ ٠
(٢) سورة الممتحنة : اية ١٠ ٠

ومنها قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله (١) » أي تمسكوا بعهد الله ، وكذلك في قوله تعالى « ومن يعتصم بالله (٢) » أي من تمسك بعهده (٣) .

ولكن هذا اللفظ الذي يظهر واضحا ولا يحتاج الى تأويل في المعنى أو الاستنتاج أصبح مدلوله عند المتكلمين يرمي الى معاني أعمق مما أوردها صاحب لسان العرب ، حتى أصبح هذا اللفظ يثير جدلا بين الفرق الاسلامية ، هل العصمة لطف من الله ؟ وهل هي لطف عام أم خاص بالمعصومين ؟ وهل المعصوم قادر على ارتكاب المعصية ؟ فان كان قادرا فكيف يؤمن له ألا يرتكبها ؟ وان لم يكن فأي فضل له فيما ليس بقادر عليه ؟ وهل العصمة في الكبائر أم الصغائر ؟ وعلى هذا المنوال من الاستفسارات والسؤالات العويصة انطلق مفهوم العصمة لدى أصحاب المذاهب .

ويلاحظ الدكتور أحمد صبحي (٤) أنه لم يؤثر عن الصحابة الحديث في عصمة الأنبياء ، وبالرغم من أن اليهود يصفون أنبياءهم بكثير من المعاصي والذنوب ، وبالرغم من أن المسيحيين ينزهون المسيح عن ارتكاب الخطأ بوصفه مسيحا لا بوصفه نبيا حسب عقيدتهم فيه ، فانه لم يثر جدل حول عصمة الأنبياء بين المسلمين وبين النصارى واليهود بقدر ما أثير بين المسلمين أنفسهم ، ويبدو أن الشيعة هم أول من خاض في العصمة ، يقول دونالدسن (٥) : الاعتقاد بعصمة الأنبياء ليست في الديانة

(١) سورة ال عمران : اية ١٠٣ .
(٢) سورة ال عمران : اية ١٠١ .
(٣) لسان العرب : ابن منظور جـ ١٥ ص ٢٩٦ .
(٤) نظرية الامامة ص ١٠٥ .
(٥) عقيدة الشيعة : ص ٣٢٨ .

اليهودية اذ تذكر كتب العهد القديم أخطاء الانبياء كأنها أمور اعتيادية ، ولم تشر كتب العهد الجديد الى تلاميذ المسيح أو الرسل بأنهم كانوا معصومين ، ولم يتطرق المسلمون الأوائل في جدالهم ضد المسيحية الى ذكر هذه العقيدة ، غير أنه من المحتمل أن تكون فكرة عصمة الانبياء في الاسلام مدينة في أصلها وأهميتها التي بلغتها بعدئذ الى تطور علم الكلام عند الشيعة ·

ويبرر دونالدسن ظهور هذه العقيدة عند الشيعة بقوله : فلكي يثبت الشيعة دعوى الأئمة تجاه الخلفاء السنيين أظهروا عقيدة عصمة الرسل بصفتهم أئمة أو هداة ، أما علماء السنة الذين لا يعتقدون بعصمة الأئمة فهم أيضا لا يرون أن الظلم والفسق لا يليقان بالامام ذلك هو السبب في قبولهم امامة خلفاء بني أمية وبني العباس مع ما أظهروه من الظلم والفسق (١) ·

ويعلق صاحب نظرية الامامة على تفسير دونالدسن فيقول (٢) : ان تفسير دونالدسن لمبررات ظهور هذه العقيدة عند الشيعة لا تبدو واضحة ، اذ ما العلاقة العلية بين دعوى الأئمة وبين عقيدة العصمة ، ان لدعوى الأئمة تجاه الخلفاء صلة وثيقة بالقول بوجوب امامة الافضل دون المفضول ، كما أن تفسير دونالدسن لا يبرر لماذا احتلت عقيدة العصمة أبرز مكان في الاعتقاد الشيعي في الامام حتى ان وصف الامام بأية فضيلة أخرى تتضاءل الى جانب ما أفاض فيه متكلموا الشيعة حين خلعوا العصمة على الأئمة حتى أصبحت فكرة العصمة ملازمة لعقيدة الامامة ، فمذهب عصمة الأئمة وبراءتهم من العيوب والذنوب

---

(١) العقيدة والشريعة : جولدتسهير ص ١٨٥ ·
(٢) الدكتور احمد صبحي ص ١٠٦ ·

ـ وهو مذهب أصبح عقيدة راسخة ثابتة ـ يعد أحد المبادىء الأساسية والأصول الايمانية في الاسلام الشيعي (١) .

واذا سبرنا معطيات العقائد الشيعية نلاحظ أن علماء الشيعة يرون ان العصمة تعني الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب ، وارتكاب الموبقات والمفاسد ، تجاه اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجه القهر ، أي أنه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليهما .

ويجسد الشيخ المفيد هذا المعنى فيقول (٢) : ليست العصمة مانعة من القدرة على القبح ولا مضطرة للمعصوم الى الحسن ولا ملجئة اليه بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه اذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصية له ، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله ، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة الأخيار لقوله تعالى : « ولقد اخترناهم على علم على العالمين (٣) » وقوله : « وانهم عندنا لمن المعطفين الأخيار (٤) » .

ومن الايمان الشيعي يمكننا أن نستنتج أن العصمة فعل الله جبل عليها المعصوم منذ ولادته فهي صفة كامنة فيه بموجب ذلك النور الالهي المنتقل في أصلاب الأئمة من جهة وبين الأصول الكلامية للشيعة المستندة الى قواعد قائمة على نفي الجبر والالجاء الى عقيدة اللطف الالهي من جهة أخرى (٥) .

---

(١) اوائل المقالات في المذاهب المختارات : الشيخ المفيد ص ٩٧ .
(٢) شرح عقائد الصادق : الشيخ المفيد ص ١١٤ .
(٣) سورة الدخان : اية ٣٢ .
(٤) سورة ص : اية ٤٧ .
(٥) توفيق التطبيق : علي الجيلاني ص ١٦ .

ـ وهو مذهب أصبح عقيدة راسخة ثابتة ـ يعد أحد المبادىء الأساسية والأصول الايمانية في الاسلام الشيعي (١) ٠

واذا سبرنا معطيات العقائد الشيعية نلاحظ أن علماء الشيعة يرون ان العصمة تعني الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب ، وارتكاب الموبقات والمفاسد ، تجاه اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجه القهر ، أي أنه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليهما ٠

ويجسد الشيخ المفيد هذا المعنى فيقول (٢) : ليست العصمة مانعة من القدرة على القبح ولا مضطرة للمعصوم الى الحسن ولا ملجئة اليه بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه اذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصية له ، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله ، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة الأخيار لقوله تعالى : « ولقد اخترناهم على علم على العالمين (٣) » وقوله : « وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤) » ٠

ومن الايمان الشيعي يمكننا أن نستنتج أن العصمة فعل الله جبل عليها المعصوم منذ ولادته فهي صفة كامنة فيه بموجب ذلك النور الالهي المنتقل في أصلاب الأئمة من جهة وبين الأصول الكلامية للشيعة المستندة الى قواعد قائمة على نفي الجبر والالجاء الى عقيدة اللطف الالهي من جهة أخرى (٥) ٠

---

(١) اوائل المقالات في المذاهب المختارات : الشيخ المفيد ص ٩٧ ٠
(٢) شرح عقائد الصادق : الشيخ المفيد ص ١١٤ ٠
(٣) سورة الدخان : اية ٣٢ ٠
(٤) سورة ص : اية ٤٧ ٠
(٥) توفيق التطبيق : علي الجيلاني ص ١٦ ٠

فطرة مائلة الى محسنات الأشياء ، ومنصرفة عن قبائحها وذلك لانصرافها لمشاهدة حقائق الاشياء تماما كما تشاهد النفوس غير القدسية محسوساتها ، فالمشـاهدات والاتصال بالروحانيـات والتلذذ بها صارفة لها عن القبائح كلها فتكون معصومة عنها •

وتتضمن آراء ابن أبي الحديد في العصمة أن أولها : يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور داعية الى العفة ، وثانيها : العلم بمثالب المعصية ، ومناقب الطاعة ، وثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله ، ورابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر (١) ، فاذا اجتمعت هذه الأمور كان الشخص معصوما عن المعاصي لا محالة لأن العفة اذا انضاف اليها العلم بمـا في الطاعة من السعادة وما في المعصية من الشقاء ، ثم أكد ذلـك تتابع الوحي اليه وترادفه وتظاهر البيان عنده ، وتمم ذلـك خوفه من العقاب على القدر القليل حصل من اجتماع هذه الأمور حقيقة العصمة •

ويعتقد هشام بن الحكم : ان جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها : الحرص ـ الحسد ـ الغضب ـ الشهوة ـ وهذه الصفات كلها منفية عن الامام فلا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه فهو خازن أموال المسلمين فعلى ماذا يحرص ، ولا يجوز أن يكون حسودا لأن الانسان انما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من دونه ، ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا الا أن يكون غضبه لله عز وجل قد فرض عليه اقامة حدوده ، ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر

---

(١) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد جـ ٧ ص ١٦٠ •

الدنيا على الآخرة لأن الله حبب اليه الآخرة كما حبب الينا الدنيا فهو ينظر الى الآخرة كما ننظر الى الدنيا ، فهل رأيت أحدا ترك وجها حسنا لوجه قبيح ، وطعاما طيبا لطعام مر ، وثيابا لينا لثوب خشن ، ونعمة دانية باقية لدنيا زائلة فانية (١)؟

ومما يروى عن الامام علي زين العابدين في تفسير العصمة عندما سئل عن معنى المعصوم قال: هو من اعتصم بحبل الله المتين ، أي القرآن ، فلا يفترق الامام عن القرآن الى يوم القيامة ، فالامام يهدي الناس الى القرآن ، والقرآن يهديهم الى الامام لقوله تعالى : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم (٢) » ويفسر المجلسي قول الامام علي زين العابدين قائلا : ان تفسير العصمة بالاعتصام بحبل الله اما باعتبار الله يعصم الأئمة من الذنوب بسبب اعتصامهم بالقرآن أو ان المراد بالمعصوم أن الله عصمه بالقرآن فيعمل بما جاء به ويعرف معانيه جميعا (٣) ٠

ويختم دونالدسن هذه التعريفات للعصمة كما يفهمها الشيعة اذ يقول : العصمة لطف من الله بالنسبة الى العبد فلا يجد العبد في هذا اللطف داعيا لترك الطاعة وارتكاب المعصية وأسباب اللطف أربعة (٤) :

١ ـ وجود خاصة في نفس المعصوم أو بدنه تمنعه من الفجور بمقتضى الملكة ٠

٢ ـ ان له العلم بالمعايب وقبائح المعاصي وكذلك بالمناقب والمحاسن ٠

---

(١) عقيدة الشيعة : دونالدسن ص ٣١٧ ٠
(٢) سورة الاسراء : اية ٩ ٠
(٣) عقيدة الشيعة : دونالدسن ص ٣١٨ ٠
(٤) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ١١٠ ٠ وعيون اخبار الرضا : =

٣ ـ تاكيد هذا العلم بالوحي المتتابع والالهام من الله ٠

٤ ـ أن يؤاخذه الله عما يجب تركه وما يقتضي فعله فيعلم دواما ما هو الصحيح ٠

واذا أراد المعصوم أن يفعل ما هو غير واجب أعلمه الله به ، قال تعالى في يوسف : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه (١) » فعلم أن الله لا يترك هدايته لوجوب ذلك ومنعه عما هو محرم ، فمن اجتمعت له هذه الأمور كان معصوما ،وللمعصوم القدرة على المعصية والا لم يكن له ثواب في تركها ، ولا يستحق المدح عليها ، ويكون خارجا عن التكليف ، ولا تصبح العصمة كمالا أو فضلا اذا كان الشخص معصوما بالخير ، وتتحقق العصمة بقوة العقل ، ونور الفطنة والاستعداد لذلك مع كثرة العبادة والرياضة والهداية الربانية والتوفيقات الالهية فيصبح هواه تبعا لما أنزله الله ويصل بذلك الى مقام « وما تشاءون الا أن يشاء الله » ويتحقق فيه الحديث القدسي « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها » ، فاذا وصل لذلك كان ترك الطاعة وصدور المعصية محالا ٠

ومثل المعصوم حينما يصل الى هذا المقام كمثل رجل يعمل للملك مع كمال المحبة والشفقة والاحسان والامتنان مع خشيته القوة وقدرة السلطان مع ما يشاهده من غاية المحبة ونهاية الشفقة ، فيكون من المحال عليه فعل ما يخالف رضاه مهما كان ذلك سهلا لشدة محبته ، ثم هو لفرط محبته يخجل أن يفعل في

= القمي ، محمد بن علي ج ١ ص ٥١ ٠

(١) سورة يوسف : اية ٢٤ ٠

غياب الملك ما لا يصلح فعله بحضوره ، ثم اذا كان المعصوم اختصه الله واصطفاه ثم لا يراعي رضاه يكون بالضرورة مستحقا لنهاية العقوبة ، وأية عقوبة أشد من تغير المحبة والابعاد عن مرتبة العزة والقرب ، وهكذا يكون صدور المعصية مستحيلا لا بالجبر حيث تتجرد قدرة الشخص وارادته من التأثير ، أما المعصوم فقدرته وارادته كما لدى الآخرين ، بل في امكانه أن يقدم على ما يفعله الفساق كشرب الخمر (١) ٠

واذا تعمقنا في دراسة مصنفات الشيعة التي تتناول العصمة بالبحث والمناقشة نلاحظ ان الشيعة يعتبرون أن الامام بمثابة النبي معصوم من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها ، وما بطن ، من سن الطفولة الى الموت عمدا وسهوا ٠ قال الامام علي زين العابدين : ان الامام منا لا يكون معصوما ، وليست العصمة في ظاهر الخليقة فيعرف بها ، ولذلك لا يكون الا منصوصا عليه ٠ فقيل له : فما معنى المعصوم ؟ قال : هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة ٠

ويقول الشريف المرتضى وهو يتحدث عن عصمة الأنبياء والأئمة (٢) : قالت الشيعة الامامية لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب ، كبيرا كان أو صغيرا ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، ويقولون الأئمة مثل ذلك ٠

ويقدم لنا العلامة الحلي كما ذكر في كتابه المعروف بـ « الألفين الفارق بين الحق والمين » عدد كبير من الأدلة مسندة

---

(١) عقيدة الشيعة : دونالدسن ص ٣١٨ ٠
(٢) تنزيه الانبياء : الشريف المرتضى طبع في النجف سنة ١٩٦٠ ميلادية ص ٣٠ ٠

معصوم ، وهذا الأخير روى عن النبي مباشرة ، فالأئمة لا يأتيهم الوحي ، لأن الوحي انقطع بعد وفاة النبي باجماع الأمة بما فيهم الامامية ، انما هم نقلة لآثار النبي ٠

ويؤكد المستشرق كولدزيهر بعد أن درس كل الآراء التي قيلت في العصمة : ومن تعاليم الشيعة أن الأقوال والروايات التي ترجع الى رواية أكيدة عن الأئمة ، هي أقوى في الاثبات والتيقن من الادراك المباشر للحواس ، وذلك لعصمة من روى عنهم وتنزههم عن الخطأ ، وهذه الاقوال أهل لأن تهب المرأ يقينا صحيحا مطلقا أصح من ذلك اليقين المكتسب بطريق الحواس المعرضة للوهم والخداع (١) ٠

الامامة والفلسفة :

قدم فلاسفة الاسلام أعمق أفكارهم الفلسفية ، ونظرياتهم العرفانية ، لدعم عقائدهم الدينية ، المنبثقة من صميم الرسالة الاسلامية السمحاء ، التي يقوم عليها البنيان الأساسي للفلسفة التوحيدية ، الناهدة الى معرفة جوهر الماورائيات الالهية ٠ ومن الطبيعي أن يساهم فلاسفة الشيعة في هذه الافكار العقلانية ، ويبلورها حتى تنسجم مع منطلقاتهم العقائدية الرئيسية المتعلقة بالنبوة ، والامامة ، والعصمة ، والوصية ، والمبدأ والمعاد ٠

والمعتقد العرفاني الأساسي الذي يشمخ عليه البنيان العرفاني الشيعي ، والذي يعتبر حلقة الاتصال بين النبوة وخلافة الله في الأرض ، هو الامامة ، وقد عبر فلاسفة الشيعة

---

(١) العقيدة والشريعة في الاسلام : ص ١٨٩ ٠

عن طريق التأويل الفلسفي العقلاني عن لزوم اجتماع الدين والدنيا في يد النبي أو الامام الذي يمثله بعد وفاته ويقوم مقامه ، وهذا التمثيل بين النبوة والامامة ينسجم مع تقسيمات الكواكب والأفلاك وتحركاتها في عالمها الجرماني •

وأول الفلاسفة الذين نستعرض بعض نظرياتهم وأفكارهم العرفانية التي تنسجم مع العقائد الشيعية هو المعلم الثاني الفارابي لما لهذه النظريات والأفكار من منطلقات عرفانية الهية •

وليست نظرية الفارابي في النبوة وتفسير الوحي ، سوى ركيزة ثابتة قوية من الركائز الفلسفية التي يعتمد عليها أصحاب العقائد الحقانية الناهدة الى الفناء بالذات والتسرمد ووجود الواجب الوجود المحض ، التام ، المطلق الذي يعني المبدع الخالق الذي أوجد كافة الموجودات العلوية والسفلية ، والعالم صدر كما يرى الفارابي عن الموجود الأول أو واجب الوجود الموجود بذاته وليس لوجوده سبب ، بل هو السبب لوجود سائر الموجودات ، وهو بريء من جميع أنحاء النقص • من أجل ذلك كان وجوده أقدم الوجود وأفضل الوجود معا •

والموجود الأول كان دائما موجودا بالفعل ، ولم يكن قط موجودا بالقوة ـ أي أنه لم يوجد بعد ان لم يكن ـ ، وكذلك ليس له أفعال بالقوة ، ـ أي أفعال لم تظهر بعد ـ من أجل ذلك هو أزلي دائم الوجود بجوهره وذاته • ثم هو ليس مادة ، وليس هو صورة ، لأن الصورة لا تقوم الا في مادة • وكذلك ليس لوجوده غاية ، والا لكانت تلك الغاية أسبق منه في الوجود المطلق ولما كان هو موجودا أولا •

والموجود الأول مخالف لكل موجود آخر ، فلا يمكن أن يكون

ثمة شيء مثله حتى يكون شريكا له • ثم هو منفرد بوجوده وبرتبته لا ضد له • والضد عادة يشرك ضده أو يوازيه ،فيبطل ضده مرة ويبطله مرة أخرى ، وما دام هو موجودا ولم يبطله شيء ، فذلك دليل على أن ليس له ضد (١) •

والموجود الأول ليس له حد ، أي تعريف دال على ماهيته ، ان الحد في الاصل وصف لاقسام الشيء المراد تعريفه ، فاذا عرفنا تلك الاجسام عرفناه • وبما أن الموجود الاول واحد من كل جهة وليس فيه أقسام ، فلا يمكن أن يكون له حد أو تعريف • وبما أن الموجود الأول لا يشبهه شيء من الموجودات ، كان كل ما فيه خاصا به وحده ، ولذلك كانت وحدته عين ذاته وعين وجوده • ثم بما أن وجوده ليس مادة ولا صورة ، فانه عقل بالفعل ، لأن العقل هو الموجود الوحيد الذي لا يحتاج في قوامه الى مادة أو صورة • وبما أنه أيضا مخالف لكل موجود آخر ، فلا يمكن للموجودات الأخرى أن تدركه • ولا هو محتاج الى أن (٢) يدرك شيئا شبيها به من خارجه ليستعين بذلك على ادراك نفسه كما نفعل نحن عادة • ولذلك لا يدركه الا هو • وهذا معنى قولنا : انه يعقل نفسه • ومثل ذلك قولنا أنه عالم يعلم نفسه •

واذا قلنا أنه حكيم ، فاننا نعني أنه يعلم أفضل الأشياء علما دائما • وهو الحق ، لأن حقيقة الشيء هي الوجود الذي يخصه ، والحق انما هو الموجود من جهة ما هو معقول • ثم هو حي لأنه يعقل الموجودات على ناهي (على نهاية الكمال من

---

(١) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٣٨ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٣٩ •

الادراك للموجودات) .

غير أننا نحن ندرك الموجود الاول ادراكا ناقصا لضعف قوى عقولنا ، لأن تلك القوى متلبسة بالمادة التي من شأنها أن تلحق بما يتلبس بها نقصا . ومن أجل المادة التي فينا كان جوهرا بعيدا عن جوهره . ولكن كلما استطعنا أن نكون مفارقين للمادة - بالعلم وبتخلص النفس من أسر الجسد - أصبح ادراكنا للموجودات الأول أكثر كمالا . ولله عظمة وجلال ومجد هي له بحسب كماله هو ، وفي جوهره نفسه ، اذ لا يوجد خارجه ما هو أعظم منه أو مثله حتى يقارن بينهما . ولذلك يلتذ الموجود الأول بنفسه ويعشق ذاته لأن ادراكه لنفسه هو الادراك الاتقن .

وهو مباين بجوهره لكل ما سواه ، ولا يمكن أن يكون الوجود الذي له لشيء آخر سواه ، لأن كل ما وجوده هذا الوجود لا يمكن أن يكون بينه وبين شيء آخر له أيضا هذا الوجود مباينة أصلا ، ولا تغاير أصلا ، فلا يكون اثنان ، بل يكون هناك ذات واحد فقط ، لأنه ان كانت بينهما مباينة كان الذي تباينا به غير الذي اشتركا فيه . فيكون الشيء الذي باين كل واحد منهما الآخر جزءا مما به قوام وجودهما ، والذي اشتركا فيه هو الجزء الآخر . فيكون كل واحد منهما منقسما بالقول ، ويكون كل واحد من جزئيه سببا لقوام ذاته ، فلا يكون أولا ، بل يكون هناك موجود آخر أقدم منه هو سبب لوجوده ، وذلك محال (١) .

وان كان ذلك الآخر هو الذي فيه ما باين به هذا ، ولم يكن في شيء يباين به ذلك الا بعد الشيء الذي به باين ذلك ، لزم أن يكون الشيء الذي به باين ذلك الآخر هذا هو الوجود الذي

---

(١) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٤٠ .

يخص ذاك • ووجود هذا مشترك لهما ، فاذن ذلك الآخر وجود مركب من شيئين : من شيء يخصه ، ومن شيء يشارك به هذا ، فليس اذن وجود ذاك هو وجود هذا ، بل ذات هذا بسيط غير منقسم ، وذات ذاك منقسم • فلذلك اذن جزآن بهما قوامه • فلوجوده اذن سبب • فوجوده اذن دون وجود هذا وأنقص منه • فليس هو اذن من الوجود في الرتبة الأولى • وأيضا فانه لو كان مثل وجوده في النوع خارجا منه بشيء آخر ، لم يكن تام الوجود، لأن التام هو ما لا يمكن أن يوجد خارجا منه وجود من نوع وجوده ، وذلك في أي شيء كان ، لأن التام في العظم هو ما لا يوجد عظم خارجا منه ، والتام في الجمال هو الذي لا يوجد جمال من نوع جماله خارجا منه ، وكذلك التام في الجوهر هو ما لا يوجد شيء من نوع جوهره خارجا منه ، وكذلك كل ما كان من الاجسام تاما ، لم يمكن أن يكون من نوعه شيء آخر غيره ، مثل الشمس والقمر وكل واحد من الكواكب الأخر • اذا كان الأول تام الوجود لم يمكن أن يكون ذلك الوجود لشيء آخر غيره • فاذن هو منفرد الوجود وحده ، فهو واحد من هذه الجهة •

وأيضا فانه لا يمكن أن يكون له ضد ، وذلك يتبين اذا عرف معنى الضد ، فان الضد مباين للشيء ، فلا يمكن أن يكون ضد الشيء هو الشيء أصلا • ولكن ليس كل مباين هو الضد ، ولا كل ما لم يمكن أن يكون هو الشيء هو الضد • لكن كل ما كان مع ذلك معاندا ، شأنه أن يبطل كل واحد منهما الآخر ويفسده اذا اجتمعا ، ويكون شأن كل واحد منهما أنه أن يوجد حيث الآخر موجود يعدم الآخر ، ويعدم من حيث هو موجود فيه لوجود الآخر في الشيء الذي كان فيه الأول • وذلك عام في كل شيء

يمكن أن يكون له ضد ٠ فانه ان كان الشيء ضــدا للشيء في فعله ، لا في سائر أحواله ، فان فعليهما فقط بهذه الصفة ، فان كانا متضادين في كيفيتهما ، فكيفيتهما بهذه الصفة ، وان كانا متضادين في جوهرهما ، فجوهرهما في هذه الصفة (١) ٠

وان كان الأول له ضد فهو من ضده بهذه الصفة ، فيلزم أن يكون شأن كل واحد منهما أن يفسد ، وأن يمكن في الأول أن يبطل عن ضده ، ويكون ذلك في جوهره ٠ وما يمكن أن يفسد فليس قوامه وبقاؤه في جوهره ، بل يكون جوهره غير كاف في أن يبقى موجودا ، ولا أيضا يكون جوهره كافيا في أن يحصــل موجودا ، بل يكون ذلك بغيره ٠ وأما ما أمكن أن لا يوجد فلا يمكن أن يكون أزليا ، وما كان جوهره ليس بكاف في بقائه أو وجوده ، فلوجوده أو بقائه سبب آخر غيره ، فلا يكون أولا ٠ وأيضا فان وجوده انما يكون لعدم ضده ٠ فعدم ضده اذن هو سبب وجوده ، فليس اذن هو السبب الأول على الاطلاق ٠

وأيضا فانه يلزم أن يكون لهما أيضا حيث ما مشترك ، قابل لهما ، حتى يمكن بتلاقيهما فيه أن يبطل كل واحد منهما الآخر، أما موضوع أو جنس أو شيء آخر غيرهما ، ويكون ذلك ثابتا ، ويتعاقب هذان عليه ٠ فذلك اذن هو أقدم وجودا من كل واحد منهما ٠

وان وضع واضع شيئا غير ما هو بهذه الصفة ضد الشيء ، فليس الذي يضعه ضدا ، بل مباينا مباينة أخرى سوى مباينة الضد ، ونحن لا ننكر أن يكون للأول مباينات أخر سوى مباينة الضد وسوى ما يوجد وجوده ٠ فاذن لم يمكن أن يكون موجود

---

(١) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٤٢ ٠

ما في مرتبة وجوده ، لأن الضدين هما في رتبة واحدة من الوجود • فاذن الأول منفرد بوجوده ، لا يشاركه شيء آخر أصلا موجود في نوع وجوده • فهو اذن واحد ، وهو مع ذلك منفرد أيضا برتبته وحده • فهو أيضا واحد من هذه الجهة •

وبعد هذا العرض الشيق حول الموجود الأول وكونه مخالف لكافة الموجودات العلوية والسفلية يرى الفارابي أن وحدته عين ذاته ، وأنه حق وحي وحياة فيقول : فان وجوده الذي به ينحاز عما سواه من الموجودات لا يمكن أن يكون غير الذي هو به في ذاته موجود • فلذلك يكون انحيازه عن ما سواه توحده في ذاته • وان أحد معاني الوحدة هو الوجود الخاص الذي به ينحاز كل موجود عما سواه ، وهي التي بها يقال لكل موجود واحد من جهة ما هو موجود الوجود الذي يخصه ، وهذا المعنى من معاني الواحد يساوق الموجود الأول • فالأول أيضا بهذا الوجه واحد ، وأحق من كل واحد سواه باسم الواحد ومعناه(١) •

ولأنه ليس بمادة ، ولا مادة له بوجه من الوجوه ، فانه بجوهره عقل بالفعل • لأن المانع للصورة أن تكون عقلا وأن تعقل بالفعل ، هو المادة التي فيها يوجد الشيء • فمتى كان الشيء في وجوده غير محتاج الى مادة ، كان ذلك الشيء بجوهره عقلا بالفعل : وتلك حال الأول • فهو اذن عقل بالفعل • وهو أيضا معقول بجوهره • فان المانع أيضا للشيء من أن يكون بالفعل معقولا هو المادة • وهو معقول من جهة ما هو عقل ، لأن الذي هويته عقل ليس يحتاج في أن يكون معقولا الى ذات أخرى خارجة عنه تعقله ، بل هو بنفسه يعقل ذاته ، فيصير بما يعقل

---

(١) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٤٦ .

من ذاته عاقلا وعقلا بالفعل ، وبأن ذاته تعقله يصير معقولا بالفعل (١) • وكذلك لا يحتاج في أن يكون عقلا بالفعل وعاقلا بالفعل الى ذات يعقلها ويستفيدها من خارج ، بل يكون عقلا وعاقلا بأن يعقل ذاته • فان الذات التي تعقل هي التي تعقل ، فهو عقل من جهة ما هو معقول ، فانه عقل وانه معقول وانه عاقل • هي كلها ذات واحدة وجوهر واحد غير منقسم • فان الانسان مثلا معقول وليس المعقول منه معقولا بالفعل ، بل كان معقولا بالقوة ثم صار معقولا بالفعل بعد أن عقله العقل• فليس اذن المعقول من الانسان هو الذي يعقل ، ولا العقل منه أبدا هو معقول ، ونحن عاقلون لا بأن جوهرنا عقل ، فان ما نعقل ليس هو الذي به تجوهرنا • فالأول ليس كذلك ، بل العقل والعاقل والمعقول فيه معنى واحد ، وذات واحدة ، وجوهر واحد غير منقسم •

وكذلك الحال في أنه عالم ، فانه ليس يحتاج في أن يعلم الى ذات أخرى يستفيد بعلمها الفضيلة خارجة عن ذاته ، ولا في أن يكون معلوما الى ذات أخرى تعلمه ، بل هو مكتف بجوهره في أن يعلم ويعلم • وليس علمه بذاته شيئا سوى جوهره ، فانه يعلم وانه معلوم وأنه علم ، فهو ذات واحدة وجوهر واحد •

وكذلك في أنه حكيم • فان الحكمة هي أن العقل فضل الأشياء بأفضل علم ، وبما يعقل من ذاته ويعلمه يعلم أفضل الأشياء • وأفضل العلم هو العلم الدائم الذي لا يمكن أن يزول، وذلك هو العلم الدائم الذي لا يمكن أن يزول ، وذلك هو علمه بذاته ، وكذلك بالنسبة في أنه حق ، وأنه حي • فان الحركة

---

(١) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٤٧ •

والزمان واللانهاية والعلوم وأشباهها من الموجودات ، فالمعقول من كل واحد منها في نفوسنا معقول ناقص ، اذ كانت هي في أنفسها موجودات ناقصة الوجود • والعدد والمثلث والمربع وأشباهها فمعقولاتها في أنفسنا أكمل لأنها هي في أنفسنا أكمل وجودا ، فلذلك كان يجب في الأول ، اذ هو في الغاية من كمال الوجود ، أن يكون المعقول منه في نفوسنا على نهاية الكمال أيضا • ونحن نجد الأمر على غير ذلك ، فينبغي أن نعلم أنه من جهته غير معتاص الادراك ، اذ كان في نهاية الكمال ، ولكن لضعف عقولنا نحن وللابستها المادة والعدم ، يعتاص ادراكه ، ويعسر علينا تصوره ، ونضعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده • كذلك قياس السبب الاول ، والعقل الاول ، والحق الاول ، وعقولنا نحن • ليس نقص معقوله عندنا لنقصانه في نفسه ، ولا عسر ادراكنا له لعسره في وجوده ، لكن لضعف قوى عقولنا نحن عسر تصوره •

ويلاحظ مما تقدم أن الفارابي يبني فلسفته الماورائية على أنه من الثابت من وجود الموجودات ، لا بد من وجود كائن واجب الوجود ، موجود بذاته ، ووجوده علة وجود كافة الموجودات ، العلوية والسفلية ، وهذا ما يسميه السبب الاول ، والعقل الاول ، والموجود الاول بذاته ، الذي يمد ولا يستمد •

اما نظرية الفارابي في الوجود ، وكيف صدر العالم عن الموجود الاول أو واجب الوجود ، فيرى أن الموجود الثاني قد صدر منذ الأزل عن واجب الوجود بفيض منه نتيجة تعقله ذاته ، والموجود الثاني هو الفلك الاكبر أو الكل ، ثم تأتي بعده عقول الأفلاك الثمانية تباعا يصدر بعضها عن بعض ، فيصدر عنها

الأجرام السماوية وتلك هي المرتبة الثانية في الوجود ، ثم تأتي مرتبة ثالثة حيث يصدر العقل الفعال الذي يصل العالم العلوي بالعالم السفلي ، ثم تأتي النفس في المرتبة الرابعة ، ولا يظل العقل أو النفس على حالة الوحدة الخالصة ، وانما تتكثر بتكثر أفراد الانسان ، وهكذا تتسلسل مراتب الموجودات الى أن تصل الى أقصى درك العالم السفلي حيث الجمادات (١) .

والجدير بالملاحظة أن الفارابي بعد أن يعرض نظريته عن كيفية وجود الموجودات العلوية والسفلية يعمد الى ايجاد نظرية أخرى تتعلق بكيفية الاتصال بالعقل الفعال ، وان هذا الاتصال ليس مقتصرا على الأنبياء والرسل ، انما يشاركهم بهذا الاتصال الأئمة ، فيقول : ولما كانت كل مرتبة في هذه الموجودات تتطلع الى التي فوقها فان النفس الانسانية تترقى من المحسوس الى العقول بواسطة القوة المتخيلة ، فان استكملت قوة الانسان المتخيلة بالطبع غاية الكمال ، فان هذه القوة تكون منه معدة بالطبع ، اما في وقت اليقظة ، أو في وقت النوم ، لتقبل المعقولات من العقل الفعال ، وان استكمل الانسان عقله المنفعل بالمعقولات وأصبح أشد مفارقة للمادة مقتربا من العقل الفعال ، فلا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر ، فان حصل ذلك في كلا قوتيه الناطقة النظرية والعملية ثم المتخيلة ، كان هذا الانسان هو الذي يوحي اليه الله عز وجل بتوسط العقل الفعال (٢) .

ويلاحظ أن الفارابي يفرد في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » فعلين متكاملين في سبب المنامات وفي الوحي ورؤية

---

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام : ديبور ص ٢١٠ .
(٢) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٨٥ .

والزمان واللانهاية والعلوم وأشباهها من الموجودات ، فالمعقول من كل واحد منها في نفوسنا معقول ناقص ، اذ كانت هي في أنفسها موجودات ناقصة الوجود • والعدد والمثلث والمربع وأشباهها فمعقولاتها في أنفسنا أكمل لأنها هي في أنفسنا أكمل وجودا ، فلذلك كان يجب في الأول ، اذ هو في الغاية من كمال الوجود ، أن يكون المعقول منه في نفوسنا على نهاية الكمال أيضا • ونحن نجد الأمر على غير ذلك ، فينبغي أن نعلم أنه من جهته غير معتاص الادراك ، اذ كان في نهاية الكمال ، ولكن لضعف عقولنا نحن وللابستها المادة والعدم ، يعتاص ادراكه ، ويعسر علينا تصوره ، ونضعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده • كذلك قياس السبب الاول ، والعقل الاول ، والحق الاول ، وعقولنا نحن • ليس نقص معقوله عندنا لنقصانه في نفسه ، ولا عسر ادراكنا له لعسره في وجوده ، لكن لضعف قوى عقولنا نحن عسر تصوره •

ويلاحظ مما تقدم أن الفارابي يبني فلسفته الماورائية على أنه من الثابت من وجود الموجودات ، لا بد من وجود كائن واجب الوجود ، موجود بذاته ، ووجوده علة وجود كافة الموجودات ، العلوية والسفلية ، وهذا ما يسميه السبب الاول ، والعقل الاول ، والموجود الاول بذاته ، الذي يمد ولا يستمد •

اما نظرية الفارابي في الوجود ، وكيف صدر العالم عن الموجود الاول أو واجب الوجود ، فيرى أن الموجود الثاني قد صدر منذ الأزل عن واجب الوجود بفيض منه نتيجة تعقله ذاته، والموجود الثاني هو الفلك الاكبر أو الكل ، ثم تأتي بعده عقول الأفلاك الثمانية تباعا يصدر بعضها عن بعض ، فيصدر عنها

الأجرام السماوية وتلك هي المرتبة الثانية في الوجود ، ثم تأتي مرتبة ثالثة حيث يصدر العقل الفعال الذي يصل العالم العلوي بالعالم السفلي ، ثم تأتي النفس في المرتبة الرابعة ، ولا يظل العقل أو النفس على حالة الوحدة الخالصة ، وانما تتكثر بتكثر أفراد الانسان ، وهكذا تتسلسل مراتب الموجودات الى أن تصل الى أقصى درك العالم السفلي حيث الجمادات (١) .

والجدير بالملاحظة أن الفارابي بعد أن يعرض نظريته عن كيفية وجود الموجودات العلوية والسفلية يعمد الى ايجاد نظرية أخرى تتعلق بكيفية الاتصال بالعقل الفعال ، وان هذا الاتصال ليس مقتصرا على الأنبياء والرسل ، انما يشاركهم بهذا الاتصال الأئمة ، فيقول : ولما كانت كل مرتبة في هذه الموجودات تتطلع الى التي فوقها فان النفس الانسانية تترقى من المحسوس الى العقول بواسطة القوة المتخيلة ، فان استكملت قوة الانسان المتخيلة بالطبع غاية الكمال ، فان هذه القوة تكون منه معدة بالطبع ، اما في وقت اليقظة ، أو في وقت النوم ، لتقبل المعقولات من العقل الفعال ، وان استكمل الانسان عقله المنفعل بالمعقولات وأصبح أشد مفارقة للمادة مقتربا من العقل الفعال ، فلا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر ، فان حصل ذلك في كلا قوتيه الناطقة النظرية والعملية ثم المتخيلة ، كان هذا الانسان هو الذي يوحي اليه الله عز وجل بتوسط العقل الفعال (٢) .

ويلاحظ أن الفارابي يفرد في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » فعلين متكاملين في سبب المنامات وفي الوحي ورؤية

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام : ديبور ص ٢١٠ .
(٢) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٨٥ .

الملك يصعد في نهايتهما الى مرتبة النبوة محاولا تأويلها وشرحها شرحا علميا فلسفيا ، فيقول : « والقوة المتخيلة متوسطة بين الحاسة وبين الناطقة ، وعندما تكون رواضع الحاسة كلها تحس بالفعل وتفعل أفعالها ، تكون القوة المتخيلة منفعلة عنها ، مشغولة بما تورده الحواس عليها من المحسوسات وترسمه فيها ٠ وتكون هي أيضا مشغولة بخدمة القوة الناطقة ، وبارفاد القوة النزوعية (١) ٠

فاذا صارت الحاسة والنزوعية والناطقة على كمالاتها الأول، بأن تفعل أفعالها ، مثل ما يعرض عند حال النوم ، انفردت القوة المتخيلة بنفسها ، فارغة عما تجدده الحواس عليها دائما من رسوم المحسوسات ، وتخلت عن خدمة القوة الناطقة والنزوعية ، فتعود الى ما تجده عندها من رسوم المحسوسات محفوظة باقية ، فتفعل فيها بأن تركب بعضها الى بعض ،وتفصل بعضها عن بعض ٠ ولها ، مع حفظها رسوم المحسوسات وتركيب بعضها الى بعض ، فعل ثالث : وهو المحاكاة ٠ فانها خاصة من بين سائر قوى النفس لها قدرة على محاكاة الاشياء المحسوسة التي تبقى محفوظة فيها ٠ فأحيانا تحاكي المحسوسات بالحواس الخمس ، بتركيب المحسوسات المحفوظة عندها المحاكية لتلك ، وأحيانا تحاكي المعقولات ، وأحيانا تحاكي القوة الغاذية ، وأحيانا تحاكي القوة النزوعية ، وتحاكي أيضا ما يصادف البدن عليه المزاج (٢) ٠ فانها ، متى صادفت مزاج البدن رطبا ،حاكت الرطوبة بتركيب المحسوسات التي تحاكي الرطوبة ، مثل المياه

---

(١) اراء اهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص ١٠٨ ٠

(٢) اراء اهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص ١٠٩ ٠

والسباحة فيها • ومتى كان مزاج البدن يابسا ، حاكت يبوسة البدن بالمحسوسات التي شأنها أن تحاكي بها اليبوسة • وكذلك تحاكي حرارة البدن وبرودته ، اذا اتفق في وقت من الأوقات ان كان مزاجه في وقت ما حارا أو باردا • وقد يمكن ، ان كانت هذه القوة هيئة وصورة في البدن ، أن يكون البدن ، اذا كان على مزاج ما ، أن يفعل البدن فيها ذلك المزاج • غير أنها لما كانت نفسانية ، كان قبولها لما يفعل فيها البدن من المزاج على حسب ما في طبيعتها أن تقبله ،لا على حسب ما في طبيعة الاجسام أن تقبل المزاجات ، فان الجسم الرطب ، متى فعل رطوبة في جسم ما ، قبل الجسم المنفعل الرطوبة ، فصار رطبا مثل الاول• وهذه القوة ، متى فعل فيها رطوبة أو أدنيت اليها رطوبة ، لم تصر رطبة ، بل تقبل تلك الرطوبة بما تحاكيها من المحسوسات• كما ان القوة الناطقة ، متى قبلت الرطوبة ، فانها انما تقبل ماهية الرطوبة بأن تعقلها ، ليست الرطوبة نفسها ، كذلك هذه القوة متى فعل فيها شيء ، قبلت ذلك عن الفاعل على حسب ما في جوهرها واستعدادها أن تقبل ذلك (١) •

فأي شيء ما فعل فيها ، فانها ان كان في جوهرها أن تقبل ذلك الشيء ، وكان مع ذلك في جوهرها أن تقبله كما ألقي عليها ، قبلت ذلك بوجهين : أحدهما بأن تقبله كما هو وكما ألقي عليها ، والثاني بأن تحاكي ذلك الشيء بالمحسوسات التي شأنها أن تحاكي ذلك الشيء بالمحسوسات التي تصادفها عندها مما شأنها أن تحاكي ذلك الشيء • ولأنها ليس لها أن تقبل المعقولات معقولات ، فان القوة الناطقة ، متى أعطتها المعقولات

---

(١) المدينة الفاضلة : الفارابي : ص ١١٠ .

التي حصلت لديها ، لم تقبلها كما هي في القوة الناطقة ، لكن تحاكيها بما تحاكيها من المحسوسات • ومتى أعطاها البدن المزاج الذي يتفق أن يكون له في وقت ما ، قبلت ذلك المزاج بالمحسوسات التي تتفق عندها مما شأنها أن تحاكي ذلك المزاج • ومتى أعطيت شيئا شأنه أن يحس قبلت ذلك أحيانا كما أعطيت ، وأحيانا بأن تحاكي ذلك المحسوس بمحسوسات أخر تحاكيه (١) •

واذا صادفت المخيلة القوة النزوعية مستعدة استعدادا قريبا لكيفية ما أو هيئة ، مثل غضب أو شهوة أو لانفعال ما بالجملة ، حاكت القوة النزوعية بتركيب الافعال التي شأنها أن تكون عن تلك الملكة التي توجد في القوة النزوعية معدة ، في ذلك الوقت ، لقبولها • ففي مثل هذا ، ربما أنهضت القوى الرواضع الأعضاء الخادمة لأن تفعل في الحقيقة الافعال التي شأنها أن تكون بتلك الاعضاء عندما تكون في القوة النزوعية تلك الافعال ، فتكون القوة المتخيلة بهذا الفعل ، أحيانا ، تشبه الهازل ، وأحيانا تشبه الميت • ثم ليس بهذا فقط ، ولكن اذا كان مزاج البدن مزاجا شأنه أن يتبع ذلك المزاج انفعال ما في القوة النزوعية ، حاكت ذلك المزاج بأفعال القوة النزوعية الكائنة عن ذلك الانفعال ، وذلك من قبل أن يحصل ذلك الانفعال • فتنهض الاعضاء ، التي فيها القوة الخادمة للقوة النزوعية ، نحو (٢) تلك الافعال بالحقيقة • من ذلك ، ان مزاج البدن اذا صار مزاجا شأنه أن يتبع ذلك المزاج في القوة النزوعية شهوة النكاح ، حاكت المتخيلة ذلك المزاج بأفعال

---

(١) الفارابي : الدكتور مصطفى غالب ص ١٨٤ منشورات دار الهلال بيروت .
(٢) اراء اهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص ١٢٢ .

النكاح ، فتنهض أعضاء هذا الفعل للاستعداد نحو فعل النكاح ، لا عن شهوة حاصلة في ذلك الوقت ، لكن لمحاكاة القوة المتخيلة للشهوة بأفعال تلك الشهوة • وكذلك في سائر الانفعالات ، وكذلك ربما قام الانسان من نومه فضرب آخر ، أو قام ففر من غير أن يكون هناك وارد من خارج • فيقوم ما تحاكيه القوة المتخيلة من ذلك الشيء مقام ذلك الشيء لو حصل في الحقيقة • وتحاكي أيضا القوة الناطقة بأن تحاكي ما حصل فيها من المعقولات بالأشياء التي شأنها أن تحاكي بها المعقولات • فتحاكي المعقولات التي في نهاية الكمال ، مثل السبب الأول والاشياء المفارقة للمادة والسموات ، بأفضل المحسوسات وأكملها ، مثل الأشياء الحسنة المنظر • وتحاكي المعقولات الناقصة بأخس المحسوسات وأنقصها ، مثل الاشياء القبيحة المنظر • وكذلك تحاكي تلك القوة سائر المحسوسات اللذيذة المنظر (١) •

والعقل الفعال ، لما كان هو السبب في أن تصير به المعقولات التي هي بالقوة معقولات بالفعل ، وأن يصير ما هو عقل بالقوة عقلا بالفعل ، وكان ما سبيله أن يصير عقلا بالفعل هي القوة الناطقة ، وكانت الناطقة ضربين : ضربا نظريا ، وضربا عمليا ، وكانت العملية هي التي شأنها أن تفعل الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، والنظرية هي التي شأنها أن تعقل المعقولات التي شأنها أن تعلم ، وكانت القوة المتخيلة مواصلة لضربي القوة الناطقة ، فان الذي تنال القوة الناطقة عن العقل الفعال ــ وهو الشيء الذي منزلته الضياء من البصر ــ قد يفيض منه على القوة المتخيلة • فيكون للعقل الفعال في القوة المتخيلة فعل ما ،

---

(١) المدينة الفاضلة ــ الفارابي ص ١٢٣ •

تعطيه أحيانا المعقولات التي شأنها أن تحصل في الناطقة النظرية، وأحيانا الجزئيات المحسوسات التي شأنها أن تحصل في الناطقة العملية ، فتقبل القوة المتخيلة المعقولات بما يحاكيها من المحسوسات التي تركبها هي • وتقبل الجزئيات أحيانا بأن تتخيلها كما هي ، وأحيانا بأن تحاكيها بمحسوسات أخر ، وهذه هي التي شأن الناطقة العملية أن تعملها بالروية • فمنها حاضرة ، ومنها كائنة في المستقبل • الا أن ما يحصل للقوة المتخيلة من هذه كلها ، بلا توسط روية • فلذلك يحصل في هذه الأشياء بعد أن يستنبط بالروية ، فيكون ما يعطيه العقل الفعال للقوة المتخيلة من الجزئيات ، بالمنامات والرؤيات الصادقة ، وبما يعطيها من المعقولات التي تقبلها بأن يأخذ محاكاتها مكانها بالكهانات على الاشياء الالهية • وهذه كلها قد تكون في النوم ، وقد تكون في اليقظة • الا أن التي تكون في اليقظة قليلة وفي الأقل من الناس ، فأما التي في النوم فأكثرها الجزئيات ، وأما المعقولات فقليلة (١) •

وذلك : ان القوة المتخيلة اذا كانت في انسان ما قوية كاملة جدا ، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج ولا تستولي عليها استيلاء يستغرقها بأسرها ، ولا أخدمتها للقوة الناطقة ، بل كان فيها ، مع احتفالها بهذين ، فضل كثير تفعل به أيضا أفعالها التي تخصها ، وكانت حالها عند اشتغالها بهذين في وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منهما في وقت النوم ، ولما كان كثير من هذه التي يعطيها العقل الفعال ، فتتخيلها القوة المتخيلة بما تحاكيها من المحسوسات المرئية ، فان تلك المتخيلة تعود فترتسم

(١) اراء اهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص ١٢٤ .

القوة الحاسة (١) ٠

فاذا حصلت رسومها في الحاسة المشتركة ، انفعلت عن تلك الرسوم القوة الباصرة ، فارتسمت فيها تلك ، فيحصل عما في القوة الباصرة منها رسوم تلك في الهواء المضيء المواصل للبصر المنجاز بشعاع البصر ٠ فاذا حصلت تلك الرسوم في الهواء عاد ما في الهواء ، فيرتسم من رأس في القوة الباصرة التي في العين ، وينعكس ذلك الى الحاس المشترك والى القوة المتخيلة ٠ ولأن هذه كلها متصلة بعضها ببعض ، فيصير ، ما أعطاه العقل الفعال من ذلك ، مرئيا لهذا الانسان ٠

فاذا اتفقت التي حاكت بها القوة المتخيلة تلك الاشياء المحسوسات ، في نهاية الجمال والكمال ، قال الذي يرى ذلك ان لله عظمة جليلة عجيبة ، ورأى أشياء عجيبة لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجودات أصلا ٠ ولا يمتنع أن يكون الانسان ، اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل ، في يقظته ، عن العقل الفعال ، الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ، ويراها ٠ فيكون له ، بما قبله من المعقولات ، نبوة بالأشياء الالهية ٠ فهذا هو أكمل المراتب التي تنتهي اليها القوة المتخيلة ، وأكمل المراتب التي يبلغها الانسان بقوته المتخيلة ٠

ودون هذا : من يرى جميع هذه ، بعضها في يقظته ، وبعضها في نومه ، ومن يتخيل في نفسه هذه الاشياء كلها لا يراها ببصره٠ ودون هذا من يرى جميع هذه في نومه فقط ٠ وهؤلاء تكون

---

(١) المدينة الفاضلة : الفارابي ص ١٢٥ ٠

اقاويلهم التي يعبرون بها أقاويل محاكية ورموزا وألغازا وابدالات وتشبيهات • ثم يتفاوت هؤلاء تفاوتا كثيرا • فمنهم من يقبل الجزئيات ويراها في اليقظة فقط ، ولا يقبل المعقولات، ومنهم من يقبل المعقولات ويراها في اليقظة ، ولا يقبل الجزئيات، ومنهم من يقبل بعضها ويراها دون بعض ، ومنهم من يرى شيئا في يقظته ولا يقبل بعض هذه في نومه ، ومنهم من لا يقبل شيئا في يقظته ، بل انما يقبل ما يقبل في نومه فقط ، فيقبل في نومه الجزئيات ولا يقبل المعقولات ، ومنهم من يقبل شيئا من هذه وشيئا من هذه ، ومنهم من يقبل شيئا من الجزئيات فقط ، وعلى هذا يوجد الاكثر • والناس أيضا يتفاضلون في هذا •

ومن آراء الفارابي هذه نستنتج أن النبوة ليست أمرا فوق الطبيعة ولا شيئا خارقا للعادة • ان النبي في رأيه ليس الا انسانا بلغت قوته المتخيلة غاية الكمال ، وذلك بأن يحصل له أولا العقل المنفعل ، ثم بعده العقل المستفاد الذي يكون به الاتصال بالعقل الفعال ، وحينئذ يأخذ عنه بطريق الفيض الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بذلك نبوة بالأشياء الالهية •

أما ما يتعلق بالمعجزات التي يتقدم بها النبي دليلا على صحة رسالته ، نلاحظ أيضا أن لها عند الفارابي تفسيرها العرفاني ، وذلك متى علمنا ـ كما يقول ـ أن النبوة مختصة بقوى قدسية يذعن لها عالم الخلق الاكبر ، كما يذعن لروح الواحد منا عالم الخلق الاصغر ، فتأتي بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات ، ولا يمنعها شيء من معرفة ما في اللوح المحفوظ •

واستنادا الى آراء الفارابي يمكننا أن نعتبر النبي والفيلسوف يتصل كل منهما بالعقل الفعال ، والفرق بينهما أن الاول ينال هذه الرتبة بكمال قوته المتخيلة بعد كمال القوة العاقلة طبعا ، على حين يصل اليها الفيلسوف بالنظر والتفكير ، وليس هذا باعتقادنا بالفرق الكبير ٠

ويبدو من تصوير الفارابي للنبوة على هذا الشكل وتفسيرها تفسيرا نفسيا وعقليا كما لاحظنا آنفا ، يجعلها أعلى من الفلسفة كما يجعل النبي هو الانسان الذي بلغ أكمل مراتب الانسانية والسعادة (١) ٠ وهذا في رأي « دي بور » لا يتفق مع ما يؤخذ من فلسفة الفارابي النظرية ، هذه الفلسفة التي ترى أن كل أمور النبوة ـ من الرؤى ، والكشوف ، والوحي ، ونحو ذلك ـ هو مما يختص بالقوة المتخيلة ، فتكون المعرفة الحاصلة عن ذلك أدنى مرتبة من المعرفة الفلسفية ٠ وفي اعتقادنا أن « دي بور » قد تناسى أن الفارابي يشترط في النبي ـ فضلا عن كمال القوة المتخيلة ـ كمال القوة العاقلة ، وذلك بأن يحصل له العقل بالفعل ثم العقل المستفاد الذي به يتصل بالعقل الفعال ٠

والاتصال بالعقل الفعال وان كان نادر الوجود وخاصا بعظماء الرجال ، الا أنه ميسور من طريقين ، طريق العقل وطريق المخيلة ، أو طريق التأمل ، وطريق الالهام ، فبالدراسة والاكتساب ترقى النفس الى درجة العقل المستفاد حيث تقبل الأنوار الالهية ، وبذلك يعب النبي والحكيم من ينبوع واحد ، ويستمدان علمهما من مصدر علوي ، ويكون الحق واحدا ، سواء جاء عن طريق الدين أم عن طريق الفلسفة لأنهما من نتائج

---

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام : دي بور ص ١٥٤ ٠

الوحي وأثر من آثار الفيض الالهي على الانسان ، وان سلك أحدهما طريق التخيل وسلك الآخر طريق التأمل .

وانطلاقا من نظرية الفارابي في الاتصال بالعقل الفعال ، يمكننا أن نلاحظ ان هذا الاتصال ليس وقفا على الانبياء والرسل ، لأن ما يتصف به الانبياء كالعصمة والنص من الله يشاركهم فيه الأئمة ، لذلك فان أية مشاركة بين الانبياء وبين غيرهم في الاتصال بالعقل الفعال هو من صميم التفكير الفلسفي الشيعي . ويؤيد ما ذهبنا اليه جواب الامام الرضا عندما سئل عن الفرق بين الرسول والامام والنبي ، فقال : الفرق بين الرسول والنبي والامام أن الرسول هو الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم (١) والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ، والامام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص ، وعن الامام جعفر الصادق أنه قال : الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات ، نبي منبأ في نفسه لا يعدو غيره ، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ، ولم يبعث لأحد وعليه امام ، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل الى طائفة قلوا أو كثروا ، أما الذي يرى في النوم ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة فهو من أولي العزم من الرسل ، وأما الامام فيسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين (٢) .

والى جانب النظريات العقلانية التي أوجدها الفارابي ، والمتعلقة بالنبوة والوحي ، أوجد آراء أخرى عندما تحدث عن

---

(١) اصول الكافي : الكليني ج ١ ص ٨٢ .
(٢) اصول الكافي : الكليني ج ٢ ص ٣٧ .

مدينته الفاضلة ، والصفات الفاضلة التي يجب أن يتصف بها رئيس هذه المدينة ، لتنسجم هذه الصفات مع الصفات التي يتمتع بها الامام من الناحية العلمية والخلقية ، والمناقبية ، والانسان الذي يتمتع بهذه المزايا والفضائل بمقدوره أن يحقق المدينة الفاضلة التي ينشدها الفارابي ، وتنهد اليها الجماهير المؤمنة العارفة ·

ومن الملاحظ أن الفارابي قد ركز اهتمامه على الرئيس الحكيم لهذه المدينة ، فقال : وكما أن العضو الرئيسي في البدن هو بالطبع أكمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه وله من كل ما يشارك فيه عضو آخر أفضلها كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه ، وله من كل ما شارك فيه غيره أفضله ، كما أن القلب يتكون أولا ثم يكون هو السبب في أن يكون سائر أعضاء البدن والسبب في أن يحصل له أقواها وأن تترتب مراتبها ، كذلك رئيس المدينة ينبغي أن يكون هو أولا ثم يكون هو السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها (١) ·

ومما يلفت النظر أن التشبيه الذي اعتمده الفارابي لحاكم المدينة بالقلب في جسم الانسان نراه مذكورا على لسان هشام بن الحكيم في استدلاله على وجوب وجود امام من الله ، فاذا كانت الجوارح تخطيء ولكن الله آثر من أن يدعها كذلك حتى جعل لها القلب يرد هذا الخطأ ، كذلك لم يدع الله الرعية دون امام منه يردها الى الطاعة ويرشدها الى الحق ، فوجود الامام أو الحاكم لازم لأن الاجتماع البشري يقتضي ذلك فحسب ولكن لأن وجوده سابق على وجود المجتمع ·

---

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام : ديبور ص ٢٢١ ·

وسلطة الرئيس مطلقة اذ هو الذي لا يرأسه انسان آخر أصلا وهو الامام وهو رئيس الأمة الفاضلة بل رئيس المعمورة من الارض كلها . وليس يمكن أن يكون رئيس المدينة أي انسان اتفق ، لأن الرئاسة انما تكون بشيئين، أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معدا لها ولا يمكن أن تصير (١) هذه الحال الا لمن اجتمعت فيه اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها : أحدها أن يكون تام الاعضاء ومتى هم عضو ما بفعل يأتيه بسهولة ، ثم أن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الأمر في نفسه . ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه ، وفي الجملة لا يكاد ينساه ، ثم أن يكون جيد الفطنة ذكيا اذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها الدليل ، ثم أن يكون حسن العبارة يأتيه لسانه على ابانة كل ما يضمره ابانة تامة ، ثم أن يكون محبا للتعليم والاستفادة منقادا له سهل القبول لا يؤلمه تعب التعليم ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه ، ثم أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنبا بذلك للعب مبغضا للذات الكائنة عن هذه ، ثم أن يكون محبا للصدق وأهله (٢) مبغضا للكذب وأهله ، ثم أن يكون كبير النفس محبا للكرامة تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه بالطبع الى الأرفع منها ، ثم أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده ، ثم أن يكون بالطبع محبا للعدل وأهله مبغضا للجور والظلم وأهلهما يعطي النصف من

---

(١) اراء اهل المدينة الفاضلة ص ٨٨ .
(٢) اراء اهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٨٩ .

أهله ومن غيره ويحث عليه ويؤتى من حل به الجوع مؤاتيا لكل ما يراه حسنا وجميلا ، ثم أن يكون عدلا غير صعب القياد ولا جموحا ولا لجوجا اذا دعي الى العدل بل صعب القياد اذا دعي الى الجور والى القبيح ، ثم أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا عليه ، مقداما غير خائف ولا ضعيف النفس ، واجتماع هذه كلها في انسان غير عسر فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة الا الواحد بعد الواحد والاقل من الناس وان وجد كان هو الرئيس ٠

ومن الواضح أن هذه المناقب والصفات التي أوجب الفارابي أن تتوفر في رئيس المدينة الفاضلة تطابق ما ورد في رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء التي أخذ عنها الفارابي الكثير من الأمور العقلانية وتنسجم تمام الانسجام مع الشروط الواجب توفرها في الامام كما يرى الشيعة على مختلف فرقها ، اذ لا بد أن يكون الامام قد استكمل عقلا وارتقت قوته المخيلة غاية الكمال فأصبح عقله مفارقا للمادة مقاربا للعقل الفعال فيكون حكيما معصوما بما يتلقاه عقله المستفاد من فيض الباري ، وبما تتلقاه مخيلته من صور فيعقل كل ما هو الهي ، اذ ينطبع على عقله ومخيلته كل الحقائق الالهية (١) ٠

واذا كان الفارابي قد جعل رئيس المدينة يحوز على مجموعة من الفضائل والمناقب التي تؤهله ليكون ربانيا لا يختلف في شيء عن الامام المنصوص عليه من الله ، فقد جعله من أصحاب الوحي فلا يصدر منه الخطأ ٠ لذلك نرى الدكتور مدكور

---

(١) اراء اهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص ٨٧ ٠

يقول (١) : يجدر بنا ألا ننسى أن الفارابي كان يصعد بالحكيم الى مستوى هو العصمة بعينها ، ولا يمكن أن يحدث منه الزلل ، ولهذا لم يفرق بينه وبين النبي ·

ابن سينا واثبات النبوات :

آراء ابن سينا العقلانية المتعلقة بصدور العقول النورانية عن طريق الفيض الالهي لا تختلف كثيرا عن نظريات الفارابي وغيره من فلاسفة الشيعة ، فهو يرى ان الواجب الوجود بنفسه . الذي هو الخير الأول ، الاول في الوجود ، الموجود الاول ، الحق الاول ، العلة الأولى ، واحد ، وهو عقل محض ، ليس صورة ولا مادة ولا جسما ، يجب أن يعقل أنه يلزمه وجود الكل ، أي وجود هذا العالم عنه ، وأنه مبدأ لنظام الخير في هذا الوجود · وليس في ذلك ما يمنع أن يصدر هذا الوجود عنه ، ولا أن يكره هو ذلك · ثم ان الله الواحد القديم القادر العالم الحكيم الجواد يجب أن تظهر قدرته وعلمه وحكمته ووجوده · وبما أن الله أيضا هو العلة الأولى ، فلا بد من أن يكون ثمة معلول عنه ، والا لما كان علة (٢) ·

من أجل ذلك صدر عن الاول عقل واحد بالعدد ، لأنه لا يصدر عن الواحد الا واحد ، وبما أن هذا العقل قد فاض عن الله فانه يشبه الله من جانب ، ولكنه يخالف الله من جانب آخر ، لأنه معلول عن الله ومتأخر عنه بالذات ، ولذلك كان

---

(١) في الفلسفة الاسلامية : الدكتور بيومي مدكور ص ١٤٢ .
(٢) ابن سينا : الدكتور مصطفى غالب ص ٤٦ منشورات دار الهلال بيروت.

صورة لا في مادة (١) ٠

وهذا المعلول الاول عن العقل المحض هو الثاني في الوجود وأول العقول المفارقة ، ويشبه أن يكون المبدأ المحرك للجرم الأقصى على سبيل التشويق ٠ وفي هذا العقل يبدأ التكثر ، انه يعقل ذاته ثم يعقل الاول ضرورة ، هذه الاثنينية في الوجود الثاني هي سبب التكثر في الفيوضات التالية ، ان هذا العقل يصدر عن ثلاثة موجودات :

يعقل الاول فيلزم عنه (يفيض منه ضرورة) عقل ثان ، هو الثالث في مرتبة الوجود ، ثم يعقل ذاته ، وهنا يبدأ التكثر بالتنوع ، فيلزم عنه شيئان : وجود صورة الفلك الاقصى وكمالها ، وهي النفس ، وبما أن الصورة لا تظهر بلا مادة ، فان الصورة تتوسط العقل الذي صدرت هي منه ، أو تشاركه في ايجاد المادة ٠ ثم يستمر الفيض متسلسلا هبوطا على النمط السابق : عقلا مفارقا وصورة فلك وجرما فلكيا حتى تصبح الفيوضات كلها عشرة ، هي بعد الموجود الاول الله ٠

وهنا يقف فيض العقول ، ولكن يفيض من العقل الفعال عالم ما دون فلك القمر ، أو ما تحت فلك القمر ، وهو عالمنا الذي نعيش فيه ، وهو عالم الكون والفساد ، الذي تتكون فيه الأجسام وتتفرق ٠

ومن العقل الفعال تفيض العناصر الاربعة ، ثم تتركب أجزاء من العناصر الاربعة ، بنسب مختلفة ، أجساما ٠ وتتطور تلك الاجسام صعودا من الجماد الى النبات فالحيوان البهيم فالانسان ٠ والله سبحانه وتعالى لا يقبل أن يفيض عنه الا

---

(١) تاريخ الفكر العربي : الدكتور عمر فروخ ص ٣٢٩ ٠

الخير ، ولكن الشر الموجود في العالم قد فاض بالعرض • ان الله سبب وجود العالم ، فالعالم محدث ، لأن له علة سابقة عليه • ولكنه في الوقت نفسه قديم لأنه فاض عن الله منذ الأزل •

والعقل بالعقل الفعال يعتبر الاساس الذي انطلق منه الفلاسفة الاسلاميون لتفسير نظرياتهم في الوجود والمعرفة والاخلاق والسياسة ، لذلك أصبح العقل الفعال نظرية هامة لكافة الافكار العرفانية المتصلة بالفيض وترتيب الموجودات حسب صدورها عن الموجود الاول ، ثم اشتياق كل موجود الى الصعود الى المرتبة التي فوقه ، فتظهر نظرية العقل الفعال كواسطة بين العالم العلوي وبين العالم السفلي ، أو بين الانسان وبين الموجودات القدسية ، وأما من الناحية العرفانية فان العقول المستفادة تتلقى الفيض الالهي بتوسط العقل الفعال ، وأما من الناحية الاخلاقية فقد جعلوا هذا الاتصال طريق السعادة حيث تقوم النفس من القوة الى الفعل حيث الكمال المطلق والتجرد عن الأمور المادية ، ثم من الناحية السياسية لا بد أن يكون حاكم المدينة ورئيسها واحدا من أولئك الواصلين، وكذلك بواسطة نظرية العقل الفعال يتم تفسير النبوة والوحي والمبدأ والمعاد (١) •

ولما كانت آراء الشيعة العقائدية في الوجود تقوم على أساس الأفكار الاسلامية في الخلق من العدم ، لا الفيض المتواصل من الموجود الاول ، فمصدر العلم الذي يوصل الى اليقين في الاتصال بالعقل الفعال أو في اتصال الأئمة بالله ، يسمو بمنزلة الأئمة

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٤٩٠ .

حتى يجعلهم في مصاف الانبياء والحكماء ، الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى ليرشدوا البشرية الى الطريق القويم ، ويكون لهم مناقب خاصة ليست لسائر الناس ، حتى يشعر الناس أنهم في قمة الشرف والقداسة ، لما يتمتعوا به من امتياز وفضل باذن الله ووحيه ، وانزال روح القدس عليهم (١) ٠

واذا ما تصفحنا ما كتبه ابن سينا حول اثبات النبوات نلاحظ أن ابن سينا بعد أن يبحث في كيفية اثبات العقل الملكي في صورة عقلانية فلسفية رائعة معتمدا على أفكاره العرفانية في النفس ، والمعرفة ، والصدور الفيضي للوجود ، يرى ان اثبات النبوة مرتبط بقوى النفس العقلية لا الخيالية ، باعتبار أن النبي أفضل جميع الموجودات في عالم الكون والفساد ، معتمدا على تأويل بعض الآيات القرآنية والأحاديث المبنية على تفاصيل أفكاره العرفانية في الكون ، وفي النفس الانسانية ، وأقسام قواها ٠ ومطابقة لأقواله حول المبدأ والمعاد ، وخلود النفس الانسانية وسرمديتها في النعيم أو الجحيم ٠

يقول ابن سينا : « سألت ، أصلحك الله ، أن أجمل جمل ما خاطبتك به في ازالة الشكوك المتأكدة عندك في تصديق النبوة، لاشتمال دعاويهم على ممكن سلك به مسلك الواجب ولم تقم عليه حجة ، لا برهانية ولا جدلية ، ومنها ممتنعة تجري مجرى الخرافات ، التي للاشتغال في استيضاحها من المدعي ما يستحق أن يهزأ به ، في رسالة ٠ فأجبتك مد الله في عمرك الى ذلك بأن قلت : ان كل شيء في شيء بالذات ، فهو معه بالفعل ما دام هو ، وكل شيء في شيء بالعرض ، فهو فيه مرة بالقوة ومرة بالفعل ،

(١) توفيق التطبيق : علي الجيلاني ص ٢٠٠ ٠

ومن له ذلك بالذات ، فهو فيه بالفعل أبدا ، وهو المخرج لماضيه بالقوة الى الفعل ، أما بواسطة ، أو بغير واسطة ، مثل ذلك الضوء مرئي بالذات وعلة لخروج كل مرئي بالقوة الى الفعل ، وكالنار وهو الحار بالذات وهو المسخن لسائر الاشياء ، أمـا بواسطة ، كتسخينه الماء بتوسط القمقمة ، واما بلا واسطة ، لتسخينه القمقمة بذاته ، أعني مماسة ، بلا متوسط . ولهذا أمثلة كثيرة (١) .

وكل شيء هو مركب من معنيين ، فاذا وجد أحد المعنيين مفارقا للثاني ، وجد الثاني مفارقا له ، مثاله السكنجبين المركب من الخل والعسل ، اذا وجد الخل بلا عسل ، وجد العسل بلا خل ، وكالضم المصور المركب من نحاس وصورة انسان ، اذا وجد النحاس بلا صورة انسان ، وجد تلك الصورة بلا نحاس . وكذلك يوجد في الاستقراء ، ولهذا أمثلة كثيرة .

فأقول : ان في الانسان قوة تباين به سائر الحيوان وغيره ، وهي المسماة بالنفس الناطقة ، وهي موجودة في جميع الناس على الاطلاق ، وأما في التفصيل فلا ، لأن من قواها تفاوتا في الناس ، فقوة أولى متهيأة لأن تصير صورا لكليات منتزعة عن موادها . ليس لها في ذاتها صورة ، ولهذا سميت العقل الهيولاني تشبيها بالهيولى . وهي عقل تام بالقوة ، كالنار بالقوة باردة ، لا كالنار بالقوة محرقة (٢) .

وقوة ثانية لها قدرة وملكة على التصور بالصور الكليـة لاحتوائها على الآراء المسلمة العامية ، وهو عقل تام بالقوة ،

---

(١) اثبات النبوات : ابن سينا ص ٧ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٨ .

كقولنا النار لها على الاحراق قوة • وقوة ثالثة متصورة بصور الكليات المعقولة بالفعل تأخذ بها القوتان الماضيتان وخرجتا الى الفعل ، وهو المسمى بالعقل المستفاد • وليس وجوده في العقل الهيولاني بالفعل ، فليس وجوده فيه بالذات ، فاذن وجوده فيه من موجد هو فيه بالذات ، به خرج ما كان بالقوة الى الفعل • وهو المرسوم بالعقل الكلي والنفس الكلي ، ونفس العالم •

واذا كان القبول ممن له القوة المقبولة بالذات على وجهين : اما بواسطة واما بغير واسطة ، وكذلك اذا وجد القبول من العقل الفعال الكلي على وجهين : فاما القبول عنه بلا واسطة فكقبول الآراء العامية وبدائه العقول • وأما القبول بتوسط فكقبول المعقولات الثانية بتوسط الأولى ، وكالأشياء المعقولة المكتسبة بتوسط الآلات والمواد ، كالحس الظاهر ، والحس المشترك ، والوهم والفكرة (١) •

واذا كانت النفس الناطقة تقبل كما بينا ، مرة بتوسط ومرة بغير توسط ، فليس له القبول بغير توسط بالذات ، فهو فيه بالعرض ، فهو في آخر بالذات ، فهو ممن له بالذات مستفاد • وهذا هو العقل الملكي الذي يقبل بغير توسط بالذات ويصير قبوله علة لقبول غيره من القوى •

وليس اختصاص المعقولات الأول بالقبول بغير توسط الا من جهتين ، على الاختصار : من أجل سهولة قبولها أو من أجل أن القابل ليس يقوى أن يقبل بغير توسط الا السهل قبوله • ثم رأينا في القابل والمقبول تفاوتا في القوة والضعف والسهولة والعسورة • وكان محالا أن لا يتناهى ، لأن النهاية في طرف

---

(١) اثبات النبوات : ابن سينا ص ٩ •

الضعف أن لا يقبل ولا معقولا واحدا ، بتوسط ولا بغير توسط • فيكون يتناهى في الطرفين ولا يتناهى في الطرفين • وهذا خلف لا يمكن •

وقد تبين أن الشيء المركب من معنيين ، اذا وجد أحد المعنيين مفارقا للثاني ، وجد الثاني مفارقا له • وقد رأينا أشياء لا تقبل من افاضات العقل بغير واسطة ، وأشياء تقبل كل الافاضات العقلية بلا واسطة ، واذا تناهى في الطرف الضعفي ، يتناهى ضرورة في الطرف القوي (١) •

واذا كان التفاضل في الاسباب يجري على ما أقول : ان من الأنيات ما هي قائمة بذاتها ، ومنها غير قائمة بذاتها ، والاول أفضل • والقائم بذاته اما صور وأنيات لا في مواد ، أو صور ملابسة للمواد ، والاول أفضل ، ولنقسم الثاني اذا كان المطلب فيه • والصور المادية التي هي الاجسام ، أما نامية أو غير نامية ، والاول أفضل • والنامية اما حيوان أو غير حيوان ، والأول أفضل • والحيوان اما ناطق أو غير ناطق ، والاول أفضل • والناطق اما بملكة أو بغير ملكة ، والاول أفضل ، وذا الملكة اما خارج الى الفعل التام ، أو غير خارج ، والاول أفضل • والخارج اما بغير واسطة أو بواسطة ، والاول أفضل ، وهو المسمى بالنبي واليه انتهى التفاضل في الصور المادية •

واذا كان كل فاضل يسود المفضول ويؤسه ، فاذن النبي يسود ويروس جميع الأجناس التي فضلهم • والوحي هذه الافاضة ، والملك هو هذه القوة المقبولة المفيضة كأنها عليه افاضة متصلة بافاضة العقل الكلي ، مجزأة عنه لا لذاته بل

---

(١) اثبات النبوة : ابن سينا ص ١٠ •

بالعرض ، وهو لتجزيء القابل • وسميت الملائكة بأسامي مختلفة لأجل معان مختلفة ، والجملة واحدة غير متجزئة بذاتهـا الا بالعرض من أجل تجزيء القابل • والرسالة هي اذا ما قبل من الافاضة المسماة وحيا على أي عبارة استصوبت لصلاح عالمـي البقاء والفساد علما وسياسة ، والرسول هو المبلغ ما استفاد من الافاضة المسماة وحيا على أي عبارة استصوبت ، ليحصل بآرائه صلاح العالم الحسي بالسياسة ، والعالم العقلي بالعلم (١) •

فهذا مختصر القول في اثبات النبوة وبيان ماهيتها وذكـر الوحي والملك والموحي • وأما صحة نبوة نبينا محمـد (ص) فتبين صحة دعوته للعاقل اذا قاس بينه وبين غيره من الانبيـاء عليهم السلام ، ونحن معرضون عن التطويل •

ونأخذ الآن في حل المراميز التي سألتني عنها • وقيل ان المشترط على النبي أن يكون كلامه رمزا وألفاظه ايماء • وكما يذكر أفلاطون في كتاب النراميس أن من لم يقف على معاني رموز الرسل ، لم ينل الملكوت الالهي ، وكذلك أجلة فلاسفـة يونان وأنبياؤهم كانوا يستعملون في كتبهم المراميز والاشارات التي حشوا فيها أسرارهم ، كفيثاغورس ، وسقراط وأفلاطون• وأما أفلاطون فقد عذل أرسطاطاليس في اذاعته الحكمة ،واظهاره العلم ، حتى قال ارسطاطاليس : اني وان عملت كذا ، فقـد تركت في كتبي مهاوي كثيرة لا يقف عليها الا الشريد من العلماء العقلاء • ومتى كان يمكن للنبي محمد (ص) أن يوقف على العلم أعرابيا جلفا ، ولا سيما البشر كلهم اذ كان مبعوثا اليهم

---

(١) اثبات النبوات : ابن سينا ص ١٢ •

كلهم ؟ فأما السياسة فانها وسيلة للأنبياء والتكليف أيضا (١) ٠

فكان أول ما سألتني ما بلغ محمد النبي عن ربه عز وجل : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » ٠

فأقول : النور اسم مشترك لمعنيين ، ذاتي ومستعار ، والذاتي هو كما قال المشف من حيث هو مشف كما ذكر أرسطاطاليس ٠ والمستعار على وجهين : اما الخير ، وأما السبب الموصل الى الخير ، والمعنى ها هنا هو القسم المستعار بكلي قسميه ، أعني الله تعالى خير بذاته ، وهو سبب لكل خير ٠ كذلك الحكم في الذاتي وغير الذاتي ٠ وقوله : « السموات والارض » عبارة عن الكل ٠ وقوله « مشكاة » فهو عبارة عن العقل الهيولاني والنفس الناطقة ، لأن المشكاة متقاربة الجدران ، جيدة التهيؤ للاستضاءة ، لأن كل ما يقارب الجدران ، كان الانعكاس فيه أشد والضوء أكثر ٠ وكما أن العقل بالفعل مشبه بالنور ، كذلك قابله مشبه بقابله ، وهو المشف ، وأفضل المشفات الهواء ، وأفضل الأهوية هو المشكاة ٠ فالمرموز بالمشكاة هو العقل الهيولاني الذي نسبته الى العقل المستفاد كنسبة المشكاة الى النور (٢) ٠

والمصباح هو عبارة عن العقل المستفاد بالفعل ، لأن النور ، كما هو كمال للمشف ، كما حدثه الفلاسفة ، ومخرج له من

---

(١) اثبات النبوات : ابن سينا ص ١٣ ٠
(٢) اثبات النبوات : ابن سينا ص ١٥ ٠

القوة الى الفعل ، كذلك العقل المستفاد كمال للعقل الهيولاني ومخرج له من القاة الى الفعل ، وسبة العقل المستفاد الى العقل الهيولاني كنسبة المصباح الى المشكاة ٠

وقوله : « في زجاجة » : لما كان بين العقل الهيولاني والمستفاد مرتبة أخرى وموضع آخر نسبتـه كنسبـة الـذي بين المشف والمصباح ، فهو الذي لا يصبل في العيان المصباح الى المشـف الا بتوسط ، اهو المسرجة ٠ ويخرج من المسارج الزجاجة لأنها من المشفات القوابل للضوء ٠

ثم قال بعد ذلك : « كأنها كوكب دري » ، ليجعلها الزجاج الصافي المشف ، لا الزجاج المتلون الذي لا يستشف ، فليس شيء من المتلونات يستشف ٠ « توقد من شجرة مباركة زيتونة » يعني بها القوة الفكرية التي هي موضوعة ومادة للافعال العقلية ، كما أن الدهن موضوع ومادة للسراج ، « لا شرقية ولا غربية » الشرق في اللغة حيث يشرق منه النور ، والغرب حيث فيه يفقد النور ، ويستعار الشرق في حيث يوجد فيه النور ، والغرب في حيث يفقد فيه النور ٠ فانظر كيف راعى التمثيل وشرائطـه اللائق به ، حين جعل أصل الكلام النور ، بنى عليه وقرنـه بآلات النور ومعادنها ٠ فالرمز بقوله : « لا شرقية ولا غربية » ما أقول : ان الفكرية على الاطلاق ليست من القوى المحضـة النطقية التي يشرف فيها النور على الاطلاق ٠ فهذا معنى قوله « شجرة لا شرقية » ٠ ولا هي من البهيمية الحيوانية التي يفقد فيها النور ٠ ويمثل بالغرب على الاطلاق(١) ٠ فهذا معنى قوله : « ولا غربية » ٠

---

(١) اثبات النبوة : ابن سينا ص ١٧ .

وقوله : « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » مدح القوة الفكرية • ثم قال : « ولو لم تمسسه » يعني بالمس الاتصال والافاضة ، وقوله : « نار » لما جعل النور المستعار ممثلا بالنور الحقيقي وآلاته وتوابعه ، مثل الحامل الذاتي الذي هو سبب له في غيره بالحامل له في العادة ، وهو النار ، وان لم تكن النار بذي لون ، فالعادة العامية أنها مضيئة • فانظر كيف راعى الشرائط • وأيضا لما كانت النار محيطة بالأمهات ، شبه بها المحيط على العالم ، لا احاطة سقفية ، بل احاطة قولية مجازية ، وهو العقل الكلي •

وليس هذا العقل ، كما ظن الاسكندر الأفروديسي ونسب الظن الى أرسطاطاليس ، بالاله الحق الاول ، لأن هذا العقل واحد من جهة ، وكثير من حيث هو صور كليات كثيرة ، فليس بواحد بالذات ، فهو واحد بالعرض ، فهو مستفيد الوحدة ممن له ذلك بالذات ، وهو الله الواحد •

ومن هذه الآراء العقلانية التي أبداها ابن سينا يمكننا أن نستنتج أن ابن سينا يرى أن وجوب النبوة على الله لطفا ، وبعد غياب النبي ينتقل هذا الوجوب الى الامامة باعتبارها تحل محل النبوة بكافة مقوماتها العقلانية والعرفانية ، ومن الطبيعي أن يعطي ابن سينا الانبياء العصمة كونهم لا يؤتون من جهة غلطا ولا سهوا ، وذلك لأن استعدادهم للاتصال بالروح القدسية التي لا يشغلها جهة تحت عن جهة فوق • ولا يستغرق الحس الظاهر الحس الباطل ، ويتعدى تأثيرها من بدنها الى أجسام العالم وما فيه وهي واصلة ترى الغيب وتسمع الخفي وتجاوز عالم الحس

الى عالم المشاهدة الحقيقية والبهجة الدائمة (١) .

ويرى ابن سينا أنه اذا أوجبت الحكمة الالهية ارسال نبي فان جميع ما يسنه فانما هو مما وجب من عند الله أن يسنه ، ولن جميع ما يسنه من عند الله . واذا وجب ذلك على الله عناية منه ، ووجب على النبي أن يسن لأمته فوجب أن يفرض الشأن طاعة من يخلفه ، وأن لا يكون الاستخلاف الا من جهته أو باجماع من أهل السابقة ، والاستخلاف بالنص أصوب فان ذلك لا يؤدي الى التشعب والاختلاف (٢) .

واذا كان ابن سينا قد قال بنظرية الاستخلاف واعتبرها الأصوب ، لايمانه بأن النبي لا بد وأن ينص على من يخلفه ، فقد اعتمد صاحب كتاب « توفيق التطبيق (٣) » بعد أن اعتبر ابن سينا شيعيا ، على آراء ابن سينا في الاستخلاف وذهب الى أنها منسجمة مع الآراء الشيعية التي تؤكد أن النبي قد نص على علي بن أبي طالب ، ليحل محله ، ويخلفه في مهمته القيادية .

وليست القواعد الأساسية التي وضعها ابن سينا في النبوة والاستخلاف ، والشروط الواجب توفرها بالنبوة والامامة ، ورئاسة المدينة التي تخيلها مليئة بالفضائل ، كالعفة ، والحكمة، والشجاعة ، والعدالة ، الا تطابقا ، وتوافقا ، وانسجاما ، مع ما يذهب اليه الشيعة في مرتكزاتهم العقائدية الخاصة بالامامة ، وتحقيق الفضيلة فيها . ومن فاز برأيهم من ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير ربا انسانيا ، وكاد أن تحل عبادته بعد الله

---

(١) ٩ رسائل في الحكمة والطبيعيات : ابن سينا ص ٦٤ .
(٢) عقيدة الشيعة : دونلدسون : ص ٢٣١ .
(٣) توفيق التطبيق : علي الجيلاني ص ٥٤ .

تعالى ، وهو سلطان العالم الارضي ، وخليفة الله فيه (١) ٠

ويرى الدكتور محمد مصطفى حلمي أن هذه التعابير والألفاظ التي تحمل مفاهيم امامية لا تزيد عما يعنيه ابن باجة بالانسان الالهي الذي يفعل الفعل لأجل الصواب ، ولا يلتفت الى النفس البهيمية فأصبح فعله الهيا أكثر منه انسانيا ، كما لا يخرج قول ابن سينا في هذا الحاكم الذي هو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله عن معنى الحكيم المتوغل في التأله عند السهروردي المقتول ، باعتبار أن هذه الألفاظ كلها من الأثر الشيعي في مذهب الشيخ الرئيسي وحكيم الاشراق (٢) ٠

ويعلق الدكتور أحمد محمود صبحي على مجمل الآراء التي ناقشناها فيقول : وهكذا استطاعت الافكار الشيعية في الامامة بكل ما تنطوي عليه من معاني غيبية أن تتسرب الى عقول فلاسفة لا يؤمنون الا بالنظر والأقيسة العقلية ، كما تسربت من قبل في مذاهب المتصوفة وآراء المعتزلة مما يدل لا على حيوية هذه الآراء بالرغم مما وجه اليها من انتقادات عنيفة فحسب ، ولكنها تدل كذلك على أن الأفكار لا تعيش في عزلة عن بعضها البعض ، وأنها مهما تباينت أو تشعبت فهي جميعها تلتقي عند مصدر واحد طبعها جميعا بطابع واحد أوجد بينها تشابها في خصائصها العامة ، وأعني به طابع الثقافة الاسلامية التي ازدهرت في ظل الدولة الاسلامية المحتضنة لهذه المذاهب جميعا (٣) ٠

---

(١) توفيق التطبيق : علي الجيلاني ص ٩٠ ٠
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٦ ٠
(٣) نظرية الامامة : ص ٤٩٤ ٠

الامامة عند جماعة أهل الحق :

الامامة ، بالنسبة للشيعة عامة ، ولجماعة أهل الحق خاصة ، تعتبر أساس الدين ، والمحور الأساسي الذي تدور عليه كل العقائد ، سواء العبادة العملية منها « الظاهر » أو العبادة العلمية « الباطن » ، فالدين عندهم لا يستقيم أمره الا بها ، ولا يصح وجوده الا بوجودها .

كما وأن مرتبة الامامة ، في الاعتقاد الحقاني ، تأتي في المرتبة الثانية بعد مرتبة النبوة ، لأنها ، كما يقولون ، تتمة للنبوة واستمرار لها . فالامام الذي يخلف النبي لا تتجاوز مهمته عن حد المحافظة على الشريعة، وصيانة أحكامها ، وتطبيق نصوصها .

ومن أصول ومرتكزات العقيدة الحقانية ، ضرورة وجود الامام المعصوم ، المنصوص عليه ، من نسل الامام علي بن أبي طالب (ع) ، والنص على الامام يجب أن يكون من الامام الذي سبقه ، بحيث تتسلسل الامامة في الأعقاب ، أي أن ينص الأب على امامة ابنه الاكبر ، لأن الامامة هي ميراث الانبياء ، في سلالة فاطمة الزهراء بنت النبي ، وهي في الأعقاب ، اذ لا تكون في الأخ بعد أخيه ولا الى العم أو الى غير ذلك من القرابات لقوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » ولا خروج عن هذه القاعدة الا في انتقال الامامة من الحسن الى الحسين اذ لا يستطيع الحسن أن ينقلها الى ولده لأنه يلزم للحسين كل ما يلزم الحسن فهما شريكان في منزلتهما من النبي ، وقد أذهب الله عنهما الرجس وطهرهما تطهيرا (١) .

---

(١) التوحيد في الامامة : القاضي النعمان ص ١٧ . مخطوطة لم تنشر في مكتبة المؤلف الخاصة .

ولا بد أن يعرف الامام من يخلفه ليوصي اليه وصيته ، ويعهد اليه عهده تنفيذا لأمر الله : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها (١) » والامانة هي الامامة عهد من امام الى من بعده بأمر من الله • ويوصي الامام في حضرة حدوده ودعاته ليكون حجته عليهم ويورثه ميراث النبيين والسلاح الذي يكون الامام معه حيث كان •

ولا تزال الامامة عند أهل الحق المحور الذي تدور عليه كل العقائد وفلسفتها الحقانية ، لأن الامامة ركن أساسي لجميع أركان الدين ، فدعائم الدين عندهم هي : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والولاية • والولاية هي أفضل هذه الدعائم ، فان أطاع المؤمن الله وأقر برسالة الرسول الكريم ، وقام بأركان الدين كلها ثم عصى الامام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته ، وغير مقبولة منه طاعة الله ، وطاعة الرسول •

وتدور حول هذه النقطة أكثر أبحاث علماء أهل الحق الذين يعتبرون الامام كالهرم ، رأس الهرم الامام بكل ما حاز من فضائل ومثل ، والقاعدة : هم الاتباع ، ومن الطبيعي أن تتطلع القاعدة الى القدوة في اتخاذها الكمال ، فتلتقي نظرتهم عند رأس الهرم ، واعتبروا الامام كالبحر الزاخر تصب فيه كافة العيون والينابيع والانهار ، فهي منه ، أي منه انبثقت ، واليه معادها ، أو كالمولد الكهربائي الذي يشع نوره في المصابيح ، وتفقد هذه المصابيح قدرتها على الاشعاع عندما يمتنع المولد

(١) سورة النساء : اية ٥٨ .

عن مدها بالنور (١) .

وجماعة أهل الحق يعتبرون من حيث الظاهر الأئمة من البشر ، وأنهم خلقوا من الطين ، و يتعرضون للأمراض والآفات والموت ، مثل غيرهم من بني آدم ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه « وجه الله » ، و « يد الله » ، و « جنب الله » ، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، الى غير ذلك من الصفات القدسية . وفي هذه الأقوال أدلة على كل صفة من هذه الصفات ، فمثلا : ان الانسان لا يعرف الا بوجهه ، ولما كان الامام هو الذي يدل العالم على معرفة الله ، فبه اذن يعرف الله ، فهو وجه الله ، الذي يعرف به الله ، وأن اليد هي التي يبطش بها الانسان ويدافع بها عن نفسه ، والامام هو الذي يدافع عن دين الله ، ويبطش بأعداء الله ، فهو على هذه المثابة يد الله ، ومن جهة ثانية نرى أهل الحق يجردون الله من كل صفة ، وينزهونه التنزيه كله ، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ــ ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية ــ هي الاسماء والصفات ، ويعتبرون نفي المعرفة ، هي حقيقة المعرفة ، وسلب الصفة هو نهاية الصفة .

واذا سبرنا أعماق مصنفات أهل الحق العرفانية نلاحظ أنهم أعطوا الامامة مركزا ساميا مقدسا ، وجعلوا من الامام مثلهم الأعلى ، وعلى رتب ودرجات ، وزودوه بصلاحيات واختصاصات واسعة ، ويشتم من النصوص السرية لهذه الجماعة أن مقامات الامامة ودرجاتها التي كانت معروفة في دور الستر

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : الدكتور مصطفى غالب ص ٥٠ .

والتقية هي :

١ ـ الامام المقيم : وتعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الامامة وأرفعها ، وهو الذي يقيم الرسول الناطق ويعلمه رسالة النطق ·

٢ ـ الامام الأساس : وهو القائم بأعمال الرسالة ، ومنه يتسلسل الأئمة المستقرون في الأدوار الزمنية ·

٣ ـ الامام المتم : وهو الذي يتم الرسالة في نهاية الدور الذي يقوم به سبعة من الأئمة ، فهو سابعهم ومتمما لرسالة الدور ·

٤ ـ الامام المستقر : صاحب الحق في توريث الامامة لولده ، بموجب النص على الامام الذي يأتي بعده ، وهو الأصل ·

٥ ـ الامام المستودع : وهو الامام الذي تودع لديه الامامة ، اذا كان صاحبها لم يبلغ السن المحدد لاستلامها ، ولا يستطيع توريثها لأحد من ولده · ويتسلم الامامة في الظروف والأدوار الاستثنائية ·

٦ ـ الامام القائم بالقوة : ناقصا في ذاته ، وهو القرآن ·

٧ ـ الامام القائم بالفعل : تام في ذاته وفعله ·

وقد دعموا هذه المعتقدات بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية ، اما اكتسابا أو استنباطا · فأصبحت الفلسفة بنظرهم وسيلة لتقييم العقيدة ، وطريقا الى تكشف جوهر الخالق والدين · ونادوا بوجوب التأويل الباطن ، لأنه من عند الله ، خص به الامام علي بن أبي طالب ، كما خص الرسول بالتنزيل ، واستدلوا على ذلك بقصة موسى مع الرجل الصالح المذكور في سورة الكهف · وعمدوا الى احاطة علوم الباطن بالستر والكتمان ، وحظروا

اظهارها الا لمن يستحق ذلك فقط • واعتبروا التأويل الباطن نظرية دينية فلسفية ، تتلخص كما أشرنا في أن الله سبحانه جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان ، لذا يجب أن يستدل بما في الطبيعة ، وبما على وجه الارض ، على ادراك حقيقة الدين ، وقالوا ان المخلوقات قسمان : قسم ظاهر للعيان ، وقسم باطن خفي ، فالظاهر يدل على الباطن ، وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في القرآن هي معاني يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنا لا يعلمه الا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم •

ولما كان كتابنا هذا وقفا على بحث كافة الآراء والنظريات المتعلقة بالامامة والهداية ، نرى أن نقدم بعض الآراء العرفانية التي يعتمدها جماعة أهل الحق لدعم منطلقاتهم العقلانية المتعلقة بهذه الناحية الهامة من معتقداتهم ، وسنبدأ بجماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء باعتبارهم أصحاب المدرسة الحقانية الأول التي تخرج منها كبار فلاسفة وعلماء أهل الحق •

واخوان الصفاء وخلان الوفاء كغيرهم من علماء الشيعة ، يعتبرون الامامة المحور الأساسي الذي تتركز عليه فلسفتهم الماورائية ، ولكنهم لأمر ما لا يصرحون علانية بهذا المعتقد ، بل يرمزون ويشيرون اليه من طرف خفي ، لا يخفى على الباحث المتعمق بدراسة المعتقدات الحقانية منذ وجودها •

وبالرغم من أن هذه الجماعة ترى في رسائلها ان الامامة هي من احدى أمهات مسائل الخلاف بين العلماء ، قد تاه فيها الخائضون الى حجج شتى ، وأكثروا فيها القيل والقال ، وبدت بين الخائضين فيها العداوة والبغضاء ، وجرت بين طالبيها

الحروب والقتال ، وأبيحت بسببها الاموال والدماء ، لا تزال باقية الى يومنا هذا لم تنفصل ، بل كل يوم يزداد الخائضون المختلفون فيها خلافا على خلاف ، وتتشعب فيها ومنها آراء ومذاهب ، حتى لا يكاد يحصي عددها الا الله ·

ونلاحظ من الناحية الرمزية الباطنية أنهم يعتبرون الامام صورة الصور ، وأنه خليفة الله في أرضه ، متحكما على حيواناتها ونباتاتها ومعادنها ، حكم الأرباب على خولها ، اذ سجدوا لها (١) بجملتها ، والامامة باعتقدهم صورة واحدة ، وان كانت أشخاصها كثيرة · والعقل بمفهومهم هو خليفة الله الباطن ، فمن سلط على خلافة الله عدوه دمره الله وذهب عقله بدخول عدوه عليه ، واذا ذهب العقل ، ذهب الدين والعلم ، والمروءة ، والحياء ، والرقابة على العباد في عالم الكون والفساد· والعقل جعله الله تعالى رئيسا على الفضلاء من خلقه ، الذين هم تحت الأمر والنهي ، ليجمع شملهم ، ويحفظ نظام أمرهم ، ويراعي تصرف أحوالهم ، لذلك يقولون : « فقد رضينا بالرئيس على جماعة اخواننا ، والحكم بيننا ، العقل ··· » ·

من هذه الأفكار يتبين لنا ان اخوان الصفاء لهم آراء ظاهرة في الامامة تنسجم مع ما يذهب اليه بقية الشيعة ، ولكن من الناحية الباطنية ينظرون الى الامام نظرة خاصة ، هي نفس نظرة أهل الحق بصورة خاصة الى الامام ، والباطنية بصورة عامة ·· لذلك نراهم يفردون في الرسالة الثانية والأربعون من رسائلهم ، فصلا تحدثوا فيه حول اختلاف العلماء في الامامة ، فقالوا : « اعلم ان الأمة كلها تقول انه لا بد من امام يكون خليفة

(١) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء : جـ ٤ ص ١٢٧ .

لنبيها في أمته بعد وفاته : وذلك لأسباب شتى وخصال عدة : أحدها أن يحفظ الامام الشريعة على الأمة ، ويحيي السنة في الملة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتكون الأمة تصدر عن رأيه (١) • وقوم آخرون يكونون خلفاءه في سائر البلدان للمسلمين بالنيابة عنه في جباية الخراج ، وأخذ الأعشار والجزية، وتفريقها على الجند والحاشية ، ليحفظ بهم ثغور المسلمين ، ويحفظ الطرقات من اللصوص والقطاع ، فيمنع الظالم ، ويردع القوي عن الضعيف المظلوم ، وينصف ويعدل بين الناس فيما يتعاملون به ، وما شاكل هذه الخصال التي لا بد للمسلمين من قيم بها في ظاهر أمور دنياهم •

ولا بد لفقهاء المسلمين وعلماؤهم أن يرجعوا اليه عند مشكلاتهم في أمر الدين ، وعند مسائل الخلاف ، فيحكم هو بينهم فيما هم يختلفون من الحكومة في الفقه والأحكام والحدود والقصاص • والصلوات والجمعات والأعياد ، والحج ، والغزو ، وتولية القضاة والعدول ، وفتوى الفقهاء ، ويصدرون كلهم عن رأيه وتدبيره ، وأمره ونهيه ، فهذا هو الأصل المتفق بينهم في حاجتهم الى الامام (٢) •

والناس كما يرى اخوان الصفاء مختلفون على رأيين ومذهبين في من ينبغي أن يكون الامام ، فمنهم من يرى ويعتقد أنه لا ينبغي الا أن يكون أفضلهم كلهم بعد نبيها ، وأقربهم اليه نسبة ، ويكون قد نص عليه ، ومنهم من يرى بخلاف ذلك •

ويلاحظ أن اخوان الصفاء بعد أن يعددوا خصال عديدة ،

---

(١) رسائل اخوان الصفاء : ج ٢ ص ٢٩٣ •
(٢) نفس المصدر : ج ٢ ص ٢٩٤ •

أوجبوا توفرها بأصحاب الرسالات من الأنبياء ، كاجراء السنة في الشريعة ، وايضاح المنهاج في الملة ، وتبيين الحلال والحرام ، وتفصيل الحدود والأحكام في أمور الدنيا جميعا ، وما شاكل هذه المناقب والصفات المعروفة بين أهل العلم ، الموجود وصفها في الكتب المنزلة من التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، وصحف الأنبياء يلتفتون الى خصال الملك ، فيذهبون الى أن أولها أخذ البيعة على الأتباع المستجيبين ، وترتيب الخاص والعام مراتبهم ، وجباية الخراج والعشر والجزية من الملة ، وقبول الصلح والمهادنة من الملوك والرؤساء ، من الأمور المستحبة : « ثم اعلم انه ربما تجتمع هذه الخصال في شخص واحد من البشر ، في وقت من الزمان ، فيكون هو النبي المبعوث وهو الملك ، وربما تكون في شخصين اثنين : أحدهما النبي المبعوث الى تلك الأمة ، والآخر المسلط عليهم ٠

واعلم أنه لا قوام لأحدهم الا بالآخر ، كما قال ملك الفرس أردشيز في وصيته : ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لأحدهما الا بالآخر ، وذلك ان الدين أس الملك والملك حارسه ، مما لا أس له مهدوم ، وما لا حافظ له ضائع ، ولا بد للملك من أس ، ولا بد للدين من حارس ٠

هذه مجمل آراء اخوان الصفاء في الامامة من الناحية الظاهرة ، أو بالأحرى ، كما يقول به عامة المسلمين ، ولكن الى جانب هذه الآراء لهم آراء باطنية فلسفية عرفانية تتعلق بالرموز والاشارات التي تعطي الامامة صفة قدسية روحانية عالية ، فهم يعتبرون الامام بمنزلة العقل الفعال ، أو الموجود الاول ، وذلك في حالة عدم وجود الناطق أي النبي ، لأنه يحل محله في رتبته ،

وفي حال وجود النبي يحمل الامام ، باعتباره صاحب التأويل ، مرتبة النفس الكلية ، أو المنبعث الاول ، وهو في عالم الدين ، أو عالم الصنعة النبوية ، الرئيس الروحي الأعلى ، الذي يعتبر وجوده ضروريا ، في كل عصر وزمان ، ليكون حجة الله في أرضه، والضامن لعباده التسرمد والخلود ، لما يبين لهم من الأصول والأحكام ، والحلال والحرام • « واعلم بأن كل الناس أشخاص لهذا الانسان المطلق ، وهو الذي أشرنا اليه أنه خليفة الله في أرضه منذ يوم خلق آدم أبو البشر الى يوم القيامة الكبرى ، وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة في كل أشخاص الناس ، كما ذكر جل ثناؤه بقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » كما بينا في رسالة البعث • واعلم يا أخي ، أيدك الله بروح منه ، بأن هذا الانسان المطلق ، الذي قلنا هو خليفة الله في أرضه ، وهو مطبوع على قبول جميع الاخلاق البشرية ، وجميع العلوم الانسانية ، والصنائع الحكيمة ، هو موجود في كل وقت وزمان •

هذه الرموز والاشارات الى امام العصر ، والرئيس المطلق للجماعة ، تؤكد على أن اخوان الصفاء من واضعي اللبنة الأولى في صرح دعوة أهل الحق الفكري ، ولا بد لنا من الاستماع الى مؤلف « رسالة الجامعة » التي تعتبر تاج رسائل اخوان الصفاء لنرى ماذا يقول وهو يتحدث عن خلق الصورة (١) الانسانية وان هذه الصورة هي خليفة الله في أرضه : « اعلم أيها الأخ أيدك الله بروح منه أن الباري عز اسمه لما خلق هذا العالم على هذه الهيئة الشريفة والبنية العجيبة ، وجعل صورة الانسان

(١) الرسالة الجامعة : تحقيق الدكتور مصطفى غالب ص ٢٥ .

خليفته في أرضه لتدبير خلقه في العالم السفلي ليصير عند نقلته زينة للعالم العلوي ، وجعل نفسه علامة بالقوة فعالة بالطبع ، ولم يخله من الفوائد العقلية والتأييدات الالهية ، ليتوصل بذلك الى معرفة جميع ما في هذا العالم • وكان من الفضل الذي جاد به عليه والاحسان الذي أسداه اليه ما أفاضه العقل على النفس أولا من الفكر في الاقرار بالمبدع الحق الاول ، ومعرفة العقل الذي هو أصل لها وآب ، وأنه ليس هو المستحق للعبادة المحضة وأن له خالقا ومبدعا ، وكان هذا من العقل اقرارا بخالقه ومبدعه ، وتعريفا لمن هو دونه أنه لا يعرف الا هو ، ان ليس هو الا هو فعند ذلك شهد الله أنه لا اله الا هو ، قال : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون (١) » يعني الملائكة الذين هم عالم العقل وعالم النفس بشهادة عامة من كلا الفريقين : الاول فالأول والافضل فالافضل • وكملت الوحدانية لله بمحض العبودية وخالص الألوهية للباريء سبحانه ، وكان الواحد مشيرا بوجوده الى موجوده ، وبما أفاضه من الجود على من دونه مشيرا الى افاضة الجود عليه من الذي جوده لا يغني المتصل به على الدوام ، المؤيد له بآثار الحكمة الالهية • ولذلك قيل أن في المعلول توجد آثار العلة ، كذلك توجد في النفوس آثار العقل• ومبدع العقل جل جلاله قد تقدم القول بأنه ليس بموصوف بآلة الحدث ، ولا منفي عنه وجود فيض الجود • فوجوده وجود جوده ، واثباته وجود موجوده (٢) » •

ويتحدث صاحب رسالة الجامعة في مكان آخر عن الانسان

---

(١) سورة ٤٣ : ٨٦ .
(٢) الرسالة الجامعة : ص ٢٦ . منشورات دار صادر بيروت .

الكلي وهو يرمز الى الامام صاحب الوقت ، الذي لا يخلو منه الكون لحظة واحدة والا لماد بأهله ، قال (١) : « اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن القول منا قد سبق ، والبرهان عليه قد تحقق ، أن عالم الأفلاك ، وسكان أطباق السموات من لدن الفلك المحيط الى منتهى فلك القمر ، هو عالم روحاني شريف نوراني ، قائم بذاته ، مستكملة آلاته ، مستغن بذاته الطاهرة ، وجواهره الفاخرة ، فهو كمثل انسان طائع لباريه ، مقر بتوحيد خالقه ، ناطق بلسان صادق بالتسبيح ، والتقديس والتهليل ، والتكبير ، والتمجيد ، والتحميد على الدوام ، وأن ذلك هو غاية أنسهم ولذاتهم ، بنغمات لذيذة ، وألحان مطربة وأن ذلك هو الروح والريحان والخيرات الحسان ، مجموع لهم فيه السعادة الكاملة ، والنعمة الشاملة ، صورهم ملكية ، وأرواحهم قدسية ، يتلقون المواد الالهية ، بوساطة الجواهر العقلية ، والبسائط النفسانية ، وسكناهم الهيولى الأولى النورانية ، ومنزلتهم الدار الحيوانية الفاضلة ، ينبوع مخالف لما تحت فلك القمر ، اذ كانت الافلاك المقول عليها بأنها طبيعية خامسة وهيولى أولة ، فقد بان بالبرهان معرفة هذا الانسان الطائع لباريه ، الذي لا معصية فيه ، وهو الانسان الكلي الفاضل ، لأن ما تحته مثال له » . ومن الواضح أن هذه الرموز والاشارات تدل على الامام المعصوم الكامل الفاضل ، الذي يكون جميع ما تحته من مراتب عالم الدين مثال له وقدوة .

ويرى صاحب رسالة الجامعة وهو يتحدث عن معرفة الانسان الفاضل الذي اذا صحت آلاته وكملت له ذاته ، وخلع سوء

---

(١) الرسالة الجامعة : ص (٢٧٧ — ٢٧٨) .

عاداته ، صحت له القوة المتخيلة وصدقته : « فيتخيل بها الاشياء الغائبة عنه بالزمان والمكان ، ثـم يتصورها وينظر اليهـا ، ويخاطبها ، ويقبل عنها اذا أجابته ، فيكون بذلك مستحقـا للمنزلة (١) العالية ، والمنزلة السامية • فعند ذلك تتصل به روحانيات الشمس فتوصل اليه فيض الحد الثاني صفوا ،وتأمره بما تحركه بالقول فيصح التخيل في ضميره ، ثم يؤدي عنـه ويخبر به بالقوة الناطقـة ، والألفاظ المنطقية ، ويخرجـه بحروف منظومة ، ونسبة فاضلة ، على لغة القوم الذين أرسل اليهم ، ونشأ معهم كما قال (٢) الله عز وجل : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (٣) » ، ثم يقيد تلك الألفاظ والحروف والعلوم برسوم من الكتابة دالة على تلك الألفاظ دلالة الألفاظ على تلك الخواطر ، ودلالـة الخواطر على أعيـان الاشيـاء وحقائقها ، ومعانيها ، ثم تنشأ على ذلك مواليد من يأتي في ذلك الزمان ، ويتشكل الفلك بتشكيل النفس المفاضة على ذلـك الرئيس ، وينقاد أحكام روحانيات الكواكب كلها بأسرهـا الى روحانيات الشمس مع القرآن ، ويطول ذلك الرئيس بحسـب موجب الحكمة الالهية ، والعناية الربانية بأهل ذلك الزمـان ، ويصير العالم بأسره لذلك الشخص جسما وآلة ، وجنـودا ، وأعوانا ، ويكون هو بمنزلة الرأس مكان العقل ، ومن يخلفه من أهله وأصحابه ، ومن قبل منه ما ألقاه اليه ، كمثـل الاعضاء الفاصلة ، وينبث منه العلم والحكمة ، والأوامر ، والنواهي ،

---

(١) الرسالة الجامعة : ص ٣٢٢ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٣٢٣ .
(٣) سورة ١٤ : ٤ .

كما تنبث القوى في سائر البدن من الرأس والقلب والكبد ، ويكون العالم كله اذا كانت السعادة كاملة ، متصرفين تحت أمره ونهيه ، منقادين له اذا كملت له شرائط النبوة والمملكة فيكون العالم كله له منقادين طائعين وكارهين ، فالطائعون أهل العلم والمعرفة ، بما يلقيه اليهم من حكمته ، ودين الحق ، والكارهون هم الجاهلون الطائعون له خوف السيف ، ورجاء لما ينالونه من خير الملك ، وهم المنافقون ، والمؤلفة قلوبهم • وكذلك تكون حال أمة بعد أمة ، وشريعة بعد شريعة ، وكل ذلك على حسب مناسبات من الطبائع واتفاقات تقع في الأوقات ، والبقاع والمنشأ، والمواليد ، والمخالطات بأقوام أصدقاء وأقارب ، والتدين بآراء ومذاهب ، ومعارف وحكماء وأستاذين ومعلمين ، والاصغاء اليهم ، والأخذ عنهم ، والتخلق بأخلاقهم ، فبحسب هذه الاتفاقات يقع ايثار الانسان السيء على غيره من الآراء والمذاهب » •

ويعمد بعد كل هذه الاشارات والرموز صاحب الرسالة الجامعة الى مقابلة الأصلين المبدعين بالفرعين المخلوقين ، فيقول : « فلما كان هذان الاسمان واقعين على الأصلين الأعليين اللطيفين في العالم العلوي ، كان بازائهما مثلهما في العالم السفلي ، فمن ، ذلك ما قالته الحكماء ووصفته العلماء ، بما هو ظاهر في الحس ، وموجود في اللمس من كثيف ولطيف ، ورطب ويابس ، وثقيل وخفيف ، وحي وميت ، وزائد وناقص ، وجماد ونام ، وناطق وصامت ، وذكر وأنثى ، فكل هذه أيضا اشارة الى النفس الجزئية والأجسام الطبيعية التي دون فلك القمر في عالم الكون والفساد، فالنفس الناطقة في هذه المجال كمحل العقل في العالم الأعلى ، ومحل سدرة المنتهى ، والطبيعة لهذه النفس الجزئية كالنفس

الكلية للعقل الكلي • فهذه النفس الجزئية هي العقل الجزئي(١) وقوى الطبيعة لها كالنفوس الجزئيـــة ، فاذا قبلــت النفس الجزئية فيض النفس الكلية بوساطة الأفلاك العالية ، واتبعت المرسلين المؤيدين بالملائكة ارتقت ، وارتفعت من محل رتبة الجزء الى فسحة الكل ، والاتصال بمحل الملائكة عند سـدرة المنتهى ، حيث لا تدرك صفة ذلك المكان لرجوع البصر عنه وهو حسير ، والفكر وهو قصير ، وكذلك القوى الحيوانية ، متى قبلت فيض النفوس الجزئية ، بوساطة التعاليم الرياضية صارت يوما ما الى رتبة النفوس الجزئية ، وتقبل التعاليم التكليفية (٢) بوساطة الصور الانسانية فكذلك يكون انتقال النفوس الحيوانية الى الصورة المستقيمة ، ولذلك قيل ان آخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان ، وأول مراتب الانسان في العلم والتعليم الأمور المحسوسة ،وذوات الاشياء الملموسة،والعلوم الرياضيات، ونهاية بلوغ العلوم الالهيات ، وهي أول درجة الملائكة ، وأول درجة الملائكة التسبيح والتقديس ، ومعرفة الوحي والالهام ، ثم الدخول في زمرة الملائكة العلى ، فلا يكون بعد ذلك عائدا الى الدرجة الأنسية ، ولا الى الصورة الجسمانية ، ولا الى الهيولى الطبيعية ، ولا الى القوى الحيوانية ، والى النفسانية النباتية ، ويكون به الغنى عن الغذاء الذي يناله من الأمهات ، بوسائط الصور النباتية ، ويكون غذاؤه من أمور عقلية ، وافاضـات الهية ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وهذا هو الملك الذي لا يبلى ، والدوام الذي لا يفنى ، وهـو

---

(١) الرسالة الجامعة : ص ٣٣٩ .
(٢) المصدر نفســـه : ص ٣٤٠ .

الملك الجديد ، ملك الله ، في دار كرامته ، ومحل رضوانه ونعمته » •

ومن الضروري عندما يتكلم جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء عن العلل والمعلولات أن يتطلعوا الى الوسائط من الانبياء والرسل والأئمة كونهم صلة الوصل بين الله وخلقه فيقولون ما من به عليهم من الهداية الى معرفته ، وتعليمهم عبادته وأمرهم بطاعته ، وارساله اليهم النبيين ، والمرسلين ، أصحاب الشرائع الدينية ، والنواميس الحكمية ، بالعناية الربانية ، فصارت نعمة الله بخلقه متصلة على أيديهم ، بما جاؤوا به من عنده من الكتب المنزلة ، والآيات المفصلة ، والعبادات المفروضة ، والشرائع الموضوعة ، هدى ورحمة للعالمين ، فهيلاء الوسائط بين الله وبين خلقه هم نعم الله على عباده ، وأيديه المبسوطة بالرحمة والبركة في كل دور وزمان ، وعصر (١) وقران ، ومن استخلفوهم من بعدهم للقيام بأحكام شرائعهم ، فهم يقومون في الأمة من بعدهم مقامهم • وهؤلاء المستخلفون من بعد الانبياء ينقسمون قسمين : فمنهم أئمة يهدون بأمر الله عز وجل • وبما أوحاه اليهم على ألسنة أنبيائه ، بما أوصلوه من كلام الله تعالى اليهم ، وعلموهم به ، من فعل الخيرات ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وما يوجد في الشرائع من الحكم المنزلة ، والآيات المفصلة • ومنهم ظالم لنفسه مبين بجلوسه في غير مجلسه ، وأخذه ما لا يستحقه ، وهم أئمة يدعون الى النار • والحكمة الموجودة بعد النبي في شريعته توجد على معنيين مختلفين ، ولذلك وقع الاختلاف في الأمة بعد ذهاب صاحب الشريعة ، وذلك أنه أقام

---

(١) الرسالة الجامعة : ص ٤٧٣ .

فرائض شريعته ، وأحكام دعوته ظاهرة مكشوفة ، وجعل تحت أوامر ظواهرها أمورا خفية ، باطنة مستورة ، لطيفة لا يمسها الا المطهرون من العيوب والذنوب (١) ، كما قال عز اسمه « لا يمسه الا المطهرون (٢) » وقال : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا (٣) » وهذا قول العلماء الربانيين من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة • وهم أصحاب الحكمة الخفية ، اللطيفة ، الطاهرة ، المطهرة ، وهم المطهرون من أدناس الجاهلية ، والحكمة المجازية ، الموجودة بالاسم دون المعنى والحقيقة • وهي الموجودة عند الأئمة ، الذين يدعون الى النار ، وهم أعداء أئمة أهل الحق من بعد نبيهم وهم بقايا الشياطين الكائنين في الجاهلية ، الذين يريدون اطفاء« نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون(٤)» فلهذه العلة ، ومن أجلها ، وقع الاختلاف في أهل الشرائع ، بعد ذهاب أنبيائهم ، وبهذه العلة اذا غلب أهل الباطل على أهل الحق ، استتر أهل الحق ، واذا غلب أهل الحق يكون ظهور أمر الله ، وعود الحق الى أهله » •

ويعالج القاضي النعمان (٥) قضية الامامة من الناحية الفقهية والشرعية في كتابيه الهمة في آداب اتباع الأئمة ، والتوحيد في الامامة ، فيقول : « •• اذ كان اعتقاد ولاية الأئمة والتدين بامامتهم وطاعتهم أصل ما يجب أن يبنى عليه الدين

(١) نفس المصدر : ص ٤٧٤ .
(٢) سورة : ٥٦ : ٧٩ .
(٣) سورة : ٣ : ٧ .
(٤) سورة : ٦١ : ٨ .
(٥) القاضي النعمان بن حيون التميمي المغربي المتوفي سنة ٣٦٣ هجرية .

وأسه .. واذا كان من عرف حقهم واعتقد امامتهم رعى من واجبهم وامتثل من أمرهم ما يرى أنه فرض الله عز وجل عليه واجب وحق لازم ، كانت جلالتهم في صدره أعظم ، وهيبتهم في عينه أكبر من هيبة ملوك الدنيا وجلالتهم في صدور أتباعهم وأعينهم ، اذ كان الله عز وجل تباركت وتقدست أسماؤه قد فرض طاعتهم على عباده في كتابه ، وقرنها بطاعته وطاعة رسوله (صلعم) ، فقال وهو أصدق القائلين : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (١) » فينبغي لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون في جملة من ذكرناه من طبقات أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يعتقد امامتهم ، اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه ، وسخطهم مقرون بسخطه ،فيتحرى من ذلك ما يرجو به رضاء الله الذي جعل الجنة ثوابه ، ويتجنب ما يوجب سخطه الذي جعل النار عقابه ، ويندب نفسه فيما يقربه منهم ويزلفه لديهم ، ويجهدها فيما وافقهم وطابق هواهم وأكسبهم رضاهم فيما أحبه وكرهه وسره وأسخطه ، وليرجع فيما أسخطه من ذلك الى الرضا وكراهيته الى المحبوب ، ويستغفر الله لما عرض له في ذلك ويعلم أنه ذنب عظيم من الذنوب ، وأن التوبة لا تكون الا بالاقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه ويسخط ما سخطوه ، ويحب ما أحبوه ويكره ما كرهوه ، ويعتقد ذلك قولا وفعلا ونية وعملا ولو كان ذلك فيه حتف نفسه واستهلاك أهله وماله وولده ... (٢) » .

---

(١) سورة النساء : اية ٥٩.
(٢) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٢١ تحقيـق الدكتور مصطفى غالب .

ويتحدث القاضي النعمان عن وجوب مودة الأئمة فيقول (١):
« قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى (٢) » فسئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : من هم ؟ فقال : علي وفاطمة والحسن والحسين • وقال صلى الله عليه وعلى آله : من أحبهم فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني • وقال : لا يحب عليا الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق •

وكانوا يقولون ما كنا نعرف المؤمنين من المنافقين على عهد رسول الله (صلعم) الا بمحبة علي مودته وتفضيله ، فنص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله على مودته من كان في عصره ، وحضر من بحضرته على ذلك اذ سألوه عنه ، وافترض الله عز وجل له ذلك على كافة الناس ، وذلك واجب للأئمة من ذريته في كل عصر وزمان على أهله ، فقد سئل أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » فقال والله هي فريضة من الله واجبة على جميع العباد لمحمد صلى الله عليه وعلى آله فينا أهل بيته • وقال عليه السلام : من أحبنا حشره الله معنا يوم القيامة • ثم قال : وهل الدين الا الحب • قال الله عز وجل : « وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم » • وقال : ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم • وقال علي عليه السلام لبعض شيعته : ألا أخبركم بالحسنة التي من جاء بها آمن من فزع يوم القيامة ، وبالسيئة التي من جاء بها

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٢٤ .
(٢) سورة الشورى اية ٢٢ .

أكب الله وجهه في النار · قالوا : بلى يا أمير المؤمنين · قال الحسنة حبنا والسيئة بغضنا (١) » ·

وحول أداء الأمانة للأئمة والنصيحة لهم والتحذير من خيانتهم وغشهم يقول القاضي النعمان (٢) : « قال الله عز وجل : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها (٣) » وقال : « فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته (٤) » وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٥) » · وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا · وقال : الأمانة مؤداة عليكم · وقال : من غشنا فليس منا · وقال علي (ع) لبعض من أوصاه : أد أمانتك · أدوا الامانات الى الاحمر والاسود وان كان حروريا ، وان كان شاميا وان كان أمويا ، وان كان عدوا ، أدوا الأمانة ولو الى قاتل الحسين فأمر الله جل ذكره ورسوله والأئمة من اتباع أهل بيته (صلعم) وعليهم أجمعين أمرا مجملا ومفسرا بأداء الأمانة الى من كانت له ومن ولي أو عدو مؤالف أو مخالف · وذلك ان حق أداء الأمانة انما يلزم المؤمن في نفسه ، وأمانته فيها يرعى ودينه بأدائها يحفظ ، ونفسه بحفظها ينزه ، وان خانها فأمانته يوثغ ، وعرضه يشين ، ودينه يهتضم ، ومروته يضيع ، ليس لمن أئتمنه ولا عليه من ذلك شيء ، من ان كان أكثر من ذهاب حطام عاجل ان خانه

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٢٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٨ .
(٣) سورة النساء : اية ٥٨ .
(٤) سورة البقرة : اية ٢٨٣ .
(٥) سورة الانفال : اية ٢٧ .

المؤتمن أو توفيره عليه ان هو أداه اليه (١) » .

وعن خيانة الأئمة التي يعتبرها القاضي النعمان من الأمور الخطيرة الكبيرة يقول : « وقتل النبي أعظم من ذلك وأكبر ، والخيانة على الانبياء والأئمة أغلظ وزرا ، كذلك صنيع الخير عندهم أكثر أجرا . وقد نهى رسول الله (صلع) عن ضرب البهائم في غير حق ، وأن تحمل فوق طاقتها ، وقال : رأيت صاحبة الكلب في الجنة ، وهي امرأة مرت بكلب يتلظ على بئر فلم تجد ما تستقي له به ، فربطت خفها بخمارها واستقت له ، فسقته فغفر الله لها بذلك وقال : رأيت صاحبة الهرة في النار . وهي امرأة ربطت هرة لها وتركتها لا تطعمها ولا تدعها تأكل من حشائش الارض حتى ماتت فعذبها الله بذلك . وقال : في كل كبد حري رطبة أجر . والأجر في صنيع المعروف الى الانسان أفضل ، وهو في المؤمن أجل .

وكذلك صنيع السوء في الوزر ، وعلى هذا الوزن ما قدمناه من مقدار ذلك في أولياء الله . فاحفظوا أيها الناس أمانتكم ، ما قل منها وما كثر وما صغر وما كبر ، فان اسم الخيانة يقع على القليل والكثير منها ، والخيانة في القليل اثم ونذالة ، وهي في الكثير أعظم اثما وتباعة . قال الحسين بن علي (ع) : من أحبنا بقلبه وجاهد معنا بلسانه ويده فهو معنا في الرفيق الأعلى ، ومن أحبنا بقلبه وذب عنا بلسانه وضعف أن يجاهد معنا بيده فهو معنا في الجنة دون ذلك منزلة ، ومن أحبنا بقلبه وضعف أن يجاهد معنا بلسانه ويده فهو معنا في الجنة دون ذلك ، وليس

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٢٩ .

دون ذلك شيء (١) .

والنصيحة والأمانة لأولياء الله أقل واجبهم ، فمن خانهم وغشهم فقد انسلخ من ولايتهم ، فأحذروا عباد الله الغش والخيانة لهم ، فوالله لو لم يرغب الراغب في الامانة والنصيحة لهم الا في دوام عاجل نعمة الدنيا وشرف ذكرها وأمن عقوبتها ، لكان جديرا بذلك ، فكيف بثواب من الله لا عوض له منه يرجوه ، وعذاب لا عاصم له منه يخافه .

ويرى القاضي النعمان ضرورة توقير الأئمة وتعزيزهم واجلالهم وتعظيمهم (٢) لما أوجبه الله على العباد لهم ، اذ قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، وحرس عباده عليهم وأمرهم برد ما اختلفوا فيه اليهم ، فما كان يجب لرسول الله (صلعم) من التعظيم والتعزيز والتوقير على أهل عصره ، يجب لكل امام على أهل دهره اذ كانت طاعتهم مقرونة بطاعته وان علت منزلة النبي (صلعم) وارتفعت درجته لارتفاع درجة الرسالة على درجة الامامة ، فان تعظيمهم من تعظيم الله جل وعز الذي أقامهم لخلقه ، كما كانت طاعتهم موصولة بطاعته ، ولأنه جعلهم القائمين بأمره والدعاة اليه وأهل الدلالة عليه ، فينبغي لكافة الناس تعظيمهم واجلالهم في أعينهم وصدورهم والتذلل والتواضع لهم ، ورفعهم في القلوب والأبصار عن أقدار ملوك الدنيا وجبابرتها ، واحلال مهابتهم في النفوس فوق محل سلاطين الدنيا فيها ، واعتقاد ذلك التعظيم والاجلال والهيبة والاكبار لله

---

(١) المهة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٣٣ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٣٥ .

الواحد القهار لمكانتهم منه وجلالتهم لديه (١) » .

أما عن الوفاء بعهود الأئمة ورعايتها وتذكار ما أخذ لهم منها فيقول : « ان عهد الأئمة صلوات الله عليهم هو عهد النبيين وهو عهد الله ، كما كانت طاعتهم موصولة لا ينبغي قطعها ، فكذلك عهودهم انما هي على الطاعة ولا ينبغي الا الوفاء بها ، ولا ينبغي نقض شيء منها ، ولو أطاع الله فيما يرى مطيع ، وعصى رسوله أو كذبه لم يقبل الله طاعته وعذبه على تكذيب رسوله ومعصيته ، يشهد بذلك قوله جل ثناؤه واصفا لأكرم رسله عن الملحدين المستوجبين لعذابه : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » القائلين ما استوجبوا به غضب الله مع اقرارهم بربوبيته بجحدهم نبوة رسوله ، وكذلك يلزم من أقـر بالله ورسوله ، ولم يعترف بامة أولياء الله وأوصياء رسوله ولو عبد الله على ذلك أيام حياته وطول مدته ، لكان ممن قال الله جل ذكره : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٢) » وكذلك هو ان أطاع الله ورسوله بزعمه ، وعصى امامه أو كذب به فهو آثم في معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده امامه ومعصيته ، اذ كان الله عز وجل جمع تلك الطاعات ، وافترضها ووصلها فلم يقطعها ، وجمعها فلم يفرق بينها ، فمن وخى لله بعده ولرسوله وأوليائه ممن قال الله تعالى : « فسيؤتيه أجرا عظيما » فالأجر العظيم الجنة (٣) .

ومن نقض عهد الله من بعد ميثاقه وقطع ما أمر الله به أن

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٣٦ .
(٢) سورة الفرقان : آية ٢٣ .
(٣) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٤٠ .

يوصل فهو من الخاسرين الذين وصفهم الله عز وجل في كتابه : « وهم الذين خسروا الدنيا والآخرة ، خسروا رضاء الأئمة عنهم في الدنيا ، ورضاء الله عنهم في الآخرة ، وصاروا الى عذابه ، لقطعهم هذه الطاعة التي أمر الله بها أن توصل ، فبالوفاء بعهد الله وعهد أنبيائه وأوليائه وطاعتهم استحق المؤمنون اسم الايمان ، واستوجبوا ثواب ربهم الذي وعدهم اياه في كتابه ، وبنكث عهدهم ونقضه واطراحه استحق الناكثون عذاب الله وخسروا رحمته» [*] .

ويعتقد القاضي النعمان الفقيه الحقاني الكبير أنه يجب طلب الاستغفار من الله بواسطة الأئمة باعتبارهم خلفاء الله في أرضه وأبواب رحمته خلقله وأسباب مغفرته لعباده ، ومن استشفع بهم شفع ، ومن استرحم بهم رحم ، ومن توسل بهم وصل ، والذي جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله صلى الله عليه وعلى آله فهو لمن وصل طاعته بطاعته من الأئمة من أهل بيته ، ولو لم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله عن عباده وارتفعت مغفرته لخلقه ، وسدت أبواب التوبة دونهم ، وعدموا عفوه عنهم ، كلا ان الله جل ثناؤه لم يخل أرضه من حجة على عباده ، ومفزع وملاذ لخلقه ، وباب لرحمته ، ودليل عليه لبريته رأفة منه لعباده لئلا يكون عليه حجة لأحد من خلقه أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولم نجد لما جهلناه من عليم ولا خبير ولا مفزع نلجأ اليه في استغفار ذنوبنا ، كما ذكر الله عز وجل في كتابه لما قبض الرسول فقد أخبرهم عز وجل في التنزيل أنه وصل طاعته وطاعة رسوله بطاعة أولي الأمر من بعده وفي أمره اياهم بطاعتهم وتسميته اياهم دليل على تعبدهم بطاعتهم ورد الأمور كلها

اليهم والتسليم فيها لهم ، فينبغي لأتباع الأئمة أن يعلموا أن الله عز وجل جعلهم لهم أبوابا لرحمته وأسبابا لمغفرته فمن خالف شيئا مما عاهدهم عليه أو ضيع أمرا تقدموا اليه أو اقترف شيئا أشفق منه فعليه أن يأتيهم ويرفع ذلك من أمره اليهم تائبا متنصلا مما صار اليه ، مستغفرا من ذنوبه فيه ، مستشفعا الى الله بامام دهره من ذنبه (١) .

ويعتمد في رأيه على ما يقوله الامام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه : نحن أبواب الله وأسبابه لعباده ، ومن تقرب منا قرب ، ومن استشفع بنا شفع ، ومن استرحم بنا رحم ، ومن أعرض عنا ضل (٢) . ويؤكد القاضي النعمان أن الأئمة يعلمون ما غاب عن الخلق سواهم من العلوم ، وينظرون بنور الله ، وأنه يمدهم بتوفيقه ويهديهم بهدايته ، ويطلعهم على ما سألوه أن يطلعهم عليه بلطيف تدبيره وحكمته ، وفضله عليهم ونعمته ، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله (٣) : « ان المؤمن ينظر بنور الله . وهو الامام صلوات الله عليه ، فان قال قائل ان ذلك لكل مؤمن ، فنظر الامام بعد رسول الله (صلعم) أفضل لأنه فوق جميع المؤمنين ، وقد جاء عن جعفر بن محمد أنه سئل عن قول الله عز وجل : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » فقال : نحن المتوسمون ننظر بنور الله الى عباده ، فاحذروا فراستنا فيكم » .

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : للقاضي النعمان ص (٤٥ — ٤٦) .
(٢) المصدر نفسه ص ٤٧ .
(٣) المصدر نفسه ص ٥١ .

ومن الطبيعي أن يتعرض القاضي النعمان في كتابه (١) الى ما يجب لأولياء الله على عباده من الجهاد معهم في سبيله فيقول : « الجهاد في سبيل الله مع أولياء الله ومن أقاموه من عباده على من عند عليهم من مسلم أو كافر فرض من الله في أرضه بين عباده . فالجهاد الجهاد عباد الله مع أوليائه في سبيله بأموالكم وأنفسكم كما افترض الله في كتابه عليكم ، فأنتم حسنات المجاهدين من قبلكم ، فاجهدوا أنفسكم في أن تكون لكم حسنات من المؤمنين من بعدكم . لأن من جاهد في سبيل الله فاستخرج مشركا من شركه الى الاسلام أو باغيا من بغيه الى العدل والايمان طائعا بالاجابة أو كرها بالأسر ثم من الله عليه أو على عقبه بالايمان فهو ونسله وما تناسل منهم حسنات لمن كان سبب ذلك لهم ، وله مثل أجر أعملهم من غير نقص من أجورهم ، وحقيق على الله ألا يدخل محسنا منهم الجنة ويقصر بمن كان سببه اليها دونها ما لم يأت من الذنوب ما تحرم به الجنة عليه ، وفي مثل هذا قال أبو جعفر محمد بن علي لرجل قد قال له : يا ابن رسول الله ان الناس يجدون في أنفسهم من قولكم أنكم مواليهم . فقال عليه السلام : الناس ثلاثة أصناف ، فصنف دعوناه الى الله ورسوله فأجابنا فمنة الله ومنة رسوله ومنتنا عليه ، وصنف دافعنا فقتلنا ، وصنف من الله عليهم ورسوله عام الفتح ، فمن أي صنف من هذه الأصناف شاء أن يكون هذا القاتل فليكن فمنتنا عليه ونحن مواليه (٢) .

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان تقديم وتحقيق الدكتور مصطفى غالب .
(٢) المصدر نفسه ص (٦٣ — ٦٤) .

فالأئمة صلوات الله عليهم هم أسباب رحمة الله لخلقه و نعمته عليهم بدعوتهم اياهم اليه بالجهاد في سبيل الله والدعاء اليه وهم الذين استنقذوهم من الكفر الى الاسلام ، ومن البغي والشرك الى التوحيد والايمان ، فهم حسناتهم وعتقاؤهم ومن أعان أولياء الله في ذلك وظاهرهم عليه وتولاهم واتبعهم فيه ، فهو فهم لقول الله عز وجل حكاية عن خليله ابراهيم : « فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم (١) » وقوله تبارك وتعالى : « ومن يتولاهم منكم فانه منهم (٢) » فالمجاهدون كما أمرهم الله عز وجل بأموالهم وأنفسهم في سبيل ربهم داخلون في سعة هذا الفضل الذي لا يقصر عن أهل الدنيا لو دخلوا فيه بل يسعهم منه ما يقصر آمالهم دونه » .

ويرى القاضي النعمان أنه للأئمة واجب مفروض على المؤمنين والمؤمنات يقضي بأخذ أموالهم صدقة لتطهير أنفسهم وتزكيتها عملا بقوله سبحانه وتعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (٣) » فهذه الصدقة فيما اتفق عليه أهل القبلة هي صدقة الابل والبقر والغنم ، وما يجب في الأموال وما أخرجت الارض وصدقة الفطر ، يؤخذ ذلك من أهله في كل عام وسميت أيضا زكاة لقول الله عز وجل « وتزكيهم بها » وقدر ما يؤخذ من ذلك معروف مفهوم في كل ما يجب فيه لو ذكرناه لخرج عن حد هذا الكتاب ، أمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وعلى آله بأخذه من أموال المسلمين وصرفه في

---

(١) سورة ابراهيم : اية ٣٦ .
(٢) سورة المائدة : اية ٥٤ .
(٣) سورة التوبة : اية ١٠٣ .

وجوهه التي سماها الله تعالى في كتابه اذ يقول جل ثناؤه : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (١) » • ففرض الله عز وجل على المسلمين اخراج ذلك من أموالهم في كل عام ، ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وفرض عليه صرفه في وجوهه التي سماها الله فكان المسلمون يدفعون ذلك الى عماله الذين استعملهم على قبض ذلك منهم ، وهم العاملون عليها الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه (٢) •

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : أوجب الله تعالى لنا الخمس في أموال عباده المؤمنين وجعله لنا حقا عليهم فمن منعنا ونصيبنا في ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب • وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئا أشد عليهم مما فرض عليهم في أموالهم ، وفي ذلك هلك عامتهم فأنزلوها المنزلة التي أنزلها الله تعالى فانها أمانة عندكم وليست من أموالكم التي أباحها الله لكم فما أقبح بالرجل أن يأتمنه أحد من سائر الناس من ملي أو ذمي على أمانة أو يودعه وديعة فيخونه فيها أو يستأثر دونه بها أو يجحده اياها ان هذا لما يرغب عنه كثير من عوام الناس أنفة عنه وكيف بمن خان أمانة الله وأمانة رسوله وأكل حق أوليائه واستأثر دونهم به ، فان أكل ذلك وأنفقه فقليل والله ما اعتاض منه ولو استغنى وعف عنه لوجد حلالا غيره لأن الله عز وجل قد

---

(١) سورة التوبة : اية ٦٠ .

(٢) الهمة في اداب اتباع الائمة : ص ٧٦ .

وجوهه التي سماها الله تعالى في كتابه اذ يقـول جل ثناؤه : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفـة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (١) » • ففرض الله عز وجل على المسلمين اخراج ذلك من أموالهم في كل عام ، ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وفرض عليه صرفه في وجوهه التي سماها الله فكان المسلمون يدفعون ذلك الى عماله الذين استعملهم على قبض ذلك منهم ، وهم العاملون عليها الذين ذكرهـم الله تعالى في كتابه (٢) •

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : أوجب الله تعالى لنا الخمس في أموال عباده المؤمنين وجعله لنا حقا عليهم فمن منعنا ونصيبنا في ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب • وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئا أشد عليهم مما فرض عليهم في أموالهم ، وفي ذلك هلك عامتهم فأنزلوها المنزلة التي أنزلها الله تعالى فانها أمانة عندكم وليست من أموالكم التي أباحها الله لكم فما أقبح بالرجل أن يأتمنه أحد من سائر الناس من ملي أو ذمي على أمانة أو يودعه وديعة فيخونه فيها أو يستأثر دونه بها أو يجحـده اياها ان هذا لما يرغب عنه كثير من عوام الناس أنفة عنه وكيف بمن خان أمانة الله وأمانة رسوله وأكل حق أوليائه واستأثر دونهم به ، فان أكل ذلك وأنفقه فقليل والله ما اعتاض منه ولو استغنى وعف عنه لوجد حلالا غيره لأن الله عز وجل قد

---

(١) سورة التوبة : اية ٦٠ .
(٢) الهمة في اداب اتباع الائمة : ص ٧٦ .

تكفل بالرزق لعباده وان أبقاه لورثته من بعده ، فيا لها من حسرة عليه ونقص في دينه ٠

وحول الخوف من الأئمة والحذر من عقوبتهم وسقوط المنزلة عندهم يقول القاضي النعمان (١) : « ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه ، ويتقيهم كما يتقي الله ، اذ كان الله عز وجل قد قرن طاعتهم بطاعته ، وجعلهم الوسائط فيما بينه وبين خلقه والشهداء على عباده ، فرضاهم موصول برضاء الله ، وسخطهم معقود بسخطه ، وبهم يثيب وبهم يعاقب » ٠

قال جعفر بن محمد : والله ما هو الا الله عز وجل ، وأومأ بيده الى السماء ، ونحن وأومأ بيده الى نفسه ، وشيعتنا منا وسائر الناس في النار ، بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعص الله من أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله سبقت طاعتنا عزيمة من الله الى خلقه أنه لا يقبل من أحد عملا الا بنا ، فنحن باب الله وحجته وأمناؤه على خلقه ، وحفظة سره ومستودع علمه ٠ فالواجب على جميع العباد كما يرى القاضي النعمان التقرب بالطاعة الى أولياء الله والتزين بالأعمال الصالحة عندهم ، واتباع ما أمروا به ، واجتناب ما نهوا عنه ، والعمل بما يرضيهم ، ويزكوا لديهم ويزلف به اليهم والخوف منهم ، اذ كان ذلك من القربات الى الله جل ذكره ، وقد وعد الله الخائفين منه جنته ٠

وينبغي لمن زاده الامام منه قربا أن يزداد له تعظيما ومنه خوفا ، ولا يرى من تحفظ عند نفسه من السقوط وتعفف عن

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ٩٩ ٠

المحارم وتنزه عن الشبهات ورعى أمانته وعهده وبذل مجهوده انه قد أمن فيطرح الخوف ويدع المراقبة فان التهاون من رأس الخطايا وان الملائكة الذين هم أكثر العباد خوفا من الله واجتهادا في طاعته لا ذنوب لهم ولكنهم يخافونها على أنفسهم ويتقونها ، ومن لم يخف شيئا أمنه أو اذا أمنه تهاون به ، وفي الخوف من الأئمة تعظيم لأمرهم واجلال قدرهم ، وفي استشمار ذلك والمحافظة عليه وكونه نصب الأعين وفي سويداء القلوب وعين الفكرة ، وحديث الأنفس ما يؤمن معه الزلل المردي عندهم ، المسقط المنزلة لديهم ، المزيل نعمتهم عمن أنعموا بها عليه ، فلم يرعها حق رعايتها الموجب مقتهم نعوذ بالله من ذلك ومن دواعيه ومن كل عمل يوجبه ويدني اليه (١) .

ويؤكد القاضي النعمان مصرا على ضرورة اتباع ما وافق الأئمة والابتعاد عن اتيان ما خالفهم ، وليس على اتباع الأئمة (٢) سوى أن يؤدبوا أنفسهم ويأخذوها في سرهم وعلانيتهم بما وافق أئمتهم ويحذروا خلافهم ، فقد قال الله عز وجل لمن قرن طاعتهم بطاعته وأوجب لهم من الحق من ذلك مثل ما أوجبه له ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٣) » وليعلموا أن احتمال الأئمة اياهم على خلاف الموافقة ان احتملوهم على ذلك احتمال محنقة واستثقال وفي ذلك سوء العاقبة في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة أو فيهما معا ، فمن ثقل وشق عليهم فقد استحق مقتهم وتعرض

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ١٠١ .
(٢) المصدر نفسه ص ١١٩ .
(٣) سورة النور : اية ٦٣ .

لعقوبتهم ومقت الله وعقوبته •

وقد قيل ان الانسان الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ، لأن الحمل الثقيل يحمله البدن والانسان الثقيل انما يحمله الروح والروح أشرف من أن يحمل ثقلا سيما أرواح الأئمة التي طهرها الله وشرفها وعظمها وكرمها ، فالحذر الحذر عباد الله من الجناية عليها بغير ما وافقها ، فان ذلك أعظم في الاثم وأخوف من العقوبة (١) •

ويرى القاضي النعمان أنه ينبغي لأتباع الأئمة أولياء الله أن يتأدبوا بآداب الله وأن (٢) يكونوا كما وصفهم الله في كتابه حلماء رحماء أهل سكينة ووقار في العلانية والاسرار • فذلك شرف وزين لهم في العاجل ، وذخر وثواب في الآجل ، وأوجب ما تزينوا بذلك واستعملوه واعتقدوه وأخلصوا فيه لأئمتهم وولاة أمرهم ، الذين تضاعف لهم الحسنات فيما أتوه من الخير عندهم كما تضاعف العذاب لمن أتى بالمنكر اليهم •

وحول الآداب في السلام على الأئمة والكلام بين أيديهم يقول القاضي النعمان : « تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيم الله عز وجل ، انه ان ما يراد من تعظيمهم طاعته ويبتغي فيه مرضاته لا شريك له ، وقد رأينا أوصياءهم وولاة عهودهم يقبلون الارض في سلامهم عليهم بين أيديهم اجلالا لهم وعلما بقدرهم ومعرفة بما أوجب الله لهم ، فاتباعهم أحق من اقتدى في ذلك بهم ويتقرب الى الله بتعظيم أوليائه غير مستنكفين ولا

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النهان ص ١٢٠ . صدر عن داره مكتبة الهلال بيروت .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٧ .

مستكبرين عنه ، والرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى عن قولهم ونزه (١) أولياءه عن افترائهم عليهم ، وللسجود حقيقة هي غير تقبيل الارض عند كل من نظرهم شيء من العلم من مؤالف أو مخالف ، لا يرون من قبل الارض في صلواته ساجدا حتى يأتي بحقيقة السجود على جبهته وأنفه وينويه نية سجوده على أنه لو سجد ساجد لولي من أولياء الله اعظاما لله لم يكن ذلك بمنكر ، فقد ذكر الله عن أبوي يوسف واخوته أنهم خروا له سجدا فلم يعب ذلك من فعلهم ، وأعاب الذين يسجدون للشمس من دون الله وقال : « لا تسجدوا الا لله » .

فانما نهى عز وجل عن السجود لأحد من دونه يتخذه الها معبودا ، فأما السجود تعظيما له فلم ينه عنه ، فالذي نهى عنه رسول الله (صلعم) من السجود اليه من اقتدى في ذلك بما رآه من الحبشة الذين يسجدون لملوكهم فأولئك انما سجدوا لهم من دون الله لأنهم مجوس لا يعرفون الله تعالى ، فنهى النبي (صلعم) عن الاقتداء بهم . على انا لم نقل انا نسجد للأئمة ولا أنهم أمروا صلوات الله عليهم بالسجود لهم ، وانما هو تقبيل الارض التي يطأونها اعظاما لهم عن تقبيل أيديهم ، وفي هذا احتجاج يطول ذكره ، وفيما ذكرناه منه كفاية ، فينبغي لمن واجه الامام أن يبدأ بالسلام عليه ، ثم يقبل الارض بين يديه ، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا الى الله ويقول في السلام عليه قبل انحطاطه لتقبيل الارض : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ويكون ذلك بحيث يراه الامام وان كان المسلم بحيث

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ١٤٨ .

يسمع رد الامام عليه السلام لم ينحط الى الارض لتقبيلها الا بعد فراغ رد الامام عليه السلام ، ثم اذا قبل الارض قام فان حضر لأمر يريد الكلام فيه مما يجب وينبغي لمثله أن يتكلم به ، وكان ممن ينبغي لمثله الكلام بين يدي الأئمة تكلم والا استأذن في الكلام، فان أذن له الامام تكلم وان لم يأذن له انصرف ، فقد قال بعض الملوك لبعض من وفد عليه من الاشراف وقد قام بين يديه يريد الكلام : ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم (١) .

هذا واجب لملوك الدنيا وواجب الأئمة فوق ذلك ، وأحسن ما يفتتح به الكلام من أراد الكلام بين يدي الأئمة اذا كان وافدا عليهم ، أو مريدا لكلام يطول ، أن يفتتح بحمد الله والصلاة على رسوله وعلى الأئمة ، فقد جاء في الاستفتاح بذلك أثر ، وان لم يكن ذلك أو لم يحسنه المتكلم فليدع بما تهيأ من الدعاء الى الامام ، ففي الدعاء ذكر الله وهو يجزي في الاستفتاح من الحمد ، ثم يتكلم بما أراد من الكلام ، ويستعمل من لفظه ما تعطيه قريحته وتنطاع له (٢) طباعه وينطلق له به لسانه ، غير متكلف كلاما روي فيه قبل ذلك وأحكمه وألفه وألف له وحفظه ، فانه لا يأمن أن يحتاج الى كلام لم يتقدم فيه ، ويختصر الكلام ما استطاع وأمكنه الاختصار في بيان ويجتنب التطويل والاطناب والتشدق والاسهاب .

والقيام بين يدي الأئمة أولياء الله لمن عرف حقهم واعتقد امامتهم (٣) واعتقد قيامه ذلك تعظيما له واجلالا لمكانهم عبادة

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ١٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٥١ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٥٨ .

يتقرب بها الى الله الذي أوجب تعظيمهم واجلالهم · كما كان القيام في الصلاة لله تعالى تعظيما له · قال جل ثناؤه : « وقوموا لله قانتين » فينبغي لمن قام ذلك القيام أن يجعله لله تعالى قربة يتقرب بها اليه وينوي ذلك ويعتقده بقلبه ويجل مقامهم في صدره ، ويرى أن ذلك القيام فيه حظ عظيم لنفسه اذ كان مما يتقرب به الى ربه ، ويرجو لديه ثوابه ، ولا يرى أن الجلوس لديهم أفضل من القيام بين أيديهم ، ولا أن ذلك أدنى اليهم ، ولا أن أحدا يستحقه عندهم ، فاذا عرف ذلك واعتقده وأضمره وقصده ثم أمروه بالجلوس اكراما له أو لأمر ما رأوه فليجلس معترفا في ذلك بفضل نعمتهم عليه ويشكر على ذلك بما أمكنه ولا يتهاون ولا يستصغر بقدر النعمة والمنة فيه فانه قدر جليل الدرجة وفضل عظيم المنزلة (١) ·

فأما رموزهم عليهم السلام وأمثالهم واشاراتهم بمعاريض الكلام فبحور لا يخاض تيارها ، ولا يدرك قعرها ، ولا يفهمها عنهم الا من شرح الله عز وجل صدره لمعرفتها وفهمها ، وهي أكثر من أن يحاط بها ··· الامام أعلم بمصالح العباد ، وتدبير الأمور في كل عصر وزمان (٢) ·

وينبغي لمنساير الأئمة في سفر أو حضر ، أن يلزم الموضع الذي فيه رتبته ، فان كان فيمن رتب أن يسير بين يدي الامام سار كذلك ولزم ما أمر به ، وجعل همته وشغله التحفظ لمكان الامام من غير أن يكثر التلفت اليه ولا يثني عطفه نحوه ، ولكنه يتفقد ذلك باختلاس من نظره ، ومشى عرضية في خفية يرى

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ١٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٦٢ .

منها الامام خلفه فيعرف أين هو منه ، ومكانه من القدر الذي رتب له أن يكون فيما بينه وبينه ، فان بعد عن حد ذلك وقف حتى ينتهي الامام الى الموضع الذي يرى أن ما بينه وبينه هو القدر الذي رتب له وان رأى الامام قد قرب منه حرك حتى يكون الحد الذي ينبغي له أن يكون فيه ، وان كان على قصد اعتدال فوقف الامام وقف حتى اذا سار سار بسيره (١) ٠

وحول حضور طعام الأئمة يقول القاضي النعمان : قال الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق (٢) » فهذا ما فرض الله على المؤمنين لنبيهم صلى الله عليه وآله الذي قرن طاعة الأئمة بطاعته ، وكذلك ينبغي لهم لزوم هذا الأدب الصالح لأئمتهم فلا يأتي طعامهم ويدخل اليهم في بيوتهم الا من دعى الى أكله الا أن يكون ذلك من الطعام الذي أباحوه لساير الناس أو لمثل من يريد أكله ، فاذا كان ذلك فله أكله بالاباحة ، وان لم يدع باسمه اليه ويباح له بعينه (٣) ٠

وينبغي لكل من أكل طعام الأئمة أن يعلم قدره ويعظمه حق تعظيمه ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : اذا وضعت موائد آل محمد حفت بها الملائكة يستغفرون الله لهم ولمن أكل من طعامهم ٠ وكان بعض الأئمة صلوات الله عليهم

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة ص ١٧١ ٠
(٢) سورة الاحزاب : اية ٥٣ ٠
(٣) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ١٧٦ ٠

اذا قرب طعامه الى من يحضره اليه يقول لهم : كلوا وتبركوا به (١) ·

ويتعرض القاضي النعمان الى الآداب في طلب الحوائج من الأئمة فيقول : قد جعل الله عز وجل عند أوليائه لمن عرفهم وسلم لأمرهم ودان بطاعتهم وامامتهم خير الدنيا والآخرة ، فمن أراد الآخرة محضا عندهم وجدها ، ومن أحب الدنيا لديهم أصابها ، ومن طلبهما معا وجدهما · فينبغي لمن أراد سؤالهم لنفسه أو لغيره أمرا من أمور دنياه أو من أمور آخرته أن يتلطف في السؤال ، ويتحرى به مواطن الاقبال ، ويجعل لكل وجه من سؤاله حدا فيقدم فيه لنفسه روية وأدبا فان سأل أمر الدين الحق واجتهد ، وان سأل في أمر الدنيا خفف واقتصد ، ولا يتعدى في كلا الأمرين وحده ولا يتجاوز قدره ، فان سأل من أمر الدين لم يسأل ما جاوز حده فقد جاء عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه سمع رجلا يقول : اللهم اجعلني من الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما فقال : لقد سألت ربك شططا ، سألته أن يجعلك اماما مفترض الطاعة وهذا ما لا يكون لك (٢) ·

وجاء عن علي (ع) أن عقيلا أخاه سأله أن يعطيه مالا لا يستطيعه ولا يمكنه فقال له : يا عقيل اذا كان من الليل فأتني لنخرج فننزل على فلان اليهودي ، وكان ذا مال فنقتله ونأخذ ماله فنعطيكه ففيه فوق ما سألت · فقال سبحان الله تعالى يا أمير المؤمنين أوتفعل هذا ؟ فقال : لا والله ما كنت بالذي أفعله وان

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة ص ١٧٧ ·
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٨ ·

الذي لله من ماله في يدي لأعظم حرمة منه ولكن ان صبرت حتى يخرج عطائي قاسمتك اياه فتركه ولحق معاوية ، فكانت له مع معاوية أخبار يطول ذكرها ، بكت فيها معاوية وأخزاه وفضحه ، وذلك أنه رام منه نقص علي (ع) فلم يعطه الدنية من نفسه في ذلك فكان منه اليه ما خلد ذكره عنه من القول فيه (١) ٠

ويرى القاضي النعمان أنه لا بد لاتباع الأئمة من الاعتراف والاقرار بأفعال الأئمة وأنها غير قابلة للنقد أو التجريح ، لأنها منبعثة من ذاتهم المقدسة المعصومة مـن الخطأ ، لقوله تعالى : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقوله : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ٠ ولما كانت طاعة رسول الله (صلعم) فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وترك الخلاف عليه فرض من الله تعالى على عباده وذلك من وجوه الطاعات له، فقد قرن الله تعالى طاعة الأئمة بطاعته ، والطاعة لا تكـون باللسان حتى تصحبها النية والاعتقاد ، ولم يجعل الله لأحد من عباده أن ينتقد على رسول الله (صلعم) ولا أن يتعقب شيئا من فعله ولا أن ينكره بلسانه ولا بقلبه ، بل أوجب عز وجل التسليم له في كتابه ولم يوجب الايمان الا به ٠ وكذلك يجب ذلك لمن وصل الله طاعته بطاعته وجعله للأمة خلفا منه وهـم الأئمة من أهل بيته (صلعم) ، فالواجب لكل امام على أهـل زمانه طاعتهم له وتسليمهم لأمره وتركهم الاعتراض عليـه ومخالفة أمره والانتقاد عليه والتعقب لأفعاله لأن الله عز وجل

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة : القاضي النعمان ص ١٨٩ ٠

قد قلد الامام أمور عباده وتكفل بتوفيقه وتسديده ، وأورثه عمن تقدم من آبائه ، وزاده من فضله ومده بمعونته (١) .

والامام ينظر بنور ربه ويعمل بتأييده اياه وعونه له ، وارشاده لما يحسن به العواقب ويصلح العمل به في كل عصر وزمان ومع كل قرن وفي كل وقت وأوان . ويجري في كل يوم تدبيره ويستعمل لكل زمان ما يصلحه ، ويحدث في كل عصر ما يشبهه ، ويقابل كل قوم بما ينبغي أن يقابلهم به ، ويظهر في كل حين ما يصلح اظهاره فيه من أمر يأمر به ونهي ينهى عنه ، وحادث يحدثه وأمر يظهره وحالة يستعملها ، وسيرة يجريها والناس عن تدبيره ذلك كله بمعزل وعن علم الصلاح فيه بجانب غير أنهم قد أغروا بالانكار على الأئمة وتكلفوا ما قد حمل من فعلهم وما لم يجعل الله تعقبه (٢) انكاره اليهم ، بل قد أوجب الاذعان والتسليم فيه عليهم ، فان نظروا الى زي الأئمة ولباسهم وما يظهرونه من الاعداد والقوة لمباهات أعدائهم ويصنعونه ويقيمونه لردعهم وارهابهم أوهموا لمن وهم بذلك وطعنوا فيه عليهم وتكلموا فيه وأنكروه من فعلهم ، وقالوا لم يكن رسول الله والخلفاء من بعده يتبعون مثل هذا كأنهم لم يسمعوا ما ذكره الله عز وجل في القرآن بما وهب من الملك ليوسف وداود وسليمان ، وما جاء عنهم في الأخبار مما كان لهم من النعم في الدنيا والآثار ولغيرهم من النبيين والصديقين والصالحين وما جاء في ذلك من الأئمة الراشدين .

الآراء والأفكار التي أوردناها بعد أن نقلناها عن القاضي

---

(١) الهمة في اداب اتباع الائمة ص ١٩٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٩٤ .

النعمان تعطينا الدليل الواضح على مدى السلطة الدينية والدنيوية التي كان يتمتع بها الأئمة لدى جماعة أهل الحق ، باعتبار هذه السلطة قد فرضت لهم من قبل الله سبحانه وتعالى ، لذلك يجب أن يتعلم أتباع الأئمة كيفية السلوك والتقدير والاحترام والطاعة لهؤلاء الأئمة ، كونهم حجج الله على خلقه ، وهداة الى الطريق المستقيم ، فوجب على كل مؤمن أن يعرف كيف يتبع هؤلاء الأئمة ، وأن يسلم اليهم أمره ·

أما الامامة من الناحية العرفانية الفلسفية فقد عالجها كبار فلاسفة أهل الحق باسلوب عقلاني لا بد لنا من استعراض بعض هذه الأفكار العقلانية لنكوّن فكرة صحيحة من هذه المسألة المعقدة الشائكة التي شغلت الناس عبر القرون والأزمان ·

يقول الداعي الحقاني أبو يعقوب السجستاني (١) : « ان الينبوع ينبوعان : ينبوع طبيعي وينبوع روحاني · فالينبوع الطبيعي : هي العيون النابعة من الركن البارز الرطب الطبيعي الذي به قوام المواليد الطبيعية من المعادن والنبات والحيوان والبشر · والينبوع الروحاني : هي العيون النابعة بالعلوم الربانية من السابق ، الذي به حياة نفوس المؤمنين والأجنحة واللواحق والأتماء والنطقاء · فأردت أن أقابل في هذا الباب الينابيع الروحانية بالينابيع الطبيعية ، وأن أكشف عن مرموزاتها ، وأشرح كل دقيق وجليل فيها لتظهر قدرة الله جل جلاله وسبحانيته عند المعاندين الجاحدين بآياته ، المكذبين لرسله

---

(١) هو ابو يعقوب اسحاق بن احمد السجزي او السجستاني ويلقب بدندان ولد سنة ٢٧١ هجرية في سجستان ، وقتل في تركستان سنة ٣٣١ هجرية . كتاب الينابيع ص (٦٢ ـــ ٦٣) تحقيق الدكتور مصطفى غالب منشورات المكتب التجاري بيروت .

وخلفائه في أرضه ، العاكفين على آرائهم بغير هدي من الله ، وليرغب أهل الحق فيما هو غائب عنهم من العلوم الملكوتية ، اذا وجدوا حلاوة ما يفتح لهم في هذا الباب وسائر أبواب هذا الكتاب •

أقول : ان حروف اسم الله دليلة على الينابيع الأربعة ، التي جرت من وحدته لقوام الروحانيين من الملائكة المقربين وعباده الصالحين • فوقع كل حرف من حروفه مقابل ينبوع من تلك الينابيع ، مثل الألف الواقع مقابل السابق الذي هو ينبوع التأييد ، ومثل اللام الاول الواقع مقابل التالي الذي هو ينبوع التركيب ، ومثل اللام الثاني الواقع مقابل الناطق الذي هو ينبوع التأليف ، ومثل الهاء المدور الكري الواقع مقابل الأساس الذي هو ينبوع التأويل ، فقابلتها من الينابيع الطبيعية الأركان الأربعة ، التي هي ينابيع جرت من الطبيعة الكلية لقوام الجسمانيين من المعادن والنبات والحيوان والانس (١) •

فكانت منها النار ينبوع الحرارة والتسخين والتلطيف ، والهواء ينبوع الانسلاك والتكثيف • ولو ان العاقل نظر في خلقة الأمهات وهيئاتها في نفس حروف الله ، لوجد منها يشبه ما يقابله من أركان هذا العالم الطبيعي : وذلك ان حرف الالف بازاء النار الصاعد علوا في الاستقامة بل ميل الى أحد الجوانب• واللام بازاء الهواء ذي طرفين ، طرف منه الى النار ، وطرف منه الى الماء ، كذلك اللام ذو قدرين : طول وعرض •

واللام الأخرى بازاء الماء ذي طرفين : طرف منه الى الهواء ،

---

(١) الينابيع : السجستاني ص ٦٤ . تحقيق الدكتور مصطفى غالب منشورات المكتب التجاري بيروت .

وطرف منه الى الارض • كذلك اللام الأخرى ذو قدرين : طول وعرض • والهاء المدور الكري بازاء الارض المدورة الكروية التي عليها قرار المواليد كما استقر اسم الله على حرف الهاء •

وكذلك الينابيع الاربعة تشبه الاركان ، وذلك ان السابق يشبه النار في جميع أحواله ، اذ السابق هو الذي يسخن النفس ويلطفها ليخرجها من حد القوة الى حد الفعل (١) • وكما ان التأييد مستور ، كذلك النار مستورة ، لا تدرك ما هي بجوهرها مفردة الا في جسد قابل لها ، وان سطحت النار تلاق الجرم المستدير الخارج عن هذه الطبائع • كذلك أفق العقل يلاقي كلمة الله جل جلاله الخارجة عن جميع الأيسيات الواقعة تحت السابق • ولا يقوى مع النار شيء ، كذلك لا يقوى شيء من الحدود الروحانية والجسمانية مع السابق ، وان النار صلاح للمعيشة وطبخ الاشياء النيئة ، كذلك بتأييد السابق صلاح الدنيا والآخرة ، وادراك الاشياء المستغلقة • ثم بالتالي يشبه الهواء في جميع أحواله ، اذ منه تثمير الرسل وتركيبهم ، كما ان من الهواء تثمير العالم الجسماني وتركيبه لقبول الصور الطبيعية ، وأن يبصر المبصر للألوان والصور ، كذلك يبصر الناطق بالتالي الصور العقلية والألوان الحكمية • وانه قابل النور والظلمة ، على أن في آثاره من يقبل الهدى وفيها من يقبل

---

(١) لما كان الانسان الذي هو اخر الموجودات ، وهو النهاية الثانية لها منحلا الى اشياء كثيرة مفعولة فيها هي المادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة ، والى اشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل فيها لاخراج ما من شأنه ان يوجد منها الى الوجود ، وهي كلها قائمة بالفعل ، فالانسان فاعل في مواد هي غيره ، ومفعول من دار الطبيعة ، وفعل للملائكة القائمة بالفعل .

الضلالة ، وهو الذي يقبل الفساد والعفونة ، ومن يقبل الصلاح والصفوة ، على أن في آثاره من يرجع مثابا ، وفيها من يرجع معاقبا ٠

ثم الناطق يشبه الماء في جميع أحواله ، اذ منه جميع الحكم والعلوم وجري الشريعة الموافقة لأهل دوره ٠ وان من الماء تلتطم الامواج الهائلة المهلكة للخلق ، وكذلك في ظاهر الناطق وحيزه تتولد أمواج الاختلاف المؤدية الموبقة ٠ وصلاح الماء في باطن الأشياء أكثر منه في ظاهره ٠ وان الماء أبدا بين صعود ونزول من غير فترة ، كذلك الناطق بين صعود الى مرتبة التالي ليستفيد منه حظه من الكلمة ، وبين افادة منه لمن دونه (١) ٠

والأساس يشبه الارض في جميع أحوالها ، اذ منه انشاء البيان للأنس (٢) ، كما ان من الارض انشاء الجواهر ،واخراج الصور الجسمانية ، وان في باطن الارض يستجن الماء والهواء والنار ، كذلك في الأساس يجتمع تأييد السابق وتوفيق التالي ، وتعليم الناطق ٠ وان ابتداء الاربعة من واحد : فاذا اجتمعت أجزاء الاربعة كانت عشرة ، وهو واحد في ذاتها ، على أن علة الأصول الاربعة انما هي وحدة الباري ، ودعوتهم ودعوة أجزائهم ــ وهم الأئمة واللواحق ــ انما هي دعوة الى وحدة الواحد المتعالي عن الصفات والاضافات ٠

---

(١) الينابيع : السجستاني ص ٦٦ ٠
(٢) في الاساس اي الامام اساس الدور يجتمع تاييد السابق وتوفيق التالي ، وتعليم الناطق : يعني ان الامام تجتمع فيه كافة الفضائل والخصائص التي تطلق على السابق والتالي والناطق ، باعتباره القائم بالفعل مقام تلك المراتب الروحانية السامية ، والعقول الابداعية الكائنة في عالم العقول والارواح ٠

كذلك ابتداء الاركان الاربعة من الطبيعة ـ التي هي القوة الفاعلة ـ وانتهاؤها الى الاشخاص الغير المتجزئة التي كل شخص منها يؤدي من نفسه دلالة العشرة ، وهي الجوهرية الموجودة فيه، والأعراض التسعة اللاحقة بها المؤدي جميعها صورة الطبيعة التي هي واحدة من جميع فاعليتها ٠

وهكذا حروف الله ابتداؤها الألف ـ الـذي هو واحد ـ وانتهاؤها الى الهاء التي هي آخرها أيضا ، وهي واحدة ، فقد وافق من جهة نظمه العالم وتأليف الاسم الاعظم ٠ وان الألف واللام اذا جمعا ، كان منهما كلمة النفي وهي (لا) غير مشار اليه ، واذا جمع اللام الاخر مع الهاء ، كان منهما كلمة الاثبات وهي له مشار اليه ، على أن الاصلين غير مشار اليهما ٠

والباري جل جلاله لا مشار اليه ولا لا مشار اليه ، واذا جمع اللام الآخر مع الهاء ، كان منهما كلمة الاثبات وهي (لـه) مشار اليه ، على ان الأصلين غير مشار اليهما ، والأساسين مشار اليهما ، والباريء جل جلاله لا مشار اليه ولا مشار اليه بالاشارة، وهكذا الهواء والنار لا يدركـان بالاشارة ، والمـاء والارض يدركان بالاشارة ٠

وهكذا وضع عند أخذ المساحة صورة الفلك على أربعـة أوتاد ، فجعلوا الوتد الاول ـ وهو الطالع ـ بيت الحيـاة ، والوتد الثاني ـ وهو الرابع ـ بيت العاقبة ٠ والوتد الثالث ـ وهو السابع ـ بيت الخصومة ٠ والوتد الرابع ـ وهو العاشر ـ بيت الرفعة والسلطـان ٠ عنوا بذلـك أن ابتـداء الصورة الروحانية أيضا يكون من جهة الاصول الاربعة ٠ فعنوا بالوتد الأول ـ وهو الطالع ، بيت الحياة ـ السابق الذي هو أول طالع

من الظلمة لظهور الأيسيات ، وبه نصاب الحياة الروحانية الابدية • وعنوا بالوتد الثاني ـ وهو الرابع الذي سموه بيت العاقبة ـ التالي ، اذ اليه تنتهي عواقب الأمور ، ومنه اكمال الأصول الاربعة ، وعنوا بالوتد الثالث ـ الذي هو السابع وبيت الخصومة ـ الناطق الذي هو أحد النطقاء السبعة ومن قبله تتولد الخصومات والاختلافات في أهل العلم • وعنوا بالوتد الرابع ـ الذي هو العاشر ، بيت العز والرفعة والسلطان ـ الأساس ، الذي به تكتمل الحدود العشرة (١) من الروحانيين والجسمانيين ، ومن قبله يصيب المرتاد العز والرفعة والسلطان، ثم أضافوا الى كل وتد ما يليه على حسبه •

وان أبعد الحروف مخرجا من البدن هي العين والحاء والخاء والهاء ، كذلك أبعد الحدود غورا وأقربها قبولا من الكلمة ، الأصول الاربعة • فالعين منها نظير السابق ، الذي هو عين العلم والعقل والعمل والرفعة والعزة والعلوم ، وهو مجمع الحروف العلوية السبعة ، كما أن العين مجمع العشرات السبعة • والحاء

(١) الحدود العشرة : الروحانية منها هي : العقل الاول او المبدع الاول ، العقل الثاني (فلك الكواكب الاعلى الحاوي لكل ما في عالم الجسم الثاني الذي يأتي في الترتيب بعد عالم الجسم الاول وهو عالم الهيولي والصورة) . العقل الثالث (فلك زحل) . العقل الرابع (فلك المشتري) . العقل الخامس (فلك المريخ) . العقل السادس (فلك الشمس) . العقل السابع (فلك زهرة) . العقل الثامن (فلك عطارد). العقل التاسع (فلك القمر) . العقل العاشر (مأذون فلك القمر) . يقابلهما من الحدود الجسمانية ما يلي بالترتيب : الناطق ، الاساس ، المتمم الاول ـ الامام ، المتم الثاني ـ الباب ، المتمم الثالث ـ الحجة ، المتمم الرابع ـ داعي البلاغ . المتمم الخامس ـ الداعي المطلق . المتمم السادس ـ الداعي المحدود . المتمم السابع ـ المأذون المطلق ، المتمم الثامن ـ المأذون المحدود . المتمم التاسع ـ المكاسر ـ المكالب .

منها نظير التالي ، الذي منه الحياة الحسية والنطقية ، ومنه يتولد الحلم والحكمة والحجة ، وأنه أيضا مجمع الحروف العلوية ، كما أن الحاء مجمع الحروف الثمانية • والخاء منها نظير الناطق ، الذي ينشر الخبرات في العالم ، وانه مجمع النطقاء الستة • كما أن الخاء مجمع المثين الستة • والهاء منها نظير الأساس ، الذي به اهتدى الناس وأصابوا الهدى من بعد الضلال، وانه مجمع الأسس الخمسة • كما أن الهاء مجمع الآحاد • واذا قوبلت الحروف الاربعة بحروف الله والأركان الاربعة والأمهات الاربعة •

وفي معنى اضافة أمر الله الى الكاف والنون يقول السجستاني: المعنى في اضافة أمر الله الى هذين الحرفين ـ وهما الكاف والنون ـ ينصرف على معنيين : أحدهما انه لما امتنع ظهور شيء من الروحاني والجسماني الا من بين زوج لطيف أو كثيف ، وكان قيام الأزواج بأمر الله ـ عز وجل ـ عبر عنه بحرفين ، ليعلم أنه علة جميع من يوجد فيه قيام الزوجية ، فليس شيء الا والزوجة فيه موجودة ، فليس اذا شيء خارج من أن يكون الأمر علته • فكان هذان الحرفان المزدوجان في هذه الكلمة ـ التي كونها عن أمر الله ـ شهادة من جميع المخلوقين المزدوج كل واحد منهما مع صاحبه ـ كازدواج الكاف مع النون ـ بأن قيامهم جميعا بأمر الله تعالى (١) •

والمعنى الآخر : الكاف والنون بحروف الجمل سبعون ، وهي السبعة من العشرات فكأنه ينبئك أن أمر الله الذي يقال له ارادة ، انما أراد الله أن يظهر به الحروف العلوية السبعة ،

---

(١) الينابيع : السجستاني ص ٧٤ .

التي بها انشاء الصور الروحانية ، وأراد أن يقوم به الكواكب التي بها انشاء الصور الجسمانية ، وأراد أن يقوم به في العالم الجسماني النطقاء السبعة لاقامة السياسات الناموسية ، وأراد أن يقوم به الاعضاء السبعة المتفقة بعضها مع بعض في شخص الانسان ، التي بها انشاء الصناعات العجيبة البديعة ·

وان بين الكاف والنون حرفين ، وهما اللام والميم ، واللام والميم اذا قرنا ، كان من ذلك (لم) وهو بحث عن علته ، يعني ان جميع العوالم داخلة في أمر الله جل وعلا ، كما وقع هذان الحرفان وهما اللام والميم بين الكاف والنون ، ولا يتهيأ لأحد التجاوز عنه ، ويجوز ان الكاف والنون على من أقام أولا بأمر الله ، وهما الأصلان اللطيفان (١) واللام والميم على من تولد من بينهما ، وهما الأساسان ، فاللام على الناطق والميم على الأساس · وقبل الكاف من حروف الجمل الياء ، وبعد النون السين ، وهم سبعون ، وهم دليلا على الأتماء السبعة الذين بهم قوام الدعوة الى الأصول الاربعة ، كما قال عز وجل : « يس · والقرآن الحكيم (٢) » فالياء والسين دلالة على الأتماء السبعة ، والقرآن على الاساس ، والحكيم على صاحب التأويل ·

ومن جهة نظم الحروف : قبل الكاف القاف ، وبعد النون الواو ، وهما أيضا سبعة ، اذ الواو ستة والقاف مائة والمائة واحدة ، على أن بعد الأتماء السبعة يكون الخلفاء السبعة الذين

---

(١) يقصد بالاصلان اللطيفان السابق والتالي باعتبارهما اصل الموجودات الروحانية . والسابق اصل لجميع المتحركات في عالمي الجسم والعقل ؛ وعالم الجسم كثيف ظاهر ، بينما عالم العقل لطيف باطن . يقابلهما في عالم الدين النبي والامام صاحب الدور الذي هو الاساس .

(٢) سورة يس اية ١ ، ٢ .

بهم نشوء الصور الروحانية وبروزها • وان من هذين الحرفين حرفا متحركا وحرفا ساكنا ، يعني أن نهاية الابداع من جهة الأصلين بلغت الى الهيولى والصورة ، اللتين احداهما متحركة والأخرى ساكنة • وهي من جهة الاشخاص الطبيعية بلغت الى الاساسين اللذين أحدهما صاحب التأليف والحركة ، والآخر صاحب التأويل والسكون (١) • وحروفهما ستة ، فهما كاف ونون ، عني بـه أن استقـرار الامر على الأصلين والأساسين والفرعين •

ويناقش الداعي الحقاني السجستاني القول بأن الله بكل مكان ، فيرى أن هذا الرأي لا يليق بالخلق الاول فضلا عن المبدع جل جلاله تعالى ويقول : « ان الشيء الذي لا يخلو منه مكان ، انما هو الطبيعة فقط • وذلك أنها بأي اللفظين يعبر عنها ، انها القوة الفاعلة ، وانها مبدأ الحركة ، فانك تجد المكان غير خال عنها • وذلك ان المكان اذا ثبت مصورا في النفس بغريزة العقل، فان تصويره قوة فاعلة ، أو تصوير بدء حركته منه معا لا يخلو عن النفس والعقل ، وهما قد خلوا عن عين المصور • ومثل ذلك انا متى توهمنا ان بعض الهواء قد صار مكانا لبعض البخارات

---

(١) من الملاحظ ان جماعة اهل الحق يعتبرون النبي (ص) صاحب التأليف والحركة اي التنزيل ، والوحي اي الامام صاحب التأويل الباطن . والتأويل باعتقادهم نظرية دينية فلسفية ، تتلخص في ان الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان ، لذا يجب ان يستدل بما في الطبيعة وبما على وجه الارض ، على ادراك حقيقة الدين ، وذهبوا الى ان المخلوقات قسمان : قسم ظاهر للعيان ، وقسم باطن خفي ، فالظاهر يدل على الباطن ، وما ظهر من امور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في القرآن هي معاني يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلا لا يعلمه الا الائمة وكبار دعاتهم وحدودهم .

الصاعدة نحوه ، فان تصويره قوة فاعلة في ذلك المكان من الهواء، وهو اذابة تلك البخارات بحر الشمس ، أو تصوير بدء حركة لنزولها الى المكان الأخص بها ، مما لا يخلو ذلك عن النفس والعقل ، فاذا الطبيعة في كل مكان ، لا السابق ولا التالي ولا مبدعهما ، حاشاه من ذلك وتقدس عنه ٠

وانما قلنا ان السابق والتالي خارجان عن المكان ، وغنيتهما لأنا كذا شاهدنا جميع المتمكنات انما قوامها بأمكنتها ، والامكنة الطبيعية تحفظ المتمكنات الطبيعية ، وكذلك ان الأفق يحفظ جوهر النار والهواء،وكذلك الوسط يحفظ جوهر الماء والارض، والدوائر تحفظ جواهر الأفلاك والكواكب ولو لم تكن هذه الجواهر محفوظة بأماكنها ، لفسدت السماوات والأرض ، ومن فيهن ، فبطلت حكمة المبدع (١) ٠

والقول في ان لم تضادد الأمكنة بعضها بعضا ، وما وجه الحكمة فيها ، فانها مسألة صعبة عسرة جدا ، ويحتاج في الابانة عنها الى اضعاف ما قلناه في هذا الكتاب ، فانها من السر المكنون، ونحن نعظم المبدع الأول ان نقول انه بكل مكان ، بل نقول ان جميع الأمكنة والمتمكنات في حد من حدوده التي جاد بها على التالي مع ما جاد بها عليه ، والتالي قد أفاض هذا الحد على الطبيعة من فوائد العقل ٠ فاذا نسب هذا الحد الى ما جاد به السابق على التالي ، كان ذلك أيضا مما لا قدر له لخفيته ٠ فكيف ما عند السابق من افاضة المبدع الحق عليه ، والمبدع الحق تعالى عن ذلك وعن كل مكان ومتمكن ، فتنزه عنها » ٠

ويتحدث الداعي السجستاني مفسرا معنى الشهادة

---

(١) الينابيع : السجستاني ص ١١٨ ٠

فيقول (١) : « في قول النبي صلى الله عليه وعلى آله « لا اله الا الله مفتاح الجنة » هو أن الجنة كلمة الله التي بهـا أبـدع الأشياء التي هي في الجنة من أيسية • لا يوجد في شيء من الاشياء محض الكلمة التي هي ابداع الشيء لا من شيء • ولو وجدت في شيء من الاشياء ، أمكن أن يكون ذلك الشيء ابداعا لا من شيء • وليست توجد هذه الفضيلة في شيء من الاشياء ليحتمـل هذه الفضيلة لكلمته جل وتعالى ، فهي جنة بالحقيقة • والكلمـات الاربع من الشهادة ـ التي هي مفاتيحها ـ الأصول الاربعـة : الأصلان والاساسان • فالسابق مفتاح جميـع الأيسيات مـن الروحاني والجسماني ، اذ كل أيس هو مثل ما جمع السابق في هويته بابداع المبدع اياه منه ، أعني بالسابق فتح جميـع الايسيات من الكلمة • والتالي مفتاح جميع الاشياء ذوات النظم والتأليف بمقدار حظه من الكلمة ، اذ الاشياء المنظومة المؤلفة ، لا تتوهم الا مصورة في الانفس اللطيفة قبل ظهورها منظومـة مؤلفة ، أعني بالتالي فتح جميع الاشياء المركبة المنظومة (٢) •

والناطق مفتاح جميع الألفاظ المنطقية المعبرة عن الفضائل العقلية والمركبات النفسية المخبرة عن صور الكوائن الفلكيـة فيه ـ أعني الناطق ـ فتح جميع السياسات الشرعية من الكلمة • والأساس مفتاح جميع ما آل اليه من الايسيات العقلية والمركبات النفسية والسياسات الناطقية • وهو الذي يضع كل شيء في موضعه ، وبه أعني ـ الاساس ـ فتح جميع التأويلات العلمية

(١) الينابيع : السجستاني ص (١٤٢ ــ ١٤٣) .
(٢) يعني أن الامام بما اوتيه من تأييد السابق والتالي بمقدوره ان يفتح كافة السبل الدينية ، والموجودات العقلية ، والانفعالات النفسية .

من الكلمة •

فـ (لا) من الشهادة شطرية الأساس حرفان ، نصف حروف الله التي هي شطرية السابق ، اذ الله أربعة أحرف ، وهو ـ أعني (لا) ـ كلمة النفي والله كلمة الاثبات ، على أن الأساس هو الذي أبرز نصف ما جرى من السابق في الناطق ، والناطق هو الذي أبرز الظاهر من الحقيقة والشريعة من التأويل ، وهو الذي احتاج الى نفي الشبهات عن التوحيد •

والسابق لا ينصف ما برز المبدع فيه ، بل أخرجه في غاية الكمال • فلذلك صارت كلمته أربعة أحرف ، اذ الاربعة أكمل الأعداد ، وهو الذي أثبت الصانع حيث أقر بالالهية • و (اله) شطرية الناطق ، اذ هو خليفة السابق في العالم الجسماني • وفي (الـه) نقصان حرف واحد من الله وهو لام • على أن الناطق لم ينل التمامية كما نالها السابق ، وهو صاحب المراتب الثلاث من الرسالة والوصاية والامامة • و (الا) شطرية التالي ، وهي كلمة الاستثناء ، على أن التالي مثل السابق في اظهار الايسيات الجسمانية ، لا في باب الايسيات الروحانية (١) •

وهذه الكلمات الاربع للدلالة على الأصول الاربعة : اذ جمعتها انفتح لك من المبدع جميع الاشياء • والمفتاح لا يفتح الباب بنفسه ، بل يجب أن يكون له فاتح يفتحه ، كذلك لا يتهيأ لأحد أن يقف على مراتب الأصول الاربعة التي هي مفتاح كلمة المبدع ، الا بفاتح هاد من متم أو لاحق أو جناح ، وان سقطت من المفاتيح واحدة ، لا يتهيأ للفاتح أن يفتح الباب (٢) •

---

(١) الينابيع : السجستاني ص ١٤٤ .
(٢) المقصود ان الحدود على مختلف مراتبهم هم المكلفين وحدهم بفتح ابواب =

كذلك ان كان الفاتح الهادي منكرا مرتبة واحد منَ الأصول الاربعة ـ من السابق والتالي والناطق والأساس ، لم يتهيأ أن يفتح للمرتاد شيئا من معالم دينه • فان أخذ في مفاتحته مع الانكار ، انما يتعب نفسه ولا تزيد مفاتحته الا عناء وانغلاقا ، كما أنه اذ هم صاحب المفتاح الذي سقطت شظيته ، أن يفتح الباب بذلك المفتاح ، لم يمكنه ذلك وأتعب نفسه ، بل ربما أزال الغلق عن موضعه من كثرة التحريك • فلهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا اله الا الله مفتاح الجنة » •

وما دمنا قد وصلنا الى هذا الحد من آراء الداعي السجستاني حول الامامة ورموزها العرفانية لا بد لنا من ايراد رأيه حول اتفاق الصليب مع الشهادة واشاراتها ورموزها العقلانية ،حيث يقول : « ان الشهادة مبنية على النفي والاثبات ، فالابتداء بالنفي والانتهاء الى الاثبات • وكذلك الصليب خشبتان : خشبة ثابتة لذاتها ، وخشبة أخرى ليس لها ثبات الا بثبات أخرى • والشهادة أربع كلمات ، كذلك الصليب له أربعة أطراف • فالطرف الذي هو ثابت في الارض ، منزلته صاحب التأويل الذي تستقر عليه نفوس المرتادين فالطرف الذي يقابله علوا في الجو ، منزلته منزلة صاحب التأييد الذي عليه تستقر نفوس المؤيدين • والطرفان اللذان في الوسط يمنة ويسرة على التالي والناطق ، اللذين أحدهما صاحب التأليف ، أحدهما مقابل

= الحقيقة بما استمدوه من قوى روحانية تأييدية تخولهم القيام بهذه المهمة ، التي هي التأويل الباطن الذي يظهرون بواسطته الظاهر من الحقيقة والشريعة . فاذا سقط احد الحدود اي اصل من الاصول الاربعة صعب الامساك بمفتاح الحقيقة . وبذلك تظل الحقيقة بعيدة عن الظهور .

الآخر ، والطرف القائم على السابق الممد لجميع الحروف •

الشهادة سبع فصول ، كذلك الصليب أربع زوايا وثلاث نهايات • وللزاوية الاربع والنهايات الثلاث دليلة على الأتماء السبعة في دوره كما دلت الفصول السبعة في الشهادة على أئمة دور ناطقنا عليه السلام وكل طرف منها له ثلاثة أطراف ، تكون الجملة اثني عشر ، كذلك الشهادة اثني عشر حرفا • وكما أن تأليفها من ثلاثة أحرف غير مكررة ، كذلك الصليب تركيبه من سطوح وخطوط وزوايا • فالخطوط نظيرها الألف ، والسطوح نظيرها اللام ، والزوايا نظيرها الهاء (١) •

وكما أن الشهادة انما تكمل عند اقترانها بمحمد صلى الله عليه وآله ، كذلك الصليب انما شرف بعد أن وجد عليه صاحب ذلك الدور •

هذه مجمل آراء بعض فلاسفة أهل الحق العرفانية في الامامة من الناحية الفلسفية العقلانية ، والرموز والاشارات الخفية ، استعرضناها لما فيها من دلالة على مدى تقديس هذه الجماعة لمرتبة الامامة باعتبارها مكملة لمرتبة النبوة ، وتتميما للفائدة نقدم آراء داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي حول هذه الناحية الهامة من عقائد أهل الحق •

ومما يقوله المؤيد في الدين داعي الدعاة (٢) مستفتحا المجلس الثاني من المائة الأولى من المجالس المؤيدية : « الحمد لله المفضل المنعم ، المنزه عن أن يعرج اليه بمعارج التوهم ، موقد سراج

---

(١) الينابيع : السجستاني ص ١٤٩ .
(٢) هو هبة الله بن ابي عمران موسى بن داود الشيرازي ، ولد في شيراز حوالي سنة ٤٠٠ هجرية وتوفي سنة ٤٧٠ هجرية .

العقل في الجسد المظلم ، ومنشيء جوهره المطهر عن ثوب اللحم والدم في الجسم المخلوق من اللحم والدم ، وصلى الله على المصطفى المشرف عنده المعظم ، محمدا خير الرسل الى خير الأمم ، وعلى وصيه بحر العلوم والحكم ، القيم بالدين ، علي بن أبي طالب ضراب القمم ، وكشاف الغمم ، وعلى الأئمة من ذريته أعلام الحل والحرم ، الأخيار الطاهرين وسلم (١) » .

وفي المجلس الثالث من المائة الأولى يقول معلنا بصراحة عن وصاية علي بن أبي طالب وأنه جنب الله : « الحمد لله اللامعة كلماته في سماء الاعجاز ، الرافلة في حُلى البلاغة والايجاز ، والصادرة من عين الحقيقة التي لا يشوبها شين المجاز ، الممتنع من أن تتناولها أيدي المتغلبين على مقامات أوليائه بأوثق الاحراز .

وصلى الله على محمد المصطفى المبعوث من ربه بتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبه ، وعلى وصيه علي ابن أبي طالب جنب الله ، الخاسر ، من فرط في جنبه ، والنازل فيه وحيا من ربه ، ويطعمون الطعام على حبه ، وعلى الأئمة الأطهار الناشئين من صلبه ، القائم دين الحق بولائهم قيام الدائرة بقطبه » .

ويقول في المجلس السادس من المائة الأولى من مجالسه (٢) : « معشر المؤمنين : نفعكم الله بيومكم هذا الذي جعل برهان فضله مبينا ، وأنزل فيه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم

(١) المجالس المؤيدية : تحقيق الدكتور مصطفى غالب ص ٨ منشورات دار الاندلس بيروت .
(٢) المجالس المؤيدية : المائة الاولى ص (٢٤ — ٢٥) .

نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا (١) » ان هذا يوم نزول فريضة ختم الله بها فرائض الدين ، وأوضح معها نهج الهدى للمهتدين، ولقد كان النبي (ص) فرقا من وقفة تبليغها وآدائها ، ناظرا من وراء ستر رقيق الى ما ترشح به نفوس من ماء بفضائها ، حتى نزلت عليه الآية ، بما ضيق خناق العذر ، وجعله يصدع للأمر : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (٢) » .

ومعلوم ان فرقة من الفرق لا تدعي أن النبي (ص) وقف عن تبليغ رسالته في فرض صلاة أو زكاة ، ولا صوم أو حج أو جهاد ، وانه دعاهم الى الصلاة على صعوبتها على الأبدان ، والزكاة على شح الناس بأموالهم ، والصوم على مضض سغبه وعطشه ، والحج الذي لم يكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، والجهاد الذي فيه التغرير بالأرواح غير متحاشي من ذلك كله ، ولا مترجح في أمره .

ولما كانت الولاية هي المزكية لنار الأحقاد والمثيرة لحسد الحساد ، فكانت رائد التوقف ، والدعوة الى التأني في الاداء والتلطف ، فان دافع مدافع ان التوقف ما كان عند تبليغ فرض الولاية ، لم يبق لقول الله سبحانه : « يا أيها الرسول بلغ » رباط يرتبط به ، ولا مسند يستند اليه مع اتفاق الجمهور على أن النبي (ص) لم يقعد عن تبليغ الرسالة في الصلاة والزكاة وما يجري مجراها .

فقد صار هذا العلم مثل على الضرورة أن نزول الآية في

(١) سورة المائدة : اية ٣ .
(٢) سورة المائدة اية ٦٧ .

شأن علي (ع) وشأن الولاية ، وقول آخر : ان مضمون الآية يقتضي ان هذا الفرض الذي وقع التوقف عنه هو قوام للفرائض كلها ، وان ثبوتها بنبوته ، وزوالها بزواله ، وذلك قوله تعالى : « وان لم تفعل فما بلغت رسالته » • يعني ان الذي بلغت ما بلغت في ما تقدم ، والذي صنعت ما صنعت ، بل ضيعت هذا على مقتضى فحوى الآية ، والعقل يوجب أن يكون ذلك كذلك ، فلو أن رجلا عمل بفرائض الله تعالى والسنة التي جاء بها رسول الله كلها ، ثم لم يقرن بعمله اعتقاد ولاية الرسول الآتي بها لم يغن عنه ما عمل فتيلا ، ولم يتبع غير سبيل أهل النار سبيلا ، اذ ولاية الرسول كالمركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض ، فلا يصح وجودها الا بوجوده ، ولا تثبت صحتها الا بصحته ، واذا كانت هذه نصبة الرسول في حياته كانت نصبة من يوليه أمر دينه مثلها في مماته ، يدل عليه قوله (ص) للناس : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ وفحواه الاذكار بقول الله سبحانه : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » •

فحين قالوا : نعم • قال صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد على اقرارهم • ثم قال : فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار • الخبر المعروف ، وكمثل ذلك تنصيب من يليه ومن يلي من يليه ، ما انتقلت الولاية من واحد الى واحد ، وورثها ولد عن والد ، فقد دلت الآية والعقل على أن الولاية هي الأصل الذي عليه موضوع الفرائض (١) •

وهنا قول آخر : ان قول الله سبحانه لرسوله (ص) في هذا

---

(١) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٢٦ .

الشأن : « وان لم تفعل فما بلغت رسالته » موجب بالضرورة شرطيا وهو ان من لم يقبل من الرسول (ص) فرض الولاية آخرا فكأنه لم يقبل منه فرائض الصلاة والزكاة وغيرها أولا ، ليقع الأمران سواء عند المقابلة ، فالرسول اذا لم يبلغ الرسالة الآخرة فكأنه ما بلغ الأولى ، والأمة أيضا اذا لم يقبلوا منه الرسالة الآخرة فكأنما ما قبلوا الأولى في شأن الصلاة والزكاة وغيرهما مثلا بمثل (١) ·

وقول آخر معلوم : ان الفرائض التي فرضها الله سبحانه في كتابه سوف يعرض لها من عوارض الأمور ما يعللها ويبطلها ، ويدخل نقصا عليها ، كمثل الصلاة التي يستولي عليها النقص بالمريض ، فيجعل قيامها قعودا ، أو قعودها اضطجاعا ، وكمثل الزكاة التي يبطلها عدم المال ، وكمثل الصوم الذي يبطل بعلة السفر ، وحيض الحائض ، وعلة العليل ، وكمثل الحج الذي يبطله عدم الاستطاعة والولاية هي الفريضة الثابتة التي لا شيء يبطلها ولا علة بحال من الأحوال تعلها ·

فقد دل ذلك على كونها أصل الفرائض وقطبها وقوامها ، والتي لا تمتد أيدي العلل نحوها ، وقول آخر : ان الله تعالى قسم فرائض دينه أقساما ، فجعل الصلاة والصوم من الانسان تكليف جسده ، والزكاة تكليف ماله ، والحج والجهاد تكليف جسده وماله ، وجعل الولاية من بين الجميع تكليف قلبه الذي هو أمير الجوارح كلها اخبارا عن كون الولاية أميرة الفرائض كلها ، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ·

---

(١) المجالس المؤيدية المائة الاولى : ص ٢٧ ·

فعليكم معشر المؤمنين بتعظيم أبيكم من قبل الدين ، وأمكم الدينية الذي قال النبي (ص) : أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين • فبالغوا بالبر بهما ، وصلوا ما وصله الله سبحانه من سببهما ، وأجذروا من بحر الخلاف المستغرق لأهله بصدمات موجه ، وجانبوا (١) المستملين من سحر هاروت وماروت فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وتناهوا كذلك من جهة النسب في كرامة الوالدين ، لتكونوا ممن عمل بالمثل والممثول ، وأخذهما بكلتي اليدين •

جعلكم الله أيها المؤمنون ممن استوحى بوصية ربه سبحانه فاستفاد أمنا في الدارين ، ويمنا • اذ يقول ومن أحسن منه قولا : « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » • والحمد لله الذي لا عاد لألائه ، ولا راد لقضائه ، وصلى على المصطفى سيد أنبيائه ، وأجل أصفيائه ، وعلى وصيه المؤيد من سمائه ، علي ابن أبي طالب علامة معاني كلمات الله وأسمائه ، وعلى الأئمة الأطهار من أبنائه ، خلفاء الله في أرضه وأحبائه ، وسلم تسليما، وحسبنا الله ونعم الوكيل (٢) » •

ونلاحظ أن داعي الدعاة بعد أن يثبت الولاية ويؤكد أنها فرض من جملة الفروض التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على عباده ، بل يرى أنها من أنجع الفروض وأنفعها وأقربها الى الباري سبحانه ، يحمل بعنف وشدة على الغلاة الذين يعتقدون بأن الأئمة آلهة وشركاء للباري سبحانه في قدرته وحكمته ، معتبرا ان الأئمة هم حجج الله على خلقه وشهوده ، الموفون

(١) المجالس المؤيدية : ص ٢٨ .
(٢) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٢٨ .

بمواثيق الله وعهوده ، وليسوا أربابا ولا آلهة ، ومن يعتقد خلاف ذلك يعد في نظره غاليا وقاليا : « أحمده حمد من انخفض فارتفع ، ولو طار لوقع ، وعجز فأدرك ، ولو تحرك لأشرك ، وأحجم فملك ولو أقدم لهلك ، لأنه الله تعالى الذي لا يدركه من لا تدركه الابصار ، ولا يحصره من لا تحصره الأفكار ،فسبحان الذي دون تناوله للأفكار أستار ، ولا قدام الأوهام زلل وعثار ، وصلى الله على المصطفى محمدا خير من قام بدينه كافلا ، ولأعباء ملكوته حاملا ، ليحق حقا ويبطل باطلا ، وعلى وصيه الذي كان بمنزلة هارون من موسى نازلا ، علي بن أبي طالب(ع) خير من مشى بين السماطين للأقران منازلا ، وسلم عليه وعلى الأئمة الطاهرين من ذريته سلاما تاما كاملا .. (١) .

... وكان قريء عليكم من معنى قول أمير المؤمنين (ع) وغلو من غلا فيه وقولهم ما قال النصارى في المسيح ما سمعتموه وأورد عليكم في حل مشكل الخبر المأثور عنه ما عرفتموه وأولياء الله الظاهرون متنزهون عن افك الغالين فيهم والمتجاوزين بهم لحدهم بريئون الى الله سبحانه من شر ما يأفكون ، وانهم لفي سبل طاعته وعبوديته سالكون ، ولما كان علي (ع) مسيح هذه الأمة بما شبهه النبي (ص) به اعترضت فيه عوارض هذه الشبهة فقد قيل في المسيح انما سمي مسيحا لكونه ممسوحا بكلمة الله ، وقيل كان ممسوحا بماء نهر الأردن ، وقيل كان ممسوحا بالدهن ، وعلى هذه النسبة فقد كان علي (ع) مسيحا لكونه ممسوحا بكلمة الله ، ما مسه دنس الجاهلية ، آمن برسول الله وهو طفل ، وكان يصلي بصلاته ، ويتنسك بنسكه ، وكما ان

---

(١) المجالس المؤيدية : ص ١٨٠ .

المسيح أوتي الكلمة التي هي آية النبوة طفلا ، فكذلك أوتي هذه الكلمة التي هي آية الوصاية طفلا ، وكما ان المسيح قال للدنيا طلقتك ثلاثا ، وكذلك (ع) قال للدنيا طلقتك ثلاثة ، وقال : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ، وقال النبي (ص) : لولا اني أتخوف أن يقول فيك الناس ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من الناس الا وكانوا (١) يأخذون التراب من تحت قدمك ، ويشربون من فضل طهورك ، وقال الله سبحانه : « ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون • وقالوا آلهتنا خير أم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون • ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (٢) » •

وفي ضمن هذه الآية من التعريض بعلي (ع) ما لا يصح غيره في المعقول عند ذوي الخبرة بالتأويل ، والا فلم ضرب ابن مريم مثلا لقوم النبي (ص) وهم بالبعد الأبعد من القول من جهة المناسبة اذ كانت أمته النصارى الذين هم على ملته ولم يكن العرب على ملته بكونهم متوجهين للأصنام والأوثان ، وما وجه صدورهم عنه وغيظهم منه من حيث لا معرفة هناك ولا نكرة ، والعهد بينه وبينهم ستمائة سنة لولا كانت الاشارة متوجهة به الى من يبغضونه ولا يحبونه من معاصريهم فيكون حينئذ لصدودهم عنه معنى ••• وقال الله تعالى بعد ذلك : « بل هم قوم خصمون (٣) » ثم قال سبحانه : « ان هو الا عبد نعمنا عليه (٤) » وهذا القول وفق ما نزل يوم الغدير في شأنه :

---

(١) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ١٨٢ .
(٢) سورة الزخرف : اية (٥٧ — ٥٩) .
(٣) سورة الزخرف : اية ٥٨ .
(٤) سورة الزخرف : اية ٥٩ .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » • وقال سبحانه : « وجعلناه مثلا لبني اسرائيل » وبنو اسرائيل في عصرهم المقدم ذرية النبوة من حيث الولادة ، وفي عصرنا ذرية النبوة من حيث ولادة الايمان • ولما كانت الصورة هذه في وقوع التشابه والتماثل وجب أن يصيب قوما من هذه الأمة ما أصاب النصارى من العاهة قولا بالهية البشر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • » •

ويقول داعي الدعاة في مكان آخر من مجالسه : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وآتوا البيوت من أبوابها (١) » فيا لها من غشاوة تمتد على بصر من لا يتدبر فحوى هذه الآية حق التدبير ، ولا يتفكر في معناها واجب التفكير (٢) ، من الذي جهل في ما مضى من الآزمنة وغابرها ، وغائب الأوقات وحاضرها ، ان الأبواب على البيوت من أجل الدخول فيها منصوبة ، واليه على علاته منسوبة ، فما وجه تأديب الله سبحانه لخلقه بشيء يتساوى في علمه العالم والجاهل والغني والفقير من البصيرة ، ولولا أنه سبحانه عنى بالبيت غير المبني من الطين والحجارة ، وكنى عن سواه بهذه الكناية والاشارة ، ولم لا يكون هذا البيت بيت الله الحي الناطق الذي أغاث به سبحانه الخلائق ، وهو رسول الله (ص) في عصره باديا، وكل امام في زمانه ثانيا ، بيوت الله المعمورة بالحكم ، ومعالم الدين التي هي منجاة الأمم ، ولم لا يكون باب البيت أمير المؤمنين (ع) الذي هو باب النجاة ، وسبب دائم للحياة ، فعند

---

(١) سورة البقرة : اية ١٨٩ .
(٢) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٢٠٢ .

ذلك يخلص من الآية المذكورة الزبدة ، وتسقط عنها في النقص اذا حملت على جهة ظاهرها العهدة ، ويكون كلام رسول الله(ص) عليها دليلا ، وبما تكفلت به كفيلا : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ، ويكون أيضا لفظ الباري سبحانه في ضمن الآية بالبر في أولها والتقوى في أوسطها واقعا موقعه من الصواب غير ما لا تعلق لهما به من أمر البيت الجماد ، والباب ، اذ كان أفضل ما يكون من البر بر الوالدين والنبي والوصي والدا الدين • قال رسول الله (ص) : يا علي أنت وأنا أبوا المؤمنين ، وأصل التقوى فهما غاية المتقين (١) •

قال بعض الأئمة الصادقين (ع) : التقية ديني ودين آبائي ، ولا دين لمن لا تقية له ، فاعرفوا أيها المؤمنون مواقع الرموز ، وقد كشف لكم من خبايا الكنوز ، واذا انتهيتم الى هذا الحد فاذكروا من قول رسول الله (ص) : كائن في أمتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ما هو أكبر الحجاج • واعلموا ان الأمور جارية في دوركم هذا على ذلك المنهاج ، قال الله سبحانه : « واذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا (٢) » الى قوله:«يفسقون(٣)» •

قال المفسرون : ان قوم موسى امتحنوا الباب الذي نصب لهم ليدخلوه سجدا ويقولوا حطة وان الظالمين منهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم من قوله : « حطة » وفعلوا غير الذي أمروا به من دخول الباب سجدا (٤) ، وذلك انهم ولوه ادبارهم ، ونشرح

---

(١) المجالس المؤيدية المائة الاولى : ص ٢٠٣ .
(٢) سورة البقرة : اية ٥٨ .
(٣) سورة البقرة : اية ٥٩ .
(٤) المجالس المؤيدية المائة الاولى : ص ٢٠٤ .

الحاج بمثل ما تقدم حاصل عندكم في وجه التأويل بوجيز من القول يغني عن التطويل ، في حديث الباب والبيت وتصرفهما على مقتضى ما قدمناه من الخطاب ، فان القوم أمروا بالانحطاط فتكبروا بتولية وجوههم نحو الباب فأدبروا فظلموا أنفسهم وخابوا وخسروا » ·

ويعاتب المؤيد في الدين أولئك الذين ينكرون التأويل فيقول في أحد مجالسه (١) : « وهذا القول مع انكارهم للتأويل تأويلهم ، أخذ الله بنواصيهم اليه وهجم بهم ضرورة عليه ، وقوله : « ذلك الكتاب لا ريب فيه (٢) » قالوا : عني به القرآن ، ثم لم يأتوا بوجه العلة في قوله : ذلك الكتاب · ولم يقل هذا الكتاب ، ولو قال كان أشبه بالصواب اذا كان النص به على القرآن الذي هو حاضر عنه يتكلم واليه يشار ، وانما يقال ذلك للغائب دون الحاضر ، ومهما كانت الصورة هذه اقتضى ذلك معنى غير ما نحو اليه ، وسوى ذلك ، فانه ان كان القوم المخاطبون ، بكون الكتاب لا ريب فيه الكفار لم يردهم أقسامه بهذه الحروف التي لا يعرفون وجهها ومعناها مؤمنين ،وبالكتاب مصدقين ، وان كانوا مؤمنين كان القسم بما تحقق في نفوسهم صدقه وحقه فضلا ، فاذا اعتبر ذلك على المعنى الذى قام في نفوسهم دون الرجوع الى من أمر الله تعالى بالرد اليهم في مثله ، اذ قال سبحانه : « ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (٣) » فلولا فضل الله عليكم

---

(١) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص (٢٢١ — ٢٢٢) .
(٢) سورة البقرة : اية ١ .
(٣) سورة النساء : اية ٨٣ .

ورحمته دخل الخلل عليه من متفرق أبوابه ، وبقي الغرض في سجفه وحجابه ، فنقول : ان السبب الموجب تسمية الكتاب كتابا من حيث الظاهر المتعارف أنه كلمات وألفاظ جمع بعضها الى بعض وقرن بعضها ببعض مؤدية معاني في نفس الكاتب يعبر عنها بالكتاب ، فكذلك فان كتاب الله سبحانه ألفاظ وكلمات يعبر عن مقاصد الله سبحانه في عبادة خلقه له ، وطاعتهم اياه ، وعما أعده للمطيعين من ثوابه ، وللعاصين من عقابه ، وأخباره عما كان في أدوار الأنبياء والأمم الخالية ، وما هو كائن الى يوم القيامة ، والكتاب الذي ذكرنا انه كتاب الله سبحانه ينقسم قسمين : فمنه صامت ، وهو الذي بين الدفتين المتعلق بحروف الهجاء الموات ، ومنه ناطق ، وهو وصي رسول الله (ص) القائم بتأدية معانيه ، وفتح مغاليقه ، والمعبر عنه ، والمترجم دونه ، وقد روت العامة في معنى قول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (١) » ان معناه حملة القرآن وحفظة معانيه من علمائهم ، فاذا أجازوا هذه الرتبة لعلمائهم الذين ليس بينهم وبين رسول الله من قرابة ولا غير الاسلام عصمة ، كان علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته عليه وعليهم السلام بكونهم أهل الذكر أحق وأولى ، اذ هم الكتاب الناطق الذي يحكم على الكتاب الصامت ، كما قال النبي (ص) تصديقا لذلك : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي . الخبر المشهور (٢) .

وكما قلنا ان الكتاب الصامت جامع لخبر ما كان وما يكون الى يوم القيامة ، فقد روي كذلك عن أمير المؤمنين أنه قال وهو

---

(١) سورة الانبياء : اية ٧ .
(٢) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٢٢٣ .

على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عما كان وما يكون الى يوم القيامة • وورد في الخبر عن بعض الأئمة الصادقين (ع) أنه قال : ان العلم الذي نزل به آدم عليه السلام وما فضل به النبيون في خاتم النبيين وفي عترته الطاهرين ، فأين يتاه بكم بل أين تذهبون ؟ وأما وجه قوله سبحانه ذلك الكتاب الذي هو اخبار عن غائب ، وأنه لو كانت الاشارة الى الكتاب الحاضر لكان قوله هذا الكتاب أمس وقع موقعا منه فهو تحقيق لما ذكرناه من وقوع الاشارة الى الكتاب الناطق الذي هو وصي رسول الله (ص) تحقيقا لرتبته ووصايته ، ونفيا لشبهة المرتابين بعظيم حده ومنزلته ، وبمجموع الكتاب الصامت والناطق هدى للمتقين • » •

وحول وجوب ولاية آل البيت يقول المؤيد في الدين في مجالسه (١) : « ••• فها هي بيوت أجسامكم قد أذنت بالانهدام بيتا هو بعقال الخلود معقول ، وسلطان الكون والفساد عنه معزول ، أسه القرآن ، ودعائمه الايمان ، ولآل النبوة له الأركان فوفود البركات من جميع أقطارها تفد عليه وتأمه ، انها البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وتولوا أهل بيت رسول الله (ص) فانهم سبب المفاز ، وبهداهم فاقتدوا لتنفذوا الى الحقيقة من المجاز ، وجانبوا الغلو فيهم فان الغالي هالك ، وفي وادي صقر سالك (٢) •

قال النبي (ص) مخاطبا لعلي (ع) : يا علي هلك فيك اثنان مفرط ومقصر • واعلموا أن أولياء الله من طينة الارض

---

(١) المجالس المؤيدية ص ٣٢٥ •
(٢) المصدر نفسه ص ٣٢٦ •

معجونون ، وللكون والفساد من حيث أجسامهم مضمونـون ، يمسكهم الشراب والطعام ، وتلحقهم الامراض والآلام، ويقضي عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام ، لا كما زعم الزاعمون من الجهلة الذين تسببوا في اعتقادهم السخيف الى الراحة واطراح التكليف انهم متردون برداء الالهية ، محتجبون عن النظر اليهم بالعيون الجسمية ، وفي قولهم هذا من الخلل ما لا يعلق بقلب ، ولا ينطوي على ذي لب ، اذ كان القائل بابطال العيان داخلا في حكم الهذر والهذيان ، وذلك أن عليا (ع) أو غيره ممن يقال فيه بالربوبية وقد رؤي مولده ومنشأه ، وأكله وشربه ، وصحته وسقمه ، وتزويجه وولادته ، اذ قال القائل أن العيون التي رأته على هذه الصيغة كذبت وأبطلت ، فقد ركب الأبلق في المكابرة ، وأبطل صحة المعاينة في الأمور كلها ، وحكم بكون المشاهـدات لا حقيقة لها » .

ويعالج المؤيد في الديـن في مجالسـه القـول المنسوب الى الرسول (ص) : أنت يا علي ربان هـذه الأمـة وذو قرنيها . فقال (١) : « وعلي بن أبي طالب سائغ أن يكون ربان هـذه الأمة لمكانه من العلم والحكمة والزهد ، كما قال الله تعـالى حكاية : « كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (٢) » . فأما كونه ذا القرنين فما يصح من حيـث المشاهدة ، لأنه ما ملك من القرن الى القرن ، وأيام ولايتـه معدودة ، وهي بكل رتق من العيش مشوبة ، فمن أين يتوجه كونه ذا القرنين الا من سر الحكمة التي هي متوارية بالحجاب ؟

---

(١) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٣٣٥ .
(٢) سورة ال عمران : اية ٧٩ .

ولا يوجف عليه من مخالفي الدعوة بخيل ، ولا ركاب • فنقول : ان النبي (ص) ما سماه بهذا الاسم عابثا ، ولا في طريق الحكمة عائبا ، وذلك ان عليا (ع) عصرين أحدهما عصر النبي (ص) يحل منه محل الباب من المدينة ، ومعلوم أنه لا وصول للنبي (ص) الا من منه كمالا وصول الى المدينة الا من بابها ، وهذا قرن ، والقرن الآخر ان القائم الذي يقوم بآيات القيامة ، ويكون خاتم النبوة والوصاية والامامة ، عليه أفضل السلام يقوم من نسله ، ولا يصل اليه الا من كان متمسكا بحبله ، فهو ذو القرنين على هذا السبيل ، وهذه الملكة أرسخ أصلا ، وأبسق فرعا ، من امتلاك الارض من القرن الى القرن . المنعوت به ذو القرنين ، ووجه آخر ان اخلاص توحيد الله سبحانه من حيث نفي التشبه والتعطيل ، ممتنع الوجود والتحصيل ، الا استملاء ما أودعه النبي (ص) من علم التأويل ، ومقابلة المحسوس بالمعقول ، وهذا هو الاصل والاول لكل شيء ، وبهذه المعرفة تحصل الصور المخلوقة لنعيم دار الآخرة ، وهي آخر كل شيء ، وعلي (ع) أخذ طرفيها،فهو ذو القرنين حقا(١) • قال الله تعالى الى الصادق النجوي : « والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحي يوحى (٢) » •

ويورد المؤيد في الدين قولا منسوبا الى الامام علي بن أبي طالب في أحد مجالسه فيقول (٣) : « قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) : ما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٢٣٦ .
(٢) سورة النجم : اية (١ — ٤) .
(٣) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٤٠٤ .

آية من القرآن الا وقد علمت كيف نزلت ، وفيما نزلت ، وأين نزلت من سهل أو جبل ، واني لا أعرف الناس بما بين الدفتين ·

فأمير المؤمنين صلوات الله عليه هو الذكر نفسه ، لكون نفسه مشتقة من نفس النبي (ص) وهو أيضا أفضل أهل الذكر ، والأئمة من ذريته عليهم أفضل السلام هم الذكر لكون نفوسهم مشتقة من نفسه ، وهم بعده أهل الذكر لأن من قام به برهان الذكر فهو الذكر ، ومن قام به برهان الصلاة فهو الصلاة ، ومن قام به برهان الزكاة فهو الزكاة ، ومن كانت بطاعته المرتقى في أسباب النجاة فهو النجاة · قال النبي (ص) تصديقا لهذا المقال وتنزيها له عن شين الأفك والافتعال : من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية (١) » ·

هذه مجمل آراء داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي في الامامة والهداية نضيفها الى الآراء التي أوردناها في متن هذا الكتاب كونها تمثل وجهة نظر أهل الحق من الناحية الشرعية والفلسفية ، ثم ننتقل الى آراء فيلسوف آخر هو حجة العراقين الداعي أحمد حميد الدين الكرماني لنستمع اليه ماذا يقول في كتابه (٢) الذي خصصه بكامله لاثبات الامامة ، وعصمة الأئمة، معتمدا على أفكاره العرفانية ونظرياته الفلسفية العقلانية ·

ومما لا شك فيه أن كتاب المصابيح في اثبات الامامة الذي صنفه الكرماني يعتبر من أهم المصادر الحقانية التي عالجت موضوع الامامة بطريق المنطق والعقل ، وقد أشار اليه أكثر

---

(١) المجالس المؤيدية : المؤيد في الدين الشيرازي ص ٤٠٥ .
(٢) المصابيح في اثبات الامامة : احمد حميد الدين الكرماني تحقيق الدكتور مصطفى غالب .

علماء أهل الحق ، واستندوا في أبحاثهم الى فقراته ، ونوهوا بما حواه من براهين وحجج مدعومة بالمنطق والبيان · ويبدو أن الكرماني قد جعل كتابه هذا مدخلا وأساسا لكتابه القيم « راحة العقل (١) » ·

يقول الكرماني (٢) : « ولما كانت امامة الامام وخلافته لا تصح الا بصحة كون الرسول ورسالته واقناع بقائه ، ولا رسالة للرسول الا بصحة وجود المرسل والمرسل اليه جميعا · وكون المرسل اليه عاجزا عن الوصول الى المرسل مع كونه قادرا على قبول الرسالة والعمل بها ، ووجوب الجزاء على الطاعة والعصيان لاستحالة استخلاف الخليفة من المستخلف مع بقاءه ، وارتفاع توهم غيبته ، وامتناع وجوب ارسال الرسول من المرسل مع عدم من يرسل اليه ، وكون المرسل اليه عاجز لاستطاعة له ولا قدرة على قبول الرسالة والعمل بها ، أو وجود المرسل اليه السبيل الى المرسل بغير واسطة أو بطلان الجزاء على قبول المرسل اليه الرسالة وطاعته فيها أو نبذها ·

وكان كل واحد من هذه الأسباب التي لا تصح الرسالة التي هي علة للامامة الا بها ، وكانت هذه الاسباب كل سبب منها هي علة لما دونه ومتعلقا بما سواه ، وكانت كلها كالأصول احتجنا الى تقديم الكلام عليها ، أولا ليكون لنا الى المراد طريقا ، ولما نورده من الغرض في تقرير الامامة واثباتها تصديقا ، وكان الأولى بتقديم الكلام عليه اثبات الصانع الذي هو المرسل ،وتعلق

---

(١) حقق هذا الكتاب وقدم له الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الاندلس في بيروت لبنان .

(٢) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص (٢٨ ــ ٢٩) .

وجود الكل بوجوده الذي لولاه لكان الأيسية لاء . » .

وفي المصباح الأول من المقالة الثانية يقول الكرماني من أجل اثبات الامامة ووجوبها (١) : « البرهان الأول : لما كان الرسول صلى الله عليه وآله قد أورد عن الله تعالى حكمة بالغة ، وكان لازما له (عم) اداؤها من كان رسولا اليه من نوع البشرية ، الكائن منهم بالوجود في أيامه ، ومن يجيء الى الكون من البشر الى يوم القيامة بالتوالد بعده .

وكان من كان في أيامه من البشر لا استطاعة لهم في قبول كل الحكمة دفعة واحدة ، ولا كان في المقدور أن يكون من يجيء الى الكون من البشر الى يوم القيامة موجودا جملة ، ولا كان مقدرا أن يبقى الرسول في العالم بقاء سرمدا الى أن تنصرم الأمم ، ويؤدي اليهم أمانة اليه ، وجب أن ينصب من يقوم مقامه في أداء الأمانة ، والنص على غيره أبدا اذا حان انتقاله ، ومن ينصب لذلك هو الامام . اذا الامامة واجبة (٢) » .

وفي البرهان الثاني يقول : « لما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله من الكتاب الكريم والشريعة المشروعة ، والسنن المفروضة ، والرسوم الدينية ، والاقوال المهذبة ، ممكنا الزيادة فيه والنقصان منه ، وفي الاستطاعة تغيير رسومه وأحكامه والاحداث فيه .

وكان اذا كان ممكنا الزيادة فيه والنقصان منه ، وفي الاستطاعة تغيير رسومه وأحكامه اذا زيد أو نقص ، أو غير أدى ذلك الى الجور والظلم والعسف ، وامتداد أيدي الظلمة

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٨٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ٨١ .

للمحظورات ، ومصيره علة لظهور الضلالات ، وعموم الخوف وعدم الأمن ، وجب من طريق الحكمة أن يكون بها موكلا من يحفظها على وجهها ، ويمنع من الزيادة والنقصان ، والتغيير منها ، ويجري بالامامة على سنتها فتكــون أوامر الله طرية ، وكلمته عالية ، وشأفة الشر مستأصلة ، والموكل هو الامام المختار من جهة الله تعالى • اذا الامامة واجبة (١) » •

البرهان الثالث : لما كان ما جاء به النبي (صلعم) مــن التنزيل والشريعة بلغة العرب ، وكان ذلك مقدرا على احتمال معان شتى ، اذ كانت اللفظة الواحدة من كلام العرب تؤدي معاني شتى كثيرة ، لكونه أمثالا تحتمل معان ، ورموزا تؤدي أغراضا ممكنا أن يؤول كل آية ، وكل خبر حسب مــا يريده المؤول ، ومطردا ذلك في العقول على حسب ما نشاهده من الأمة في تفرد كل فريق منها في آية من القرآن وخبر من الأخبار استدلالا على صحة نحلته ، بمعنى غير المعنى الذي يستدل به الفريق الآخر على صحة مذهبه ، مثل قول الله تعالى : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي (٢) » •

وذاهب المعتزلة في ذلك الى تصحيح مذهبهم بقولهم ان المراد بقوله تعالى بيدي القدرة والقوة • وذهاب قوم آخرين الى أن ذلك يريد به النعمة والمنة ، وذهــاب المجبرة على أصنافها في تصحيح مذهبهم • الى أن المراد بذلك اليد التي هي أحد أجزاء البدن وأبعاضه (٣) •

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٨٢ .
(٢) سورة ص : اية ٧٥ .
(٣) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٨٣ .

وكان كل أقاويلهم حقا لا ينكر ، لأن قولنا يد يؤدي من المعاني ما أورده كل فريق من الأمة ، واحتجت به • وكان في كونه مقدرا على ما يؤول منه بحسب مراد المؤول مشابها للثوب الذي هو مقدر على ما يقع الفصل منه من فاصله بحسب هواه ، فواحد أن ير أن يقطع منه قميصا لحاجته اليه وكان ذلك ممكنا، وآخر يريد أن يقطع منه سراويلا لحاجته اليه ، وكان ذلك ممكنا ، وآخر يريد أن يقطع منه صدرة وجوربا ، أو قباء لحاجته اليه ، وكان ذلك كله ممكنا ، وكالنار أيضا فواحد له مسرجه وفتيله يشعل فيها وواحد له شمع يشعل فيه ، وواحد له حطب يشعل فيه ، وكان ذلك لا يخلو من ثلاثة أوجه : اما أن يكون جميع المعاني التي يؤديها ظاهر اللفظ مما جاء به النبي صلى الله عليه وآله رشادا ، وهو واجب معرفته على وجهه •

وأما أن يكون المقصود من المعاني الكثيرة التي تؤديها اللفظة الواحدة معنى واحدا واثنتين ، وباقيها ضلال وواجب معرفته ليتجنب • واما أن يكون جمع المعاني التي يوجبها ظاهر اللفظة كلها ضلالا • يؤديها اللفظ الواحد معنى واحدا واثنين ،فالحكمة تقتضي أن يكون موجودا بين الأمة من يعلمهم الفرض المقصود والمعنى الذي فيه الرشاد ، ويمنعهم عن اعتقاد غيره ، اذ لا علم لأحد بالمعنى الذى هو أولى باعتقاده من غيره لحاجة البشر الى المعلم ليرتفع التباغض والتنازع وتجتمع الكلمة في العبادة •

وان كانت المعاني يؤديها ظاهر اللفظ كلها ضلالا والمقصود باللفظ غير معانيه ، ويجري (١) اللفظ مجرى الأمثال والرموز ، فالحكمة توجب أن يكون بين الأمة من يبين لهم ممثلات تلك

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص٨٤ .

الامثال والتشبيهات ، لئلا يضلوا أو يعتقدوا غير الواجب ٠

وكان اذا كان لا يخلو من ثلاثة أوجه ٠ وأوجبت الوجوه الثلاثة كون من يهدي ويعلم بين الأمـة ، فالهادي ، والمعلم ، الامام ، اذا الامامة واجبة ٠

وفي البرهان الرابع يقول : لما كانـت الطبـائع مختلفة ، والأهواء متفاوتة ، والحوادث غير معلومة ولا محصورة ، وكان في الطبع الاستطالة والتعدي ، وحب القهر والغلبة ، وحب من طريق الحكمة أن يكون بين الناس حاكم يفصل بينهم الحوادث فلا يكون لهم محيص عن حكمه ، ولا مهرب عن قضائه ، كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله في أيامه ، فأخبر الله تعالى عنه بقوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) » والحاكم الامام ٠ اذا الامامة واجبة » ٠

ويقول الكرماني في البرهان السادس (٢) : « ان الله تعالى لما جعل محمدا (ص) رسولا الى الناس كافة الكائن منهم في زمانه ومن يجيء الى الكون الى يوم القيامة بعد وفاته ، وأمره بدعائهم اليه بقوله تعالى : « ادع الى سبيل ربـك بالحكمة والموعظـة الحسنة (٣) » ٠

وفعل النبي (ص) ما أمره به بجهده وطاقته بالقول والفعل أيام حياته ، وكان من بقي من الناس الذين لم يدخلوا شرع دينه ممن لزم دعاءهم بالقول والجهاد أكثر ممن دخلوه واتبعوه

---

(١) سورة النساء : اية ٦٥ .
(٢) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٨٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ٨٧ .

فيه ، وكان معلوما أن النبي (ص) لا يبقى في العالم أبدا فيتولى الدعوة الى الله تعالى بنفسه الى أن يظهر دينه على كل الأديان جميعا كما وعدنا تبارك وتعالى ، وجب من حيث لزم امتناع بقاء الرسول (ص) بين الخلق أجمع الى يوم القيامة لقليام بما أمره الله تعالى من دعاءه أن يقوم مقام الرسول (ص) لما لم يكن في المقدور أن يبقى من يدعو الى دار السلام بالترغيب ، والترهيب ، والقول ، والجهاد ، ليكون أمر الله تعالى مفعولا • والذي يقوم مقام الرسول هو الامام • اذا الامامة واجبة » •

وفي البرهان التاسع يقول الكرماني : « لما أوجب الله تعالى الرجوع فيما لا يعلم به ويختلف فيه ، الى النبي (ص) وحكم بالرد ايله بقوله : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » وكان المرجع فيما يراد معرفته مما كان يقع فيه نزاع وخلاف من أمر الدين أيام حياة رسول الله (ص) اليه ، وكان غير ممكن ولا مقدر بقاء رسول الله في لعالم ليكون بين ظهراني أمته فيرجعون اليه فيما يقع فيه خلاف ولا يعلمونه من أمر الدين ، وجب أن يقوم مقام رسول الله (ص) من يردا اليه ما يختلف فيه من أمر الدين فيكون الحكم اليه فيه ، ليكون أمر الله قائما ، والذي يقوم مقام الرسول (ص) هو الامام • اذا الامامة واجبة (١) » •

ويقول في البرهان الثاني عشر : « لما أوجب الله تعالى على المؤمنين بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ثلاث طاعات في آية واحدة موصولة بعضها ببعض • وكانت طاعة أولي الأمر غير طاعة الرسول ،

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٩٠ .

وطاعة الرسول غير طاعة الله ، وكانت لا يقبل أحدها الا بثانيها ولا ثانيها الا بثالثها ، وكانت المخاطبة في الآية لعامة المؤمنين ، من كان في عصر الرسول ومن يكون بعده،ولم يكن فيها تخصيص، وكان من الله مستحيلا ايجاب طاعته على عبيده لأحد ويقرنها بطاعته وطاعة رسوله ، ولا يوجد لهم عين ذلك لأحد فيكون ذلك تكليف ما لا يطاق ، أو لا يجعله كالرسول المعصوم المتوج بالمكارم القدسانية ، وجب من حيث كون المخاطبة في الآية عامة ليس فيها تخصيص قوم دون قوم مع استحالة اعدام الله تعالى الأمة من يفرض طاعته عليها ، وأن يكون موجودا للأمة من يؤدي حق (١) طاعتها ... بالائتمار له في الله ، وفي دين الله ، والمؤتمر له هو الامام . اذا الامامة واجبة » .

وفي المصباح الثاني من المقالة الثانية يقول الكرماني في اثبات عصمة الامام ووجوبها في البرهان الأول : « ان الحاجة الى الامام انما كانت لأن يكون قائما مقام الرسول (ص) فيما كان يتعلق به من أمر الدين ، وحفظ نظامه . ولما كانت الحاجة الى القائم مقام الرسول (ص) لذلك ، وكان لو جاز أن يكون غير معصوم لا يقع الا من ان يسلك بالأمة غير سبيل النبي (ص) في بعض أحكامه أو كلها ، وكان ذلك مؤديا الى الظلم ، وحمل الناس على شق العصا ومفارقة الجماعة ، وجب أن يكون معصوما فتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة على الطاعة . اذا الامام معصوم (٢) » .

ويقول في البرهان الرابع : « لما كان في الشريعة وأحكامها

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٩٢ .
(٢) المصدر نفسه ص (٩٦ — ٩٧) .

غير جائز أن يقيم حدا على غيره من لزمه في نفسه حد ، فكان الى الامام اقامة الحدود ، وجب أن تكون له عصمة تعصمه من ارتكاب ما يلزمه به حدا ، وتحفظه مما يصير به كفير في استحقاق اقامة الحد عليه فلا يكون الى اقامته عليه سبيل من جهة امامة الأمة • اذا الامام معصوم » •

وفي البرهان الخامس يقول : « لما كانت أعمال الشرع متعلقة بالامام ، والامام لو كان مثل غيره في العصمة لكان لا يؤمن منه أن يصلي بالناس وهو غير طاهر ، وأن يجاهد قوما وهو لهم ظالم ، وكان اذا كان ذلك لا يؤمن منه ذلك ، فالأمة في صلاتهم وعبادتهم في شك ، والشك في الدين والعبادة طريق النار ، وجب من حيث مصير زمام الدين اليه أن يكون له عصمة • اذا الامام معصوم (١) » •

ويقول في البرهان السابع : « لما كان الرسول (ص) مقر الوحي ومعدن الحكمة والعلم ، وكان ما أنزل الله تعالى عليه من العلم الذي به الخلاص لازما له اداءه الى الأمم حيث كان رسولا اليهم أجمع الى يوم القيامة ، وكان لا سبيل له في أداءه الى الأمم مع مفارقته العالم وعدم استطاعة الأمة قبولها دفعة واحدة مع امتناع وجود من يجيء الى الكون الى يوم القيامة جملة الا بتعليم كلها ، أنزل اليه من ربه من يقوم مقامه في اداء الأمانة •

وكان القائم مقام الرسول هو الامام وجب أن يكون أمينا ثقة • معصوما لا تجوز عليه الخيانة فيما يستودع ، ولا الخطأ

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٩٨ •

فيما يجعل اليه • اذا الامام معصوم (١) » •

ولما كانت الغاية التي نهد اليها الكرماني من وراء براهينه اثبات الامامة والعصمة فاننا نراه يتلفت في المقالة الثانية المصباح الثالث الى اثبات بطلان اختيار الأمة للامام فيقول في البرهان الأول : « لما كان اقامة الحدود على الأمة الى الامام من دونها ، وكان اذا كان اقامة الحدود التي هي بعض الرسوم الشرعية المبسوطة الى الامام من دون الأمة ، كانت اقامة الامام الذي به تتعلق كل أمور الشريعة ، ومقامه مقام رب العالمين أولى أن لا يكون الى الأمة ، كان من ذلك ألا يجاب بأن الاختيار منها باطل • اذا اختيار الأمة امامها باطل (٢) » •

وفي البرهان الثالث يقول : « ان العلل حيث وجدت أعطيت معلولها ومعناها فان كان علة الحق في الامامة اجتماع الناس ، واختيارهم ، وجب أن يكون حيث وجد الاجماع والاختيار منهم كان الحق مقرونا به ، واذا كان ذلك كذلك ، وقد وجدنا الناس قاطبة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وغيرهم ، كانوا قد أجمعوا أيام مبعث النبي صلى الله عليه وآله ان محمد (ص) كاذب ، وساحر ، ومجنون ، وليس بنبي ، واختاروا غيره عليه ، ولم يكن اجماعهم ولا اختيارهم حجة ، ولا علة تنقض نبوة النبي •

واذا لم يكن اجماعهم ولا اختيارهم حجة ولا علة ، لنقض نبوته صلى الله عليه وآله ، كان الاجماع والاختيار من الناس باطلا ، اذا الاختيار من الأمة باطل •

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ٩٩ •
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٠ •

وفي البرهان الرابع يقول : لو كان جائزا للأمة اختيار الامام لكان جائزا لها اختيار القضاة وتعديل العدول ، لو كان جائزا لها انكاح اليتامى والحجر عليهم الى أن يؤنس منهم الرشد ، ولما لم يحجز للأمة ولا كان جائزا لها الحجر على اليتامى وانكاحهم ، لم يكن لها اختيار القضاة ولا تعديل العدول ·

واذا لم يكن لها اختيار القضاة وتعديل العدول ، لم يكن لها اختيار الامام · اذا الاختيار من الأمة باطل (١) » ·

وبعد كل هذه التمهيدات والبراهين ينتقل الكرماني في المصباح الرابع من المقالة الثانية الى اثبات الامامة بموجب النص من الله سبحانه وتعالى واختيار الرسول صلى الله عليه وآله فيقول في البرهان الأول : « لما كان نبوءة الانبياء (ص) التي هي الخلافة عن الله في أرضه في امضاء الأحكام بين عبيده لا تصح الا بنص من الله تعالى واختياره اياهم للقيام مقامه في الحكم والأمر والنهي ، وكانت النبوة أصلا للامامة ، كانت الامامة التي هي فرع على النبوة وهي الخلافة عن الرسول والقيام مقامه أولى أن لا يصح الا باختيار الله تعالى واختيار رسوله ، والنص عليه · اذا الامامة لا تصح الا بالنص ، والتوفيق (٢) » ·

ويقول في البرهان الخامس : « لما كانت الامامة ليست بعلامة ظاهرة موجودة في الخلقة بزيادة في عضو أو نقصان من عضو فيكون الموجود فيه تلك العلامة اماما مثل طول العنق في الجمل ، وكون الخرطوم في الفيل ، الذي متى وجد ذلك فيه دلت خلقته على نوعه ، وكانت معرفة الامام واجبة في الدين ، وكانت المعرفة

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص (١٠٢ — ١٠٣) .
(٢) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ١٠٥ .

الدينية لا سبيل اليها من جهة الرسول ، كانت الامامة لا تصح الا باختياره ، ونصه واشارته ، اذا الامامة لا تصح الا بالنص والتوقيف (١) .

وفي البرهان السادس يقول : لما كان الناس قاطبة أجمعوا وقت مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله على أن نبوته كذب ، وسحر ، وكان لو كان باجماعهم تصح النبوة كانت نبوته باطلة . ولما كانت نبوته باختيار الله تعالى لم تبطل ، بل علت اعلامها ، وتوطدت أرجاؤها ، فالامامة أولى أن تبطل باختيار الأمة ، وأحق أن تثبت باختيار الله . اذا الامامة لا تصح الا باختيار الله ، واختيار الرسول الذي هو النص ، والتوقيف (٢) » .

وفي المصباح الخامس من المقالة الثانية يبرهن الكرماني على أن الامامة بعد النبي (ص) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من دون غيره فيقول في البرهان الأول : « لما كان الصنائع كثيرة ، وكانت كلها على تفاوتها واختلافها تنقسم الى علم وعمل ، مثل الطب الذي ينقسم الى العلم بطبائع الأدوية وعلل الامراض ، والى العمل الذي هي المعالجة ، ومثل النجوم التي تنقسم الى العلم بهيئة الفلك ونجومه ، وطبائع الكواكب ومسيرها وتأثيراتها ، والى العمل الذي هو التسيير والحكم ، ومثل السياسة التي تنقسم الى العلم بتدبير أمور الممالك وحفظها ، وكيفية جباية الأموال وجمعها ، وحفظ نظام الأمور ، والى العمل الذي هو التوقيع ، والضرب ، والحبس ، والقتل ، والاطلاق ، والاحسان .

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ١٠٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

وكان العلم والعمل كالآلة ، وكان من لا آلة له في صنعة من عمل وعلم بها مستحال صحتها منه ، وكان في أوائل العقول أن من كانت آلته في صنعته أتم ، فهو بتلك الصنعة أولى من غيره ، مثل الرجل الذي تكون معرفته بالطب وعمله به أكثر من غيره ، فيكون هو أولى بالطب من غيره ، وكانت أحكام الاسلام من الصنائع النبوية كغيرها ، تنقسم الى العلم بكيفية الفرائض والحلال والحرام ، والحدود والاحكام ، والتنزيل والتأويل ، والى العمل الذي هو الطهارة والصلاة ، والزكاة والصوم ، والحج والجهاد ، والضرب بالسيف ، وما يجري مجراه ، وكان العلم والعمل لعلي بن أبي طالب عليه السلام أكثر مما كان لمن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم وآله من الصحابة ، وكان من ذلك الحكم بأنه بالحكم أولى ، وبالامامة أحرى . اذا الامامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام (١) » .

وفي البرهان الثالث يقول : « لما قال الله تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٢) » وكان علي بن أبي طالب المعطي للزكاة في حال ركوعه ، وكان الولي في اللغة هو القيم بأمور من هو وليه ، والموالي لمن يواليه وينصره جميعا ، وبطل ان المراد به الموالاة ، لاستحالة ورود الآية على ما هي عليه من صيغة الحصر والقطع بأن يكون للأمة ولي غير الله ورسوله وعلي في معنى الموالاة ، مع قول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ثبت أنه نص من الله تعالى على علي (ع.م) بأنه القيم بأمور

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص (١١٠ — ١١١) .
(٢) سورة المائدة : ايـة ٥٥ .

الأمة (١) » .

هذه مجمل آراء الداعي أحمد حميد الدين الكرماني التي اعتمدها للبرهنة على اثبات الامامة وعصمتها وأنها نص من الله سبحانه وتعالى قد اختص به الامام علي بن أبي طالب (ع) ، والى جانب هذه البراهين بحث الكرماني قضية الامامة من الناحية الفلسفية العقلانية في كتابه راحة العقل وقابلها مع العقول الروحانية والكواكب والأفلاك ، لا بد من ايراد بعض أفكاره الفلسفية تتميما للفائدة وتنويرا للأذهان .

ومن الملاحظ أن الداعي الحقاني الكرماني بعد أن يؤكد أن الله سبحانه وتعالى ليس أيسا وليس ليسا ، يرى من الضرورة بمكان معرفة ذات الله ووحدانيته ، ونفي الصفات الموجودة في الموجودات عنه مستخدما ألفاظ عربية قديمة مثل « الأيس للدلالة على الوجود والموجود ، و « الليس » للدلالة على العدم والمعدوم ببراعة لغوية يمدها عقل ضخم وعبقرية موهوبة ، فقال في بطلان كونه تعالى ليسا : « .. ان القوانين أنه لا وجود لمعلول الا بما يوجب وجوده من علته التي وجوده بها يتعلق ... ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند الى بعض ، ... ولما ثبت أنه لا وجود لهذا الا بذاك كان منه العلم بأن الذي تنتهي اليه الموجودات التي به توجد ... هو الله الذي لا اله الا هو محال ليسيته ، باطل لا هويته ، اذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضا ليسا ، فلما كانت الموجودات موجودة كانت

(١) المصابيح في اثبات الامامة : الكرماني ص ١١٢ .

ليسيته باطلة (١) ٠٠ » ٠ ثم ينتقل ليؤكد في بطلان كونه تعالى أيسا فيقول : « لما كان الأيس في كونه أيسا محتاجا الى ما يستند اليه في الوجود ٠٠٠ متعاليا عن الحاجة فيما هو هو الى غير بـه يتعلق ما به هو هو ٠٠٠ عن أن يكون أيسا لتعلق كون الأيس أيسا بالذي يتأول عليه الذي جعله أيسا واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيسا ٠٠٠ ثم انه تعالى ان كان أيسا فلا يخلو أن يكون اما هو أيس ذاته أو غيره أيسه ، وباطل أن يكون هو مؤيسا لذاته ، اذ يقتضي ذلك أنه لم يكن أيسا ٠٠٠ واذا بطل الوجهان، فباطل كونه أيسا ومفترضة هويتـه وراء الأيسيات المتعلـق وجودها باختراعه اياها ٠٠٠ (٢) » ٠

ويعتقد الكرماني وهو يناقش قضية الأيسية بأن الله تعالى : « لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه لا بجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به محس ، وأنه لا صورة ولا مادة ، وأنه تعالى لا ضد له ولا مثل ، وأنه لا يوجد في اللغات ما يمكن الاعراب عنه بما يليق به ، ويصير مؤكدا على أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والاثبات ما يكون من قبيل نفي الصفـات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى » ٠ ويكفي ما لهـذه القاعدة من شأن في دحض ونفي الأباطيل والنعوت التي ألصقها الخصوم بدعوة أهل الحق ، وفي تأكيد الصلة المباشرة بين الاسلام وجماعة أهل الحق لأن الثانية ترتكز على الاول ٠

والى جانب هذه المنطلقات التوحيدية ينقل الينا صاحب كتاب

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص ١٢٩ تحقيق الدكتور مصطفى غالب منشورات دار الانـدلس .

(٢) المصدر نفسه : ص (١٣١ ــ ١٣٤) .

راحة العقل صورة واضحة عن ترتيب عالم الابداع أو عالم الصنعة الالهية لها شأنها وخطرها بالنسبة لأولئك الذين غاصوا في أغوار ومتاهات العالم العلوي ، ووجدوا ما حلموا به من الابداع والاختراع والانبعاث ، والفيض والعقول النورانية الروحانية ، وبعد أن أثبت الكرماني بأن الله تعالى : متعال عن المراتب كلها كمالا ونقصانا ، ووحدة وكثرة ، يبحث حول ترتيبات العالم العلوي بحثا دقيقا رائعا ، ويفصله تفصيلا شيقا ، فيذهب الى أن أول ما ترتب أولا في الوجود هو المتصور أنه لم يكن فوجد على طريق الابداع والاختراع لا من شيء ، ولا على شيء ، ولا في شيء ، ولا (١) بشيء ، ولا مع شيء ، الذي هو الشيء الأول ، فيكون وجوده من طريق الترتيب وجودا ثابتا ووجودا أولا ، بكونه نهاية أولى ، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواها من الموجودات متوجها فيه نحو النهاية الثانية ، ومثله في هذا كمثل الواحد في وجود الأعداد مترتبا أولا ثابتا بكونه نهاية أولة ، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواه من الأعداد متوجها فيه نحو النهاية الثانية ، وبعد أن يثبت أن للموجودات مبدأ أول أو علة أولى عنها ترتبت في الوجود ، يسمي ذلك المبدأ الأول العقل الاول والموجود الاول • الذي وجوده لا بذاته بل بابداع واختراع المتعالي سبحانه اياه •

ومن ثم يبين لنا الكرماني ان الموجودات مستندة في وجودها الى علل سابقة عليها ، وان كل موجود منها في ذاته فعلا لما يتقدم عليه منها ، ومفعولا له من مادة ، وفاعلا لغير دونه من مادة ، وان وجود الموجودات ينتهي الى علة ثابتة تنتهي اليها العلل ، لأنها

---

(١) راحة العقل : الكرماني ١٥٧ ــ ١٥٨ .

فعل في ذاتها صادر عمن لا يستحق أن يقال انه فاعل، وهي مفعولة لا من مادة، وهي فاعلة لا في مادة هي غيرها .

ويخلص في تحليله الموجودات الى عللها وانتهائها الى واحد وجوده لا بذاته بل عن غيره، الى أنه وجد ان الانسان الذي هو آخر الموجودات وهو النهاية الثانية لها، منحلا الى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة، والى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل فيها لاخراج ما من شأنه أن يوجد منها الى الوجود مثل الانسان وغيره، وهي كلها قائمة بالفعل، ولما كانت دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلة الى أشياء ليست في الكثرة مثلها بل أقل وهي الهيولى والصورة معا، صارت الهيولى والصورة مادة لها في تكوين الأفلاك والاستقصات بواسطة العنصر القائم بالفعل، ودار الطبيعة والفاعلون فيها فاعلة للانسان وغيره من أنواع الموجودات ومفعولة مما منه وجدت، أما دار الطبيعة فمن (١) الهيولى والصورة، وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع (٢)، وبانتهاء التحليل يرى أن كل قائم بالقوة ناقص لا يستطيع الخروج الى الفعل الذي هو درجة الكمال الا بما يستند اليه ممن هو قائم بالفعل تام في ذاته وفعله، ولما كانت أنفس البشر في دار الطبيعة قائمة بالقوة ناقصة فخروجها الى الفعل لا يكون الا بالذي هو قائم بالفعل، تام في ذاته وفعله، وباعتبار أن الأنبياء والأوصياء والأئمة مجمعا للفضائل، صفرا من الرذائل، تامين بالفعل لهم

(١) راحة العقل : الكرماني ص ١٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٦٣ .

القدرة على أنها ضر النفوس المستندة اليهم والمستمدة من فوائدهم وتأييدهم الى درجة القيام بالفعل أي الكمال المطلق ·

« ·· اننا حللنا ما به كمال النفس الانسانية وحياتها وقيامها بالفعل الى ما منه كان ووجد فوجدناه منحلا الى أشياء كثيرة يجمعها شيئان : أحدهما الشريعة الجامعة لأركانها التي هي مراسم العبادتين بالعلم والعمل اللذين في أحدهما تصوير النفس، وفي الآخر تقويمها الجارية من كمال نفس الانسان مجرى العالم الكبير الجامع الأفلاك والاستقصات والكواكب وقواها الطبيعية من جسم الانسان ونفسه التي هي أشياء كثيرة ، وهي موازنة للصفة النبوية ومطابقة لها ، والآخر الامام الجامع للحدود القائمين بحفظ الشريعة وبسط معالمها ونشر أعلامها ،والدعوة الى العلم والعمل بها الذين بمكانهم وتعليمهم وجود الانسان انسانا ، الجارين من كمال نفس الانسان بتأثيرهم فيها تعليما وهداية ، وبلوغا بها درجة الكمال ، ومنزلة العقول مجرى الملائكة الموكلين بالعالم ، القائمين بالفعل من العالم تأثيرا في أجسامه وقواه الطبيعية لاخراج ما من شأنه أن يوجد منه من حيوان ونبات ومعدن الى الوجود ، الذين وجودهم في الصنعة الالهية موازن لوجودهم في الصنعة النبوية (١) » ·

وبعد أن ينتهي الكرماني من موازنة عالم الصنعة الالهية مع الصنعة النبوية يؤكد بأن الأساس أساسا بالناطق التام في الذات والفعل الذي به وجوده واليه معاده ، وذلك مطابق ومماثل للسابق التام في الذات الناقص في الفعل الذي به يخرج القائم بالقوة الى الفعل تام في الذات والفعل جميعا هو الاول من جميع

(١) راحة العقل : الكرماني ص ١٦٤ ·

الموجودات والنهاية الأولة من الموجودات وموازن له • لأن الناطق في عالم الشرع والوضع أصلا اليه ينتهي الكل من الحدود ،وليس فوقه الا من أناله تلك الرتبة العالية وهو تام في ذاته بنيله الكمال ، تام في فعله بكونه غير محتاج فيما شرعه وبينه وأتى به من الكتاب المبين الى غير يستعين به الا ما به قوامه وتمامه ممن هو فوقه ، وذلك مطابق للموجود الاول أصلا اليه ينتهي كل موجود ، وأنه ليس فوقه الا من أبدعه سبحانه ، وأنه تام في ذاته تام في فعله وموازن له • فمن مصير الناطق علة تنتهي اليها الأشياء الدينية ، وكما صار الناطق أصلا أولا وجد عنه الكتاب والأساس ، صار الشيء الاول أصلا أولا وجد عنه الهيولى والصورة • وعلى هذا الشكل يثبت (١) وجود الموجود الأول والحد الاول والمبدع الاول والمترتب أولا في الوجود ، وان وجوده لا بذاته ، وانه فعل وفاعل ومفعول في ذاته ونهاية تنتهي اليها الموجودات ، وهو المحرك الاول لجميع المتحركات،والعلة في وجود ما سواه • وأنه لا يحتاج في الفعل الى غير ذاته ، وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته • وأنه لا جسم ولا قوة في جسم، وهو خارج عن العالم الجسماني • وأن وجوده كان عن طريق الابداع والاختراع لا عن طريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، بل على طريق الابداع ، وذلك لأن الفيض يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له ومناسبا ، ويكون الفيض من جهة ما هو فيض كعين ما يفيض منه الفيض بكونه كذات الفيض ، اذ ما يفيض منه الفيض فيه من طبيعة الفيض مثل ما في الفيض من طبيعته ، وبذلك يصير الذي منه يفيض الفيض متكاثرا بما

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص ١٧١ .

يشاركه فيه الفيض فتكون ذاته من شيئين : شيء تشاركا فيه فلم يتباينا فيه ، وشيء وقع به التباين بينهما وحصلت الغيرية التي لولاها لما أمكن أن يقال ذاك غير هذا ، وهذا غير ذاك ، والذي يكون متكثرا فتكثره لحاجة بعض تلك الاشياء التي بها كانت الكثرة في وجوده الى البعض الآخر ، الذي لولاه لما وجدا جميعا ، ويقتضي ذلك أن يكون المتعالي سبحانه ـ ان كان ما وجد عنه فيضا ـ متكثرا واقعا تحت قدرة غيره في وجوده ، ولما كان تعالى لا يوصف بقلة أو كثرة فقد بطل أن يكون من شيئين ، واذا بطل أن يكون من شيئين بطل أن يكون ما وجد عنه فيضا (١) ٠

وعندما يصل الكرماني في تحليله الفلسفي هذا الى عالم الدين أو الصنعة النبوية يرى بأن الناطق عقلا في ذاته ، وعاقلا في ذاته ، وعاقلا لذاته بذاته ، ومعقولة ذاته له بذاته ، وان كان قد نال الكمال أخيرا بأن الأول مثل ذلك عقل وعاقل ومعقول ٠ ثم يواصل حديثه عن كيفية الانبعاث ، وعن الموجودات عن المبدع الأول على طريق الانبعاث فيثبت أن المنبعث الاول الذي هو العقل الثاني ـ القلم ـ موجودا ثانيا وأنه كاملا كالأول ، وأنه لا جسم ولا في جسم ، وأن وجوده لا عن قصد أول ، وأن الناطق في عالم الدين مثلا للعقل الاول في دار الابداع ، كونه علة لوجود العقول الطبيعية بما أقامه من السنن والوضائع في عالم الدين ، وكذلك الابداع الذي هو المبدع الاول والعقل الاول علة لوجود العقول المنبعثة في عالم القدس ٠ ومن ثم يبين بأن العقل الاول(٢) ـ الناطق ـ ذا نسبتين نسبة الى عالم القدس ، ونسبة الى عالم

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص ١٧٢ ٠
(٢) راحة العقل : الكرماني ص ٢٢١ ٠

الطبيعة ، لذلك كان الموجود عنه اثنين بحسب النسبتين ،أحدهما وهو الأشرف وهو الوصي الذي أقامه مقامه ، وأخبر الله تعالى بأن نفسه كنفس محمد في آية المباهلة بكونه في الكمال والتمام كهو ، وثانيهما الكتاب والشريعة وقرن بينهما ، وكذلك جعل العقل الاول ذو نسبتين : احداهما أشرف من الأخرى ، وان الأشرف عقل قائم بالقوة مزدوج ذاته وهو الهيولى والصورة اللتان مزدوجتان ، مثل ما جاء به الناطق الذي هو مزدوج كتابا وشريعة ، وكما أن الوصي أول الأئمة في عالم الشرع والدين ، فالمنبعث هو أول العقول المنبعثة في عالم القدس ، ثم يأتي دور المنبعث الثاني الاول القائم بالقوة الذي هو الهيولى ـ اللوح ـ فيقول بأن وجوده عن المبدع الاول لا عن قصد أول ، وأنه لا يشبه الاول ولا يجمعه واياه حكم الانبعاث الاول ، وأنه أهل لعالم الجسم ، وأنه يجري من الموجودات الابداعية مجرى الثلاثة من الأعداد .

ويتلفت الكرماني بعد هذا الى ميزان الديانة المنصوب بين أولياء الله لتحقيق الاشياء ومعرفتها من شهادته عنه ، ويقول ، بأن الناطق في دار الجسم ذي نسبتين : نسبة الى عالم القدس بكون شرفه الذي هو الكمال الثاني منه وهي الأشرف ، ونسبة الى عالم الطبيعة بكون ذاته في وجوده الذي هو الكمال الاول منه، بأن الابداع الذي هو المبدع الاول والعقل الاول ذو نسبتين : نسبة الى ما عنه وجد سبحانه وهي الأشرف ، ونسبة الى ذاته ، وعن وجود الوصي عنه بنصه عليه واقامته اياه مقام نفسه

بالفعل ، وكونه من جنسه وشبهه (١) ووجود الكتاب عنه ، وكونه معمولا فيه ، بأن الموجود عن المبدع الاول اثنان ، أحدهما مثله وهو العقل المنبعث عنه القائم بالفعل كهو مثل الوصي الذي هو شبه الناطق ، وهو القائم مقامه بالفعل ، والآخر لا كهو وهو القائم بالقوة الذي هو الهيولى المفعول فيها مثل الكتاب المعمول به القائم بما يجمعه من العلوم بالقوة ، وعن كون الكتاب لا كالناطق ولا كالوصي ، بأن الهيولى لا كالمبدع الاول ، ولا كالمنبعث الاول ، وعن كون الكتاب أصلا لوجود (٢) رسوم الشريعة وقانونها ودعائمها ، وكونه من الأئمة القائمين مقام الناطق في التعليم والسياسة كالمادة التي تعمل فيها الصناع يخرجون من العلوم التي هي صور المعلومات الابدية ، بأن الهيولى أصل لوجود السموات والكواكب والطبائع ومواليدها ، وأنها تجري من العقول البرية مجرى المادة تعمل فيها وتوجد منها الأجسام المصورة المحسوسة ، وعن كون الكتاب في وجوده غير مجرد عن أحكام الشريعة وسننها بل وجوده بما يجمع السنن والأحكام معا .

وأخيرا يثبت الكرماني ان الهيولى هو شيء ما يمكن أن يقبل الصور فيكون بما قبله من الصور موجودا للحس ، وأن وجودها عن الاول ضروري ، وأنها هي المعرب عنها باللوح الذي أودع كل الصور ، وأنها بكونها قائمة بالقوة لا ابلفعل لا تشبه المبدع الأول ولا المنبعث الاول ، وأنها تجري من تلك العقول الخارجة المنبعثة مجرى المواد التي فيها يعمل الصناع ، وأنها لا وجود

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص ٢٢٢ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٢٥ .

لها خارج النفس وجودا مجردا عن الصور ، بل وجودها كذلك في الذهن فقط ، ولا تدرك خارج النفس الا مشغولة بالصور ، وأن منزلتها من الموجودات منزلة الثلاثة من الأعداد (١) ٠

ويأتي دور الحروف العلوية التي هي المباديء الشريفة في عالم الانبعاث الاول ، فيعددها الكرماني ويذكر كيف وجدت عن بعضها البعض وكيف كان وجود هذا البعض ، ثم يوازنها مع قانون الصنعة النبوية والسنة الالهية ، وما جاء به الناطق وأقامه من مراتب الحدود السفلية ، باعتباره جامعا للفضائل النبوية والأنوار الملكوتية مستغنيا عن غيره ، وسببا لوجود الحدود السفلية مثالا على ما في عالم الابداع الذي هو عقلا محضا مبدعا، وهو العقل الاول الذي هو سبب لوجود الحدود العلوية الخاصة، ولوجود الموجودات عامة ، ومما وجد عنه وتركه صلى الله عليه وعلى آله فيما بين للأمة من كتابه وأحكامه ، ووصيه الذي أقامه مقام نفسه ، على أن الموجود عن ذلك العقل الاول اثنان ، وأن أحدهما أشرف من الآخر كشرف الوصي القائم بالفعل القيم بجميع ما جاء به على ما تركه ، ومن كونه تمامية دوره بأتماء سبعة ، وقيام كل منهم بنص ممن تقدمه صاعدا الى الاساس ، على أن الموجود عن العقل الاول والمنبعث الاول عقول سبعة ٠ ووجود كل منها عن الآخر صاعدا الى المنبعث الاول ، وأن كل منها ساطع سار فيما وجد عن الاول من الهيولى والصورة التي منها وجود السموات والارض وحركاتها ، ومن تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والاساس ، وقيام العاشر في مقام الناطق

(١) راحة العقل : الكرماني ص ٢٢٨ ٠

بالدعوة الى أمر جديد في دور آخر على صيغة ما تقدم ، على وقوف الانبعاث عن وجود المثل عند انتهائه الى العاشر من العقول، وقيام العاشر مقام الاول في تدبير أمر دار الجسم على تلك الصيغة (١) .

وبعد هذه الآراء الفلسفية التي قدمها الكرماني حول الامامة ننتقل الى فيلسوف حقاني آخر هو الداعي المطلق ابراهيم الحامدي لنرى ماذا يقول هو الآخر حول الامامة في كتابه (كنز الولد) : « فلما خوطبوا باجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يحييهم حياة حقيقية محيية لاسلامهم ولأنفسهم ، وذلك اشارة الى دعاء الرسول لهم الى طاعة وصيه والقبول عنه عند النص عليه ... فكان من أطاعه الى ما دعا اليه ، ودل عليه، حيا وناطقا ، وقائما بالفعل ، وبشرا وانسانا بالحقيقة ،وكاملا، وتاما ، وقادرا ، وعالما ، وعاقلا ، وأزليا ، وموجودا ، وموحدا ، وحقا ، ومن تكبر وعصى وعتا ، كان بالضد من ذلك (٢) .

والنطقاء والأوصياء والأئمة هم النهاية الثانية يستحقون بصفاء جوهرهم ، وانارة بصائر ذواتهم ، ولطف صفاتهم ، ما تستحقه الذوات الابداعية ، وكل حد من ذلك العالم مقابل لحد من حدود الدين ، ولهؤلاء الحدود الثلاثة كمال أول هو ظهورهم بالقامة الألفية ، والكمال الثاني قبولهم لما اتصل بهم من المواد الالهية ، والتأييدات القدسانية » .

ويقول في مكان آخر مفصلا نوعية الموجود عن الموجود الأول :

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص ٢٤٠ .
(٢) كنز الولد : ابراهيم الحامدي تحقيق الدكتور مصطفى غالب منشورات الاندلس ص ٥٥ .

« ثم كون الموجود عن الموجود الاول في الرتبة الثانية من الوجود علة لكونه من جنس واحد اذ تلك المرتبة مرتبة الاثنينية ، والاثنينية لا تصح الا بوجود التغاير في الذات ، وأن يكون كل واحد من طرفي الاثنينية لا من هذا الموجود الاول شاغلا مرتبة الواحدية بسبقه في الوجود اليها ، وكونها له حقا جنس واحد ، ثم كون المبدع الذي هو الموجود الاول جامعا لنسبتين : احداهما كونه باضافته الى ما عنه وجد ابداعا • وثانيتهما كونه باضافته الى ذاته مبدعا ، يوجب بكونه علة للموجودات أن يكون الموجود عنه اثنين ، والاثنينية لا تثبت الا بوجود التغاير ، فكون المبدع على ذلك علة لأن يكون ما يوجد عنه لا من جنس واحد • لأن أولية المبدع من الموجودات،وسلامة هذه المرتبة التي هي الأحدية والواحدية له ، يتعالى من له الابداع والامر عنها ، وتكثره (١) بالنسب هي العلة في أن يكون ما يوجد عنه لا شيئا واحدا ، ولا جنسا واحدا بل من جنسين : عقول قائمة بالفعل ، وعقول قائمة بالقوة » •

يقصد من الاشارات والرموز التي أوردها الحامدي أن الرسول الملهم عندما أوصى بأن يقوم مقامه بخلافة المسلمين الدينية والدنيوية وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تلميحا واشارة ورمزا في عدة مناسبات أو بالأحرى عدة بيعات أو وصيات لم يقبلوا منه ذلك ، ونكروا كل رمز يشير الى صاحب الحق الشرعي ، بموجب النص من الله سبحانه وتعالى •

ويخصص الحامدي في كتابه كنز الولد فصلا يستعرض فيه

---

(١) كنز الولد : الحامدي ص ٦٤ .

فضائل الوصي ومعجزاته فيقول (١) : « أولها لما حضر أمه المخاض أمرها أبو طالب أتمسح بالكعبة ، فلما دخلتها ولدته في وسطها فأمر امام الوقت أن يضرب في موضع مولده مسمار فضة ، العالم يصلون عليه الى يوم القيامة لأنه من الفروض الواجبة ، ثم أسلم وهو ابن سبع سنين ، ولم يعبد وثنا ، ولا عصى الله طرفة عين ، ومثل قتل الحنش في الماء وهم في لقاء قريش الى بدر ، ومثل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن نزل عليه الوحي أن يتبع أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة ويمضي بها الى مكة ، ففعل وقرأها على قريش وما منهم الا من يطلبه بدم ، ومثل قول جبرائيل يوم حنين وقد انهزم أصحاب الرسول وعثروا ، وعلي يذب عنه ، وقتل دونه سبعين رئيسا ، وهزم سبعين كتيبة • لا فتى الا علي ، لا سيف الا ذو الفقار ، هذه المواساة يا محمد • فقال صلى الله عليه وآله : انه أخي وابن عمي • فقال : وأنا أخوكما • ومثل مؤاخاة الرسول له دون كل أحد ، ومثل تسبيح الحصى في كفه ، ومثل قتله للعفاريت في البئر ، ومثل نصبه من كفه المنجنيق الى درب خيبر (٢) ورجمه بالباب أربعين باعا • ومثل جواب أهل الكهف له دون أصحابه ، ومثل انشقاق القبور يوم أمره الرسول مع أحبار اليهود والنصارى ، ومثل نص رسول الله عليه ، فتهامزوا وقالوا : حظي بها ابن عمه ، فنزلت الآية : « قل أرأيت ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله واستكبرتم

(١) كنز الولد : الحامدي ص ٢١٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢١٥ .

ان الله لا يهدي القوم الظالمين (١) » • وسلم اليه صلى الله عليه وآله كتبه وسلاحه وثيابه ودوابه وجميع مواريث الأنبياء » •

وحول المعجزات التي لم تظهر لأحد مثل ما ظهر منها لنبينا محمد ووصيه علي ، يقول (٢) : « ولم يظهر من المعجزات لأحد مثل ما ظهر لنبينا محمد ووصيه علي ، ومعرفة رسول الله له والأئمة من ولده ، بأنه النهاية الثانية يستحق من الصفات المتناهية بالشرف ما تستحقه الأولة ، وأنه حجابها وبابها ، ولسان نطقها وبرهانها • ولذلك وصف ذاته فقال : أنا الاول وأنا الآخر ، وأنا الظاهر وأنا الباطن ، وأنا بكل شيء عليم ، أنا الذي سمكت سماءها ، وسطحت أرضها ، وأجريت أنهارها ، وأنبت أشجارها ، فالنهاية الأولة التي هي المنطقة له • وبذلك بالأول من عالم الابداع ، والآخر الذي له يتحد بكل مقاوم ، هو الظاهر بالمعجزات ، والباطن الذي لا يدرك بالصفات • وسمك سماءها العالية ، من الطبيعيات والنطقاء والحدود في سائر الأوقات ، وسطح الارض للمواليد من معدن ونبات وحيوان وأنبت الأشجار للأقوات ، وأجرى الأنهار في البر والبحر تقدير ذات الذوات • فهذا نطق النهاية الأولة على لسان النهاية الثانية ، والنهاية الثانية أيضا تستحق من الصفات مثل ذلك ، فهو الاول في الاسلام والايمان ، وهو أول باتحاد المتحد به ، وهو آخر • أي النهاية الثانية الظاهرة بالفعل بعد القوة • وهو الباطن بما بطن فيه من العلم والحكمة والانوار والاسرار ،

---

(١) سورة الاحقاف اية ١٠ .
(٢) كنز الولد : الحامدي ص ٢٢٠ .

وسمك سماءها ، أي نصر الناطق حتى ارتفعت درجته ،وسطح الأرض أي باقامة الامام • وأجرى الانهار باظهار حدود الدين، وأنبت أشجارها بانماء صور المؤمنين بعلمه ، وتأويه الى يوم الدين • فالنهاية الأولة هي المشار اليها بأنه الله الخالق الباريء المصور ، لما دنا وعلا في السموات العلى ، والأرضين السفلى ، وما بينهما وما تحت الثرى ، ومولانا أمير المؤمنين الذي تأله النفوس اليه ، وتتحير في معجزاته وظهور آياته • وهو خالق صور الدين ، وباريها ومحييها ومنشئها ، ومصورها بالصورة الأبدية السرمدية من (١) الكمال الثاني المحيي للعقول والنفوس والمقوم لها بالفعل بالاكسير الاعظم الذي لا يستحيل » •

ولا بد لنا قبل أن نختم حديثنا عن آراء أهل الحق في الامامة من الناحية الشرعية والفلسفية من أن نقدم هذه الرسالة التي عثرنا عليها ضمن مخطوطة مجموعة التربية المجلد الاول وهي للداعي الحقاني أبو الفوارس ، وننشرها للمرة الأولى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

كاتب هذه الرسالة في الامامة الشيخ الحميد أبي الفوارس أحمد بن يعقوب الداعي بجزيرة الشام عبد مولانا الامام الحاكم بامر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله الطاهرين وأبنائه الأكرمين المهديين ، وخص جده محمد سيد المرسلين بأفضل الصلاة والتسليم (٢) •

قال : سألت صاحبي أعانني الله على طاعته عن وجوب الامامة

(١) كنز الولد : الحامدي ص ٢٢١ .
(٢) مجموعة التربية : حسن بن نوح ص ورقة ١٦٧ مخطوطة في مكتبة الدكتور مصطفى غالب الخاصة .

والحاجة اليها ، وسؤالات تقتضيها في أوقات متفرقة فأجابني رفع الله درجته عن ذلك في أرقائه شفاهـا بالفاظـا عقلتها ، وسطرتها رسالة تصل الى كل راغب في الفوز والنجاة ، فـان وافقت الصواب ، فببركاته ويمن خدمته ، وان فقدت فيها حسن التهذيب وصحة الترتيب ، فقد بذلت الاستطاعة ، واعترفـت بالنعمة ، وشكرت أنعامه ، وقال القائل جهد المقل كطاقة المكين ذو قوة مستكثر منه ، وان قصر فقال الحمد لله الذي لم يخلقنا عبثا ، ولم يهملنا سُدا ، ولم يتركنا في عمياء مبهمة ، ولا طخياء مظلمة ، بل أكد علينا الحجة بأدلة يهدوننا الى واضح المحجة ، جعلهم الله أبواب رحمتـه ، وخزان حكمتـه ، والمرشدين الى معرفة توحيده وطاعته ، صلوات الله عليهم أجمعين .

أما بعد : فقد سألتني وفقك الله للخيرات عما لا يسع مؤمنا جهله ، فاسمع ما أقوله ، واحفظه ، واعتقده ، ولا تحظ به بين جلساءك في دنياك ، وتسعد به في آخرتك .

الباب الأول : ما الحاجة الى الامام بعد الرسول صلى الله عليه وآله ؟ الجواب : اعلم علمك الله الخيرات ، ان الامامـة واجبة شرعا وعقلا من وجوه كثيرة ، وجهات شتى ، ونحـن ذاكرون من ذلك ما تيسر طلبا للتخليص والاقتصار ، وخوفا من الاطالة والاكثار ، ليقرب على سامعيه تناوله ولا يضجر قاريه تأمله ، وأما ما نطق الشرع في ذلك فمنه قول الله عز وجل في محكم كتابه : « يوم ندعو كل أناس بامامهم (١) » وقوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير (٢) » وقوله سبحانه : « رسلا

---

(١) سورة الاسراء : اية ٧١ .
(٢) سورة فاطر : اية ٢٤ .

مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (١) » وقوله : « أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير (٢) » وقوله : « فقد جاءكم بشير ونذير (٣) » وقوله : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤) » وقوله لنبيه (ص) : « انما أنت منذر ولكل قوم هاد (٥) » وقوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (٦) » وقوله في جهاد من ادعاها غاصبا وتكفيره : « فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (٧) » وقوله : « وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحي يوحى • علمه شديد القوى (٨) » وقوله في زم من يكذب أئمة الحق : « ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون (٩) » وفيه قول رسول الله (صلعم) الامامة في قريش ، وقوله : من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية • وقوله : حطوا عنها من لا يستحقها ، الامامة محرمة على الطلقاء ، وأبناء الطلقاء الى يوم القيامة ، ومثل ذلك من الآيات (بنى العباس) في كتاب الله

---

(١) سورة النساء : اية ١٦٥ .
(٢) سورة المائدة : اية ١٩ .
(٣) سورة المائدة : اية ١٩ .
(٤) سورة النساء : اية ٤١ .
(٥) سورة الرعد : اية ٧ .
(٦) سورة البقرة : اية ١٠٦ .
(٧) سورة التوبة : اية ١٢ .
(٨) سورة النجم : اية ٣ — ٥ .
(٩) سورة المؤمنون : اية ٤٤ .

ويدبره ، وهو القلب ، وكيف اذا يهمل جميع خلقه وبريته والأخبار عن رسول الله كثيرة (١) اختصرناها على ما ذكرناه لثبوت الحجة بآية منه وخبر منه لولي الله عز وجل : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٢) » .

وأما ما يوجبه العقل فمن ذلك أن العقل يقطع ، ويشهد أن الله تعالى اذا خلق الدنيا بما فيها من جماد ونام ، وأخلاها من الحيوان لكانت ناقصة النظام ، ولا حكمة فيها ، وكذلك لما جمع اليها الحيوان بأسره غير الانسان لكان النقص باقيا ، والحكمة غير منتظمة ، وهكذا أيضا لو خلق الانسان مضافا الى ما قدمت ذكره وجعله خاليا من الحكمة ، عاريا من المعرفة ، كما نجد عليه المجانين والأطفال ، لكان النقص كذلك ، فاذا العلم والمعرفة تمام الخلقة ، وكمال الصنعة ، ونظام القدرة ، وجميع ما دونهما آلة لهما ، وأداة لانشائهما ، ولا سبيل الى التعلم الا من جهة معلم مؤيد منتجب يختاره الله لهداية خلقه الى مصالحهم في عاجلهم وآجلهم ، وهو الامام . وانما سمي اماما ليأتم به . وقد قال قائل من أهل الملة للصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه: هل جعل الله لنا في عصرنا اماما نقتدي به اذ الملقب بالمنصور من ولد العباس ، والعباس ليس من أهل الامامة ، لما رويناه عن رسول الله (صلعم) في تحريم الامامة على الطلقاء ، وأبنائهم

---

(١) ذهبت اغلب الفرق الاسلامية الى القول بوجوب الامامة ، وان طاعة اولي الامر من الائمة فرض من الله سبحانه ، ويركزون استدلالهم على وجهة نظرهم القائلة بالوجوب على الله لحفظ الشريعة من الضياع ورفع الفساد واقامة الحدود ونشر الاحكام والانتصاف للمظلوم من الظالم .

(٢) سورة الحشر : اية ٧ .

الى يوم القيامة ، والعباس طليق ، وأيضا لأنه بخلافة الأمة أولى منه بخلافة الله تعالى ، اذ هو باختيارهم لا باختياره ؟ فقال : ان الله تعالى لم يهمل جسد ابن آدم حتى جعل له اماما يستعمله ونظامه ، والحكمة ارادته ومشيئته ، لا سيما وليس في استطاعة الانسان تعليم نفسه (١) وأن يخرجها الى الفعل بغير نور يستضيء به ، ولا مثال يحتذي به ، ولا معلم يفيده ويربيه ، ألا ترى الى الرجل الصحيح البصر اذا عدم نورا يقابله لم ينتفع بنور بصره ، وبقي لا يهتدي بشيء من أموره الا باجتماع النورين ومقابلة بعضها بعضا ، فأنبياء الله وأئمة دينه عليهم السلام الأنوار اللاهوتية المقابلة لأنوار العقول الغريزية ، باجتماعهما تجب الحجة على خلقه ، ويخرج الانسان بمقابلتهما، من قسم الحيوانات الطبيعية ، الى قسم الملائكة الروحانية ، وتخرج العلوم الشريفة من حد القوة في النفس الى حد الفعل ، وبعدم أحد النورين تسقط حجة الله على الخلق ، اذا عدم الدليل الهادي ، أو عدمت القوة القابلة ، ألا ترى ان التكليف يسقط عن المجانين والاطفال ، وهو شاهد لما ذكرنا ، ومثل ما أوردناه في اجتماع النورين الطبيعيين ، أيهما عدم لم ينتفع بالآخر .

ووجه آخر : وذلك انا لو أردنا السفر الى بلد لا بخبرة طريق ، لم نسلك برا كان أو بحرا ، سهلا أو وعرا ، لكان العقل يوجب أن نلتمس لسلوكه دليلا يرشدنا اليه ، ونعتمد في هدايتنا

---

(١) يعتقد جماعة اهل الحق ان النفس لما وجدت كانت قائمة بالقوة كالورقة البيضاء لم يخط عليها شيء ، لذلك وجب ان يهيء لها من يعلمها المعارف العقلانية ليتمكن من نقلها من القوة الى الفعل حيث الكمال والمثالية .

نجوم السماء ، لكن لا يهتدي بها في المسالك الا من عرفها ، وعلم مطالعها ، ومجاريها .

الباب الثاني : فان قال قائل لنا في كتاب الله وشريعته وفرائض دينه وسننه كفاية ومقنعا بعد الرسول (ص) . قلنا له : الجواب ان كتاب الله تعالى والشريعة والفرائض والسنة لا يقوم شيء منها بنفسه ، ولا غناء عن مبين له ومفسر ، فقال رسول الله : ما من آية الا ولها ظهر وبطن عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها ، فيجب أن يستخلف على الأمة من يعرفها باطن ما ظهر من شرعها (١) .

ووجه آخر : لا بد ممن يقوم بالحدود ، ويوصل الى أهلها الحقوق ، ويدفع عن بيضة الاسلام ، ويقوم بأمر الجهاد حق القيام . ووجه آخر : ان رسول الله (صلعم) قال : افترقت أمة أخي موسى احدى وسبعين فرقة ، وافترقت أمة أخي عيسى اثنتين وسبعين فرقة ، فرقة ناجية ، والباقي في النار ،وستفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة فرقة ناجية ، واثنتان وسبعون في النار . فلو لم يبين شريعته مع علمه بذلك باقامة الخليفة بعده واشهاره ، والنص عليه ، والتصريح باسمه ، والحث على طاعته ،والتحذير من معصيته ، ومخالفته ، ما عرف الناس بالدين ، لما كان اذا عرف به ، ولا أحسن النظر لأمته يصدقه قول الله تعالى ذكره : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما

---

(١) وهو خلافة من خلفه رسول الله من بعده ليحفظ امته ويصون شريعته، وينشر دعوته ، ويبلغ رسالته ويتعاهد مفاهيم دينه التي تضمنها كتاب الله الخالد ايضاحا وتبيانا للعالم كله لانه رحمة للعالمين .

نجوم السماء ، لكن لا يهتدي بها في المسالك الا من عرفها ، وعلم مطالعها ، ومجاريها •

الباب الثاني : فان قال قائل لنا في كتاب الله وشريعته وفرائض دينه وسننه كفاية ومقنعا بعد الرسول (ص) • قلنا له : الجواب ان كتاب الله تعالى والشريعة والفرائض والسنة لا يقوم شيء منها بنفسه ، ولا غناء عن مبين له ومفسر ، فقال رسول الله : ما من آية الا ولها ظهر وبطن عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها ، فيجب أن يستخلف على الأمة من يعرفها باطن ما ظهر من شرعها (١) •

ووجه آخر : لا بد ممن يقوم بالحدود ، ويوصل الى أهلها الحقوق ، ويدفع عن بيضة الاسلام ، ويقوم بأمر الجهاد حق القيام • ووجه آخر : ان رسول الله (صلعم) قال : افترقت أمة أخي موسى احدى وسبعين فرقة ، وافترقت أمة أخي عيسى اثنتين وسبعين فرقة ، فرقة ناجية ، والباقي في النار ،وستفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة فرقة ناجية ، واثنتان وسبعون في النار • فلو لم يبين شريعته مع علمه بذلك باقامة الخليفة بعده واشهاره، والنص عليه ، والتصريح باسمه ، والحث على طاعته ،والتحذير من معصيته ، ومخالفته ، ما عرف الناس بالدين ، لما كان اذا عرف به ، ولا أحسن النظر لأمته يصدقه قول الله تعالى ذكره : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما

---

(١) وهو خلافة من خلفه رسول الله من بعده ليحفظ امته ويصون شريعته، وينشر دعوته ، ويبلغ رسالته ويتعاهد مفاهيم دينه التي تضمنها كتاب الله الخالد ايضاحا وتبيانا للعالم كله لانه رحمة للعالمين .

بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (١) » . وقوله سبحانه عقب اشهاره ولاية الوصي (ع.م) بغدير خم امتنانا على الأمة بها : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا (٢) » .

ووجه آخر : في حكم العقل واجبا لو ان رجلا أراد سفرا بعيدا وله أطفال محتاجون الى محافظة ، مفتقرون الى ملاحظة ، وخلفهم بغير قيم عليهم ، ولا نائب ينوب منابه فيهم ، وكنز قوتهم دفائن لا يمكنهم استخراجها ، والوصول اليها ، لكان سفه الرأي مذموما قد ضيع ماله ، وأولاده ، وأتلف على مخلفيه كنوزه .

ومثل آخر : لو خلف رجل دارا مملوءة جوهرا ومالا وسافر سفرا بعيدا متحققا لبعده ، ولم يوص بها ، ولا استخلف عليها ، مع علمه برغبة السراق فيها ، والخوف من امتداد اليد اليها ، لكان معتمدا الخراب داره ، واتلاف ماله ، غير محمود في أفعاله ، وليس للنبوة والشريعة وهداية الأمة مثل ما وصفناه ، ولا دون ما مثلناه ، وسفهنا الآراء المهملة ، فالشريعة للحفظ أولى ، والاستخلاف عليها أحق وأحرى .

الباب الثالث : فان قال قائل : فلم منعتم أن يكون الامام باجماع الأمة ، واختياره دون النص والتوقيف ؟ الجواب ، قلنا : أما دعوى الاجماع فمحال بين ، لا يصح في التوحيد والنبوة فضلا عن فرعها ، وأما الاختيار فان كان الامام خليفة الله في خليقته ولرسوله في أمته ، فيجب أن يكون باختيارهما لا باختيار الأمة ،

---

(١) سورة المائدة : اية ٦٧ .
(٢) سورة المائدة : اية ٣ .

اذ ليس هو من قبلها بل حكمه نافذ فيها ، يصدق ذلك قول الله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (١) » وقوله عز وجل في قصة آدم : « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة (٢) » وقوله في قصة ابراهيم : « اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (٣) » وقوله : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض (٤) » وقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم (٥) » وقوله : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءَ اِله مع الله قليلا ما تذكرون (٦) » فالخلافة بأمر الله تعالى واختياره لأوليائه ، لا باختيار العامة والجهلة ، وفي حكم العقل واجب ان من لا يملك الشيء فلا يجوز حكمه عليه ، ومتى وكل وكيلا على ما لم يكن بملكه ليتصرف ذلك الوكيل في المال الذي ليس هو ملكه فقد عدل عن الحق ورام الباطل ، ومتى وكل وكيلا ليتصرف فقد عدل عن الحق ورام الباطل ، وكان توكيله عبثا ويرجع السؤال اليه فنقول : كل من وقع اختياره على بيعة أبي بكر كان يصلح للخلافة ، فان قال نعم فدعواه واضحة البطلان ، لوجود التفاوت بين العالم • وان قال : لا • قلنا له : فمن لا يصلح للخلافة كيف يجوز له أن يقلد خليفة وينصبه ، ويختاره

---

(١) سورة القصص : اية ٦٨ .
(٢) سورة البقرة : اية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : اية ١٢٤ .
(٤) سورة ص : اية ٢٦ .
(٥) سورة النور : اية ٥٥ .
(٦) سورة النمل : اية ٦٢ .

حجة لله على بريته ، وشاهدا على خلقه ؟ الا وهو من المذمومين لقول الله وهو أصدق القائلين : « أرأيت من اتخذ الهه هواه (١) » وقوله : « أتعبدون ما تنحتون • والله خلقكم وما تعملون (٢) » وقوله : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٣) » •

وقد وجدنا في الشهادة قضاة البلدان لا يقبلون شهادة كثير من العوام على درهم فرد ، فمن لم تقبل شهادته على هذا القدر ، أيجوز أن يزكي أحدا أو ينصبه برأيه للخلق اما يقتدي بهداه •

الباب الرابع : فان قال قائل : ما الدليل على صحة النص ؟

الجواب : قلنا ما رواه الثقاة منا وأصحاب الحديث من مخالفينا أن النبي صلى الله عليه وآله ، لما صدر من حجة الوداع في السنة التي قبض فيها ، وبلغ غدير خم أمر الناس ، بوضع أثقالهم ، قبل وصولهم المبرك ، لئلا يفترقوا أو ينقلبوا ، ثم أمر بالنداء بأن الصلاة جامعة ، فلما جمع اليه الكافة حمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس : من أولى منكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : ألست أولى بكم من أنفسكم لقول الله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (٤) » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله • فكررها ثلاثا ، وأشهد الله على اقرارهم ، ثم أخذ بيد علي (عم) فرفعها ويده معها ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، ودعا له بدعاء الامامة ، فقال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من

---

(١) سورة الفرقان : اية ٤٣ .
(٢) سورة الصافات : اية ٩٥ ، ٩٦ .
(٣) سورة الانبياء : اية ٩٨ .
(٤) سورة الاحزاب : اية ٦ .

خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، فقال عند ذلك عمر بن الخطاب : بخ بخ يا علي أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة • فأظهروا الرضا بألسنتهم ، وأضمروا ضده في صدورهم ، بسنة من كان من الأمم قبلهم ، لما قالوا : سمعنا وعصينا • واشربوا في قلوبهم العجل لكفرهم ، يصدقه قول الله تعالى جل ذكره : « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (١) » •

ووجه آخر : مما يوجب النص قول النبي صلى الله عليه وآله علي مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي • فنقول : أي نسبة كانت بين موسى وهارون حتى مثل النبي (صلعم) بها فيقال اخوة النسب وشركة النبوة لم يكونا بين النبي (ص) وعلي عليهما السلام ، ولم يبق ما يصدق الخبر غير الخلافة فمن نفى عليا منها فقد كذب الخبر • فان قال قائل انه أراد بذلك خلافته في حياته دون وفاته اذ هارون انتقل في حياة أخيه موسى عليه السلام • قلنا : قد أقررت معنا أنه قد استخلفه ، ولم تأت بنية تدل على عزله من بعد وفاته ، ولو كان كما زعمت لكان قوله (ص) الا أنه لا نبي بعدي عطفا على ما تقدم عبثا ولكنه (ص) أكد الحجة بذلك على الأمة وقال : ان جميع منهجها خلال الشرف التي جمعها ومنحها في علي (ع م) سوى درجة النبوة •

ووجه آخر : مما يدل على النص على علي (ع•م) قول الله

---

(١) سورة البقرة : اية ٢١٣ •

سبحانه : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (١) » وفي هذا خبر مشهور ان عليا (ع•م) رمى بخاتمه الى سائل وقف متصدقا وهو في صلاته راكعا ، فلما أنزلت هذه الآية تشريفا له وتعريفا به تشبه به جماعة من الصحابة في فعله ، فحرم النبي (ص) على من يفعل بعده ، وجعله قاطعا لصلاته •

ووجه آخر : في وجوب النص قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٢) » ذلك علي بن أبي طالب ولي الأمر منكم في حياة الرسول (ص) حيث قام موجودا مفروض الطاعة لأن الالف واللام في لغة العرب للتعريف وقرن سبحانه هذه الثلاث طاعات في آية واحدة ، وهذه من الآيات التي لا يقع فيها نسخ باجماع •

ووجه آخر : يوجب النص أيضا قول النبي (ص) طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وقد علم وعلمنا ان الشريعة تحتمل الزيادة فيها والنقصان لاختلافها وغلبة أهوائها ، وأنه غير مخلد فينا الى الأبد ، وان في أصحابه منافقين ، والله تعالى لا يكلفنا شططا بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولا يطالبنا بشيء لا نصل اليه ، ولا نجد من نعتمد في أخذ العلم عليه جل ربنا وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، فلو لم يأمرنا بأخذ العلم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بقوله : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب • والا كيف كان يمكننا مع كثرة المنافقين في أصحابه أخذ العلم بعده

---

(١) سورة المائدة : اية ٥٥ .
(٢) سورة النساء : اية ٥٩ .

الا ممن يشهد في حياته عندنا بصدقه ، وينص على فضله وعلمه، مثال ذلك أن طبيبا حكيما كان في بلدة يطبب أهلها ، وقد جمع في حانوته ما يحتاج الى مثله من الحشائش ، والعقاقير والأدوية ، النادرة النافعة ، وغير ذلك ، وكان أوحد دهره ، ولا نظير له في صناعته ، قد كد نفسه في جميع ما في حانوته طلبا لمصلحة الناس ، ولاثابته على ذلك ، فلما حضرته الوفاة وصى بحانوته لتلميذ له قد رباه وعلمه صناعته ، واصطفاه لنفسه ، والى درجة جده في العلم رقاه ، فجاء أهل البلد فبغوا على التلميذ وتغلبوا على الدكان ، ليحوزوا ما فيه لعلمهم بجلالة قدره ، ولا علم لهم بمصلحة تلك الأدوية لأية علة هي ، وما الحار منها وما البارد ، وما الرطب من اليابس ، وكيف أخلاطها وأوزانها ، وأجلسوا أحدهم من الجهل طبيبا ، هل تجوز للعاقل الذي لم يرضه فعلهم أن يرجع في طب من صدر الى طب ذلك الجاهل الذي أقاموه ؟ ويستعمل من الأدوية ما يصفه ؟ وكذلك الأمة بعد نبيها محمد (ص) وليس طب الأرواح بأيسر من طب الاجسام ، ولا خطر الأدوية الطبيعية الا دون خطر علوم الضلالة ، ولا قدر للدنيا في جنب الآخرة ، ولذلك قال النبي (ص) : يا علي لأن هدى الله بك نفسا أحب اليك ممن طلعت عليه الشمس • ولم يقل يا أبا بكر ، ولا يا عمر ، ولا يا عثمان ، وحاش لله أن يخرج النبي (ص) من هذا العالم بدون أن يعين وصية يسندها الى وصي بعده ، مع ما عرفه به الله في محكم كتابه من تسفيه رأي من يغفل عن الوصية بقوله تعالى ذكره : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين • اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب

العالمين • ووصى بها ابراهيم بنيــه ويعقوب يــا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون (١) » • وقد فرض سبحانه علينا الوصية على لسان نبيه محمد (ص) لقوله : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصيــة للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين • فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم (٢) » فان كانت هذه الآية على مذهب بعض المخالفين منسوخة ، فهي عندي محكمة مفروضة ، وقد شهد بصحة قولنا قول من اقتدوا به وأخذوا دينهم عنه ، وهو الحسن البصري ، يؤكد ذلك قول النبي (ص) : حقيق على كل مسلم ان لا يبيت الا وصيته مكتوبة عند رأسه • وقوله في خبر آخر : من لم يوص كان ذلك نقصا في دينه وعقله • فما كان (ع•م) يوصينا بمكرمة ويعدل عنها ، لا سيما والذي خلفه في العلم ، والشرع ، أحوج الى حــارس يحرسه ويحفظه ، وخليفة يرجع اليه فيه ، ولم يكن أقرب الى النبي (ص) من عمه العباس وابن عمه علي بن أبي طالب فخرج العباس عن الامامة بخروجه من جملة المهاجرين لقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم مــن شيء حتــى يهاجروا (٣) » وبأنــه طليق لقول النبي (ص) الخبر المتقدم ذكره في تحريم الامامة على الطلقاء وأبنائهم الى يوم القيامة ، واستحقها بموجب الكتاب علي (ع•م) فمن بدل عليا بغيره فعليه اثمه ، وعلى من يرضى من الخلــق

---

(١) سورة البقرة : اية ١٣٠ — ١٣٢ •
(٢) سورة البقرة : اية ١٨٠ ، ١٨١ •
(٣) سورة الانفال : اية ٧٢ •

بفعل السلف في تبديله ، وقد لعنهما الله سبحانه في محكم كتابه بقوله : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئـك يلعنهـم الله ويلعنهم اللاعنون • الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم • ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين • خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (١) » •

ووجه آخر : إن الذي يقول بالاختيار فهو ساع في تعطيـل حدود الله ، وابطال دينه ، وأحكامه ، ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا ، وخسر خسرانا مبينا ، لأن الذي يختاره للامامة الناس بآرائهم ليس بمعصوم ، ويجوز عليه السهو والغلط ، والخطأ والزلل ، وفعل ما يستوجب به الحد ، وليس في استطاعته أن يحد نفسه ، ولا يجوز للمأموم أن يحد امامه ، بل قد نصب الله لحفظ دينه أفضل خليقته ، وصفوة بريته علما وزهدا ، ونسبا وشجاعة ، معصومون ، صفوة منزهون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون •

الباب الخامس : فان قال قائل فمن أين حكم العدل أن يختص الله في الامامة زيدا دون عمرو ؟

والجواب : قلنا لأن باجماع الناس ان التفاوت بينهم واجب، ومثال ذلك ان الولدين التوأمين يكون غذائهما واحدا،ومعلمهما واحدا ، فلا بد أن يسبق أحدهما الآخر في الحفظ ، وكذلك ان جعلنا التفاوت في العشرة ، والمائة ، والألف ، والعالم لما كان

---

(١)سورة البقرة : اية ١٦٠ ــ ١٦٢ •

لا بد من أن يؤدي الى متباينين في العلو والسفل ، وحكم العقل أن يكون الأعلى متبوعا تابعا كما قال عز وجل : « أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم تحكوون (١) » شيده كيف الخبر المأثور عن الرسول (ص) بقوله شهادة لعلي بالفضيلة بعده ان مدينة العلم وعلي بابها ، وقوله تعالى ذكره : « أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم (٢) » وحكم العقل يقطع ويشهد أن وجود التفاوت في العالم حكمة متقنة اذ لو تساوينا في الخلق والأحوال والمعارف لتكافينا ولم يتم نظام فسدت الحكمة ولم يطع بعضنا بعضا واحتج كل منا أن يكون كاملا بكل علم وصناعة ناهضا ، فسائر الأمور جليلها ودقيقها ، كبيرها وصغيرها ، شريفها وحقيرها ، فكان التفاوت بيننا مؤدي الى مصالحنا ، وجعل سبحانه أفضلنا واسطة بيننا وبينه لهذه الحكمة ليهدينا ٠

ومثل ذلك انك تضع بين يديك حُراق وحرقة يابسة وأخرى رطبة ، وتأخذ بيدك حجرا وزنادا وتقدح على كل صنف منها قدحا متساويا ، فيكون الحراق أسرع قبولا للنار من غيره لعلة يبوسته وجنسه لطبيعة النار ، وهكذا البشر خلقوا مهيئين لقبول العلم والحكمة من العالم الروحاني ، والواسطة بينهم وبين الباري تعالى ذكره ليؤدي بهم ذلك العلم الى استحقاق محاورة الملائكة الذين هم الروحانيون في دار البقاء ، والسعادة والعذاب الأليم الدائم لمن عند عن السبيل والجادة ٠

ومثل ذلك ان ملكا له أولاد يريد مصلحتهم من الشفاء من

---

(١) سورة يونس : اية
(٢) سورة الملك : اية ٢٢ .

سائر عللهم فيما يحتاجون اليه ، ويقيم لهم معلما فاضلا ، أوحد زمانه ، كاملا جامعا لخصال الشرف ، فقبلوا من المعلم وأطاعوه وسمعوا منه وحفظوه ، وعملوا بآدابه وشكروه ، اذ رتبهم الملك لديه في منازلهم بحسب قبولهم ، وفضل كلا منهم على صاحبه ، فمن استحق المجالسة والمنادمة جالسه ونادمه ، ومن استحق الجلوس على كرسي بين يديه والقيام للسعادة لديه أهله ورتبه ، ومن خالف المعلم وعدل الى اللهو ، واللعب ، والطرب ، أبعده وأقصاه ، وبحسه ونفاه ، وأنف منه أن يضاف اليه ويلحق به ، وكذلك البشر يكون أفضلهم جوهرا وأصفاهم نفسا ، وأخلصهم طاعة ، وأكملهم آلة أسرع قبولا للعلم والحكمة بمجانسته لصفة الملائكة ، وشوقه للحوقه بهم ، ألا ترى المشاهدة حلالة الظروف (١) ؟•

وقد حكي أن بعض الملوك سأل بعض العلماء أن يزوره ويفتقده ليستفيد الحكمة منه ، فأراد العالم أن يضرب له مثلا بأن العلم لا يجب أن يظلم ، ولا يدفع الا الى مستحق ، فأما القلوب التي صديت بالجهالة ، وأصرت على العداوة ، والعدول عن الطاعة ، فانها لا تقبل العلم ، فقال : أيها الملك اني أجد وجعا ، وأحتاج له الى شربة ، فاذا وجدت خفة قصدتك لما التمسته ، فأحب أن يأذن لصاحب خزانة الشراب بأن يحمل الي ما استدعيه من الأشربة ، فأمر بذلك له ، وأنفذ العالم ظرفا دنسا جافا والتمس فيه شيئا من الأشربة ، ولما وصل الى صاحب

---

(١) يرمي المؤلف من وراء هذه الرموز الى ان الثوب الجديد الحسن المظهر لا يدل عن ماهية الجسم الذي يرتديه ، فربما كان صاحب الثوب العتيق افضل علما ومعرفة من صاحب الثوب الجديد .

الخزانة استفظعه وأخذه ورمى به ، وطرد رسوله ، وأخبر الملك بفعله وطلب ضربه وحبسه له ، واجتاز بالملك بعد زمان فوثبه وذكره بما كان وعد به من زيارته ليعلمه ، فقال : أيها الملك ما كان لي حاجة الى شرابك الذي لم يستصوب صاحبك أن يجعله في الظرف الذي أنفذته لجلاله عنده ، ودناءة الظرف ، وانما ضربت لك به مثلا لأن العلم أجل الأشياء وأشرفها ، فكذلك يجب أن يكون ظرفه أجل الظروف وأنفسها ، فلن يتصور العلم الحقيقي الذي يشرف الأنفس ، وهو زادها بدار معادها ، الا الاصفى فالأصفى ، والقاصد له بكليته ، الراغب فيه لأجله لا لعاجلته ، فيصل الى ذلك الاشرف الافضل من المواد ما يجب عليه شكرها ، فغاية ما يصل اليه من شكر المنعم عليه المستغني عنه أن ينشر عاقبة ويذيعها ، ويوصي الأمة بطاعته ويحضهم عليها .

الباب السادس : فان قال قائل فمن أين لنا حجة العقل بأن عليا أشرف الخلق بعد رسول الله وأحق الأمة بالخلافة ؟ الجواب : قلنا أن النبي بعث الى الأمة كافة فالطاعة لمن أطاعه منهم على قسمين : قسم طلبا للعلم والنجاة في الآجلة ، وقسم طلبا للعز والتغلب ، والاستظهار في العاجلة . فظهر النبي بفضيلتين ، وهما العلم والسيف ، ليقهر بالسيف أبناء الدنيا ويخوفهم من الانعكاس ، ويقهر بالعلم أهل الفضل والبصائر ، ويزيدهم علما ، ولأن الجهاد لا يجوز الا بعد الاعذار بالحجة ، ثم بالانذار بالسيف ، ولذلك يرقى الخاطب المنبر متقلدا بالسيف ، واعظا للناس يريد بذلك ان قبلتم هذا العلم ، والا فالسيف بيني وبينكم ، فيجب أن يحوي هذين الفضيلتين من يقوم مقام

الرسول بعده ، وينوب منابه في أمته ، وقد نطق به المسلمون ، ونطق به أيضا الرسول (ص) ، ان عليا أعلم الناس بعده ، وأشجعهم ، بالخبر المتقدم ذكره في العلم ، وبخبر الراية لما تطاول وجوه الصحابة عند قول النبي (ص) لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، سيد ولد آدم بعدي ، فظن كل من الصحابة أنه يؤهله لها أيضا ، لثباته مع النبي (ص) في معركة أحد ، وقد انهزم سائر المسلمين ، وفارقوا النبي الى غيره ، وقد باعد الله سبحانه في المثل بينه وبين من ادعى مقامه ، وقد قال الله جل من قائل : « انما يخشى الله من عباده العلماء (١) » وقد قال : « وما يستوي الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور . ان أنت الا نذير (٢) » وقال تعالى : « هم درجات عند الله (٣) » وقد قال علي (ع.م) في بعض خطبه على المنبر بالكوفة : سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة ، وبرىء النسمة لأن سألتموني عن العلم المخزون ، وعن علم ما كان وما يكون ، لأخبرتكم به كما أخبرني النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين ، وقال من اخترتموه برأيكم واختياركم وهو أبو بكر على المنبر : وليتكم ولست بخيركم . وقد اعترف بأنه عاجز مفضول ، فجعلتم بجهلكم هذه المثلبة فضيلة ومنقبة ، وقد قال ثانية عمر : لولا علي لهلك عمر . وقال أيضا : كانت بيعة أبي بكر فلتة

---

(١) سورة فاطر : اية ٢٨ .
(٢) سورة فاطر : اية ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) سورة ال عمران : ١٦٣ .

وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه • فأما مثالب أبي بكر فانها أكثر من أن تضمها رسالتي مع ما قصدت من الاختصار ، لكن أورد يسيرا من الحجج المبينة عن درجة الامامة ليعلم المسترشد ويحتج به في مواضعه ، فمن ذلك أن أبا بكر لم يكن أسبق اسلاما ، وان بالاجماع أن أمير المؤمنين عليا (ع•م) أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله من الرجال وصدقه وصحبه ، وصلى معه ، لأن خديجة عليها السلام آمنت به من يومه ، وعلي (ع•م) من ثانيه ، فان قالوا ان عليا ربيبه ، وأنه أجاب دعوته صبيا بغير علم ، قلنا روى عن النبي (ص) أنه قال : ان أبرار عترتي ، وأطايب أرومتي ، أحلم الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا ، الا انا أهل البيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا • ومن قول صادق سمعنا ، وأن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وان لم تفعلوا تهلكوا معنا ، والله راية الحق من اتبعها لحق ، ومن تخلف عنها غرق • فقد شهد النبي (صلعم) بفضل أهل هذا البيت صغارا وكبارا ، وقد قال الله تعالى لنظيره في الصبي : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا (١) » والحكم درجة تستحق بعد الاسلام • وفي علي (ع) نزلت هذه الآية : « السابقون السابقون • أولئك المقربون (٢) » اذ لم يكن أبو بكر أعلم ، ولا أشجع من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لما جاء من الاخبار في ذلك ارتجاع سورة براءة منه ، وقد فصل عن المدينة متوجها الى مكة ، لما نزل الوحي على النبي (صلعم) قول جبرائيل له عن ربه لا يبلغ عنك الا أنت أو علي • وفي

---

(١) سورة مريم: اية ١٢ .
(٢) سورة الواقعة : اية ١٠ ، ١١ .

رواية أخرى أو رجل منك ، فبعث أمير المؤمنين ورائه لارجاع سورة براءة منه ، وقرأها على الناس ، فمن لم يجعله الله أهلا لتبليغ بعض سورة القرآن كيف يؤهله لدرجة النبوة ، ومنزلة الامامة ؟ وفي النبي نزلت هذه الآية : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه (١) » وكذلك قول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم (٢) » وان أبا بكر أسلم بعد أن كان مشركا فنرجع الى أهل التواريخ من أهل الملل فيقال لهم كان في الأعصار الماضية مشرك صار اماما خليفة لله لا سيما وقد سبقت دعوة ابراهيم الخليل (ع•م) بقوله : « واجنبني وبني أن نعبد الأصنام (٣) » ولقول الله تعالى في قصة ابراهيم أيضا : « اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (٤) » فنرجع بالسؤال الى الله تعالى عن هذا الظلم خاصة اذ الظلم ينقسم على وجوه كثيرة فنجد الجواب في محكم كتابه مسطورا بقوله سبحانه « ان الشرك لظلم عظيم (٥) » وقوله تعالى ذكره : « أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون • الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (٦) » أراد ولم يلبسوا ايمانهم بشرك وبالاجماع ان أبا بكر كان مشركا قبل

---

(١) سورة هود : اية ١٧ .
(٢) سورة النور : اية ٥٥ .
(٣) سورة ابراهيم : اية ٣٥ .
(٤) سورة البقرة : اية ١٢٤ .
(٥) سورة لقمان : اية ١٣ .
(٦) سورة الانعام : اية ٨١ .

الاسلام ، وقد سبق حكم الله سبحانه بأن عهده لا يناله الظالمين ، وكيف يستخلف من لا يناله عهده ؟ ومن ذلك ان أبا بكر خارج من الايمان لقول الله تعالى في نزول السكينة على المؤمنين لما كانوا مع رسول الله (ص) فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وعدولها عن أبي بكر لما كان معه في الغار بقوله تعالى : « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه ولا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها (١) » وما يجوز أن تنزل السكينة في حكم الشرع والعقل على أبي بكر دون النبي (ص) والمدعي لذلك واضح البهتان ، ومما يدل على صحة ما جاء في كتاب الله تعالى قول النبي (ص) : فاطمة بضعة مني فمن أذاها فقد أذاني • فسل ذوي العقول المنصفين هل تأذت فاطمة بلسبه اياها فدكا ؟ فلا يمكن الانكار مع ترك الهوى واتباع العصبية ، واطراح حمية الجاهلية ، وقال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٢) » •

الباب السابع : فان قال قائل : فحيث كان علي بن أبي طالب أشجع الأمة فلم قعد عن طلب حقه ، ولم عاهد عليه ؟ الجواب : قلنا لم أمهل الله ابليس حتى عصاه واتبعه أكثر خلقه ، الا لوجوب التخيير في الطاعة ليستحق الثواب والعقاب ، ولم قعد نوح وغيره من الأنبياء عليهم السلام عن جهاد من لا طاقة لهم به مثل قول نوح فدعى ربه اني مغلوب فانتصر ، وقول لوط (ع•م) لو أن لي بكم قوة أو أوى الى ركن شديد • وقول

---

(١) سورة التوبة : اية ٤٠ .
(٢) سورة الاحزاب : اية ٥٧ .

موسى : ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين • وقول هارون : وقال يا بن أم ان القوم استضعفوني ، وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين • فاذا كان الانبياء عليهم السلام مع عظم قوتهم ومواد‌هم اضطروا الى ذلك ، فالوصي عليه السلام اعذر ، وله بهم أسوة ، ان الجهاد واجب عند الارتداد عن الشهادتين ، وظواهر المتعبدات الشرعية ، لقول الله سبحانه : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي (١) » وان الاجبار لا يوجب ثوابا ولا عقابا ، وانما جعلت هذه الامتحانات والفتن التي لم تحسم في أصل الخلقة ، وامهال الأبالسة ليضلوا ويفتنوا ، ويصدوا عن سبيل الله اختبارا للأمة وبلوى (٢) •

الباب الثامن : فان قال قائل : فلم لا يجوز أن يكون في عصر واحد امامان أو أكثر لبعد أقطار الارض ؟

الجواب : قلنا ان الامامة فرع النبوة ، والنبوة دلالة على التوحيد ، فلن يجوز ذلك لوجوه كثيرة ، منها ما قدمناه من الدلالة على التوحيد ، ومنها وجوب التفاوت بين العالم ، فيكون الافضل منهم أولى بالأمر من صاحبه ، ومنها أنه لو جاز أن يكون ذلك في عصر واحد لكان يجب على كل منهم أن يطيع نظيره ، ويصدقه ويصوب رأيه ، وينصره ولا يقعد عن مساعدته على جهاد عدوه ، ويعلم أنه من قبل صاحبه محق في قوله ودعوته ، وهذا محال لا يجوز أن يتماثلا في الطاعة ، وما نرى في المشاهدة من

---

(١) سور ةالبقرة : اية ٢٥٦ .

(٢) يبدو ان المؤلف قد برر موقف الامام علي بن ابي طالب من اولئك الذين اغتصبوا حقه زاعما ان الجهاد والمشاحنة لا يجوز بين رفاق الدين ، خاصة من كان بمكانة الامام ووضعه من الرسول .

ينتحل هذه الدرجة من الطالبيين والعباسيين والأمويين ، الا وكل منهم يرى جهاد الباقين دينا ، ولا يشك ان المحق منهم واحد ، ويجب علينا أن نطالبه ونتبعه ، ولا نعدل عن طاعته ، فنحرم السعادة الدائمة في الدار الآخرة ، بما نبينه من قول الله تعالى وهو أصدق القائلين : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (١) » قيل لبعضهم ما الدليل على أن الله واحد ؟ قال : لأنه لا خيرة في كثرة الرؤساء في الدنيا ، ولأن المولود برأسين بدعة ٠

الباب التاسع : فان قال قائل : فلم لا يجوز أن تنتقل الامامة عن بني علي (ع٠م) الى غيرهم ؟

الجواب : قلنا لما سبق به وعد الله بقوله تعالى : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون (٢) » وقول النبي (ص) : خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي من أهل بيتي ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، وقد سألت ربي حتى يردا علي الحوض غدا كهاتين ، وأشار بالمسبحة من يديه جميعا ، وقرنهما، وقال أقول كهاتين ، وأشار بالمسبحة والوسطى ، لأن لا تسبق احداهما الأخرى ، ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل ، ووليهما لي ولي ، وعدوهما لي عدو ٠ وقوله : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى ٠ ولقوله سبحانه : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (٣) » والذكر هو رسول الله (ص) لقوله سبحانه : « قد أنزل الله اليكم ذكرا ٠ رسولا (٤) » ولقول النبي صلى

---

(١) سورة الانبياء : اية ٢٢ .
(٢) سورة الزخرف : اية ٢٨ .
(٣) سورة النحل : اية ٤٣ .
(٤) سورة الطلاق : اية ١٠ ، ١١ .

الله عليه وآله : الحسن والحسين ولداي هذان امامان قاما أو قعدا • أراد بذلك تمكنا من الخلافة أو غلبا أو اغتصبا • وقوله: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي ، فانه باق ، ما دامت السموات والارض • وسؤال ابراهيم عليه السلام ربه بقوله : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين (١) » ولسان القوم في لغة العرب متقدمهم ، والمترجم عنهم ، أراد به لا تقطع دعوتي من خليفة من أمتي يقوم فيهم مقامي ، فأجابه الله بقوله : « وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا • ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلناهم لسان صدق عليا (٢) » •

الباب العاشر : فان قال قائل : ان هذه الآة عن غير نبينا وعصرنا بل هو من جملة الباب المتقدم ؟

الجواب : قلنا له : سيرة الله تعالى في حقائق متعبداته واحدة، وان اختلفت ظواهرها ، والامامة من الأصول التي لا تتغير كالنبوة والتوحيد لا من الفروع كالصلاة والصيام وأمثالهما ، يصدقه قول الله تعالى لنبيه محمد (ص) : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك (٣) » وقوله : « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٤) » وقوله : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا(٥) » وقوله (ص): ولتسلكن سبيل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه • فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) سورة الشعراء: اية ٨٤ .
(٢) سورة مريم : اية ٤٩ ، ٥٠ .
(٣) صورة فصلت : اية ٤٣ .
(٤) سورة الفتح : اية ٢٣ .
(٥) سورة الاسراء : اية ٧٧ .

نص على ولده الحسن ونص على أخيه الحسين عليهما السلام اتباعا لأوامر الله سبحانه وتصديقا لقول جدهما محمد (ص)، ولم يجعلها في عقب الحسن مع علمه بجلالة قدرها، وشرف أمرها، وجرت من بعده في عقب الحسين، كما وعد الله عز وجل، ونطق به الرسول، قال الله عز وجل: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله (١)».

الباب الحادي عشر: فان قال قائل: فان انتقل امامكم ولم يعقب، وذلك في الممكن؟

الجواب: قلنا: كلا أن يكذب القرآن، ويبطل قول النبي (ص) لما علمناه بالدلائل الواضحة، والبراهين اللائحة، من صدق وحقيقة نبوته، ومعنى فضله، فاذا حتم بأمر ممكن غير ممتنع لم نشك في كونه ووجوبه، لأن الشك لا يقطع في اليقين، وهذا شيء قد اعتقدناه، وتمسكناه، وتحققناه، لأن الامامة جارية في العقب يرثها خلف عن سلف الى يوم القيامة، لا يجسر على دعوى مثل ذلك أحد من المذاهب والملل، ولا أدري أيضا ان من أئمة الكفر من يرثها ولو عن والد الى عاشر أب أو خمسة، وها نحن في زمن الامام السادس عشر من الأئمة ولد عن والد مولانا الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله ابن المنصور بنصر الله بن القائم بأمر الله بن المهدي بالله بن الأئمة الثلاثة المستورين من أعداء الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأئمة المهديين صلى الله عليهم أجمعين، أمراء المؤمنين.

وقد نطق مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بتصديق ما

---

(١) سورة الانفال: اية ٧٥.

ذكرناه في أول خطبة خطبها على منبر في القاهرة المعزية يرثي أباه مولانا العزيز بالله في سنة ثلاثمائة وستة وثمانون للهجرة فقال : أيها الناس ان الله قد فضلنا بكلمة الامامة فخلدها فينا باقية الى يوم القيامة ، يتناولها واحد من واحد ، ويرثها ولد عن والد ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم • قال مولانا المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلم في خطبة خطبها يوم عيد الفطر بالقاهرة المحروسة بما يدل أيضا على ما ذكرناه : أيها الناس ان الله اصطفى رسولا وأئمة وفضلهم وانتخبهم وارتضاهم هداة لبريته أنزل عليهم وحيه ، وأنطقهم بحكمته ، أمثال النجوم الزاهرة اذا أفل أحدهم أنار آخرهم ، مضيء مشرق متسق ، رحمته لمن اهتدى ، وآثر الآخرة على الأولى ، ونقمة على من كذب وتولى ، وآثر الحياة الدنيا ، ومن مرق عن سبيل الهدى لا يقبل الله عمل عامل ، ولا قربان متقرب ، ولا توجه متوجه ، ولا جهاد مجاهد الا بقصدهم ، والتسليم لأمرهم ، والاقرار لفضلهم ، وامامتهم ، والاذعان بالطاعة لهم ، والاقتداء بهديهم ، وابتغاء الرحمة بهم من جهتهم صلوات الله عليهم أجمعين • بصدق قوله سبحانه : « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١) » • وقوله : « ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (٢) » والأئمة عليهم السلام ، والرسل صلوات الله عليهم أسماء الله الحسنى ، وذكره وأيامه ، وآياته ، وبيوته ، ونعمه ، ولا نعمة في الدنيا أجل من نعمة الدين بهم ،

---

(١) سورة طه : اية ١٢٤ .
(٢) سورة الجن : اية ١٧ .

أنعم الله علينا المودة المؤدية بنا الى رضوان رب العالمين • قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب (١) » •

الباب الثاني عشر : فان قال قائل : فان انتقل الامام وخلف جنينا أو طفلا مولودا كيف يجوز الاقتداء به ، والمبايعة له ، وهو لا يعقل شيئا من أمره ، والصلاة لا تجوز في ظاهر الشريعة خلف من لم يبلغ الحلم ، ولا تؤكل ذبيحته ، ولا ثمرة لأعماله ، ومتعبداته ، اذ هو غير مكلف شرعا ؟

الجواب : قلنا قد سبق القول في مثل ذلك ردا على من أنكر اسلام علي صبيا ، وأوردنا في فضل أهل البيت ما شهد به النبي (ص) بقوله : الا أن الأبرار من عترتي ، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغارا ، وأعلمهم كبارا • الخبر المتقدم ذكره ، وقول الله تعالى في يحيى : « وآتيناه الحكم » • وقد روي عن النبي سليمان بن داؤد أنه حكم بين الناس وهو ابن سبع سنين ، والحكم درجة تفضل على تكليف الشرع ، وتستحق بعد الكمال له • وقد روي أن صبيا كان عمره سبع سنين أم بجماعة في زمن الرسول بأمره • وأما الجنين والطفل الصغير فقد قال الله سبحانه في محكم كتابه : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (٢) » فخيرهم هذا الوارث الامامة وعلم النبوة ، وله من الجاري قسطه ، فيشرف به على من تقدمه ، والمثل هو الكفيل المستودع للطفل ، والجني المستحق الامامة المستودع علوم من سلف ليستمد أهل الجزائر بها ، أما أن يبلغ الصبا

---

(١) سورة مريم : اية ١١ .
(٢) سورة البقرة : اية ١٠٦ .

صاحبها فيستلم حقه، ويتصرف فيه بحكمه، ولا قسط للمستودع من الحكمة فيثمر ما يبديه ، ألا ترى أن المتوفي وله ولد جنين لا يتحكم في تركته حتى يظهر الجنين ، ويودع قسطه ، حينئذ الى أن يكبر ويبلغ فيتسلمه ، مثال ذلك ان وديعة عند يديه عند عدل من العدول لا يمكنه التصرف والتجارة بها ، ولا يثمر في يديه ، وقد سبق المثل على أفواه الناس في أدعيتهم بقولهم : جعل الله هذه النعمة مستقرة ، ولا جعلها مستودعة ، أي ثابتة غير منقفلة منك الى غيرك (١) ٠

الباب الثالث عشر : فان قال قائل : فكما احتججت ها هنا بالفقه المولود ووراثته يلزمك خروج الامامة عن محمد بن اسماعيل الى غيره من عمومه اذ الأخبار مشهورة مأثورة بوفاة اسماعيل في حياة أبيه ، والولد بالميراث أحق من ولد الولد ، ومن قرب حجب من بعد ٠

الجواب : أما دعواك أنه توفي في حياة أبيه انه لا يلزم ، ولا يثبت بالدعوى حجة دون البينة الواضحة ، بأن الثقاة قد شاهدوا وجه اسماعيل ، وقت غيب في الثرى ، وهذا محال غير ممكن وللامام عليه السلام أن يستر حجته جهده واستطاعته من عدوه ، ومن يخاف عليه سطوته اذ هو أعلم من جميع الناس بمصالح الأمور ، وأقول ان الصادق جعفر بن محمد (ص) أظهر وفاة اسماعيل ولده في حياته سترا عليه ، ولو لم يكن كذلك لما كان

---

(١) يجوز عند جماعة اهل الحق شرعا وعقلا ان يتسلم الامامة المنصوص عليه بعد وفاة والده حتى وان لم يبلغ سن الرشد ، ولكن في بعض الظروف والحالات الصعبة تكون الامامة مستودعة لدى احد اقاربه ، ولا يجوز لهذا المستودع ان يورثها لاحد من ابنائه ، بل يردها الى صاحبها متى بلغ سن الرشد ، او تجاوز السبع سنوات من عمره ٠

أظهر الجلوس للعزاء فيه للواردين عليه ليشهدوا على وفاة ولده اسماعيل ، يعرف ذلك من نقل الأخبار الصحيحة عن تلامذته •

وأقول أيضا : لو توفي في حياة أبيه كما زعمت لكانت الامامة أيضا واجبة له ولولده من بعده ، اذ الامامة تنتقل من زيد الى عمر بأمر الله تعالى ، كما قدمنا وصفه ، بتسليمها لولد من والد يتناولها الواحد بعد الواحد ، والمال الطبيعي ، ومتاع الدنيا ينقسم على بقية الورثة ، وله فيها قسم • ألا ترى ان رجلا كتب في حياته شيئا من أملاكه وقفا على أحد أولاده ، وعلى ولد ولده ما تناسلوا وتوفي الولد الموقف عليه في حياة أبيه، وخلف ولدا كان الموقف لولده دون الاخوة وغيرهم ، فلما نص الصادق (ص) في حياته بأمر الله عز وجل على ولده اسماعيل وعرف به دعاته وأبوابه ، وانتقل بقولهم في حياة أبيه ، وخلف ولده محمدا كانت الامامة له به وفيه على ما تقدم من شرائط الامام والامامة (١) •

الباب الرابع عشر : فان قال قائل : فكما جاز أن يستتر امامكم خوفا وتقية هكذا أيضا امامنا مستور مثل ذلك ؟ الجواب: قلنا له انأئمتنا لما استتروا منأعدائهم ظهروا لدعاتهم وأوليائهم دعاة ذلك الزمان ، ورسائل أئمتنا المستورين عليهم السلام بأيدينا موجودة لدينا ، ومن ملوك الأقطار من دان لهم ، وأجاب

(١) يقول صاحب عيون الاخبار في السبع الرابع : وحين انتهى الى ابي جعفر العباسي تسليم الامام الصادق الامر الى ولده اسماعيل ، وما اختصه من التعظيم والتبجيل ، خاف ان يستميل الناس عنه ، فبعث الى الصادق وسأله ان يكون اسماعيل مقيما عنده ... ولم يجبه الصادق .. وستر ولده اسماعيل فأقام في منزله مستترا حولا كاملا واربعة اشهر . عيون الاخبار ج ٤ ص ٣٣٤ تأليف ادريس عماد الدين.

دعوتهم ، فهل أئمتكم يظهرون لأوليائهم أو فيكم دعاة لهم يدعون الوصول اليهم ؟

الباب الخامس عشر : فان قال قائل : فلم حيث أمكنت القدرة، وساعد الزمان لم يجهر على المنابر بأسماء أئمة الحق وألقابهم ؟

الجواب : اعلم ان أجل أغراض أئمة موالينا هداية ضال لا لتكبير حال ، واكتساب جمال ، واستزادة مال ، اذ لا قدر للدنيا وما فيها عندهم لجلال ما أعد لهم ، وقد كان أئمة الستر يغيرون أسماءهم بكل بلدة عند من يظهرون له ومن العماية يستنقذونه ، ويتظاهرون بأصناف المعائش والصناع ، ولقن كل داع ما عرفه من ذلك المستجيب ، وتمسك به الخلف من السلف ، فلعلم الأئمة بما في ذلك من الاختلاف بين المستجيبين ، رأوا الامساك عن التصريح بها الى حين أوان ذلك أصلح للمعتقدات ، حتى لا ينعكس مستضعف ، ويشك فيما سمع وعرف ، وليس ذلك مما يثلم الأديان ، ولو كان بمعرفة الأسماء تتم المذاهب لما جاز مناكحة الخرس من المسلمين ، وهو جائز .

الباب السادس عشر : فان قال قائل : اذا انتقل الامام ، وخلف أولادا عدة ، وخفي المنصوص عليه منهم وادعى كل منهم مقامه ، وبث الدعاة في الارض ، واتخذ دار هجرة لنفسه ، وذكر أنه المنصوص عليه دون غيره ، فكيف يعرف المحق من المبطل ؟

الجواب : قلنا وبالله التوفيق والذي نورده حجة مطردة في زماننا هذا وكل زمان على كل خصم يدفع الامامة ويزويها عن مستقرها ، وذلك ان النبي (ص) نطق بقرآن ، وشرع شريعة ، وبنى ظواهر المتعبدات الشرعية على حقائق علوم عقلية ،

وسماها التأويل ، وجعلها مدفونة في ظاهر التنزيل ، وأعني بالحقائق ، والتأويل البيان للمتعبدات الشرعيات ، ومعاني الأمثال المرموزات الخفيات ، وهي العلوم الخطيرة السنية ، وبعلمها تنال الدرجات الشريفة العلية ، في الدارين العاجلة والآخرة الآجلة الأبدية ، وهكذا يفعل للبيت العالم بماله وجواهر اذا خشي عليها من السراق سترها بما هو دونها ، وجعل (ص) علم ذلك بيد من أقامه بعده واسترعاه أمته ، وسلم اليه مفاتيح رموزه وحكمته ، ليصل الى الحق من جهته ، ويجب عليهم طاعته كما أمر به ربه ، وكذلك فعل كل منهم مع ولي عهده والحجة على الخلق من بعده ، بعد أن يختار الله تعالى لذلك ، ويعرفه به فانه أحق بها من جميع اخوته ، وغيرهم ، وهذا هو الجواب ومعه شرائط أخر منها أنه لا يكون عقيما لما سبق به الوصف مضافا الى ما قدمت ذكره من الفضيلة في العلم ، ومنها أن يكون أشجع الأمة قلبا ، لأن الجهاد معه فريضة ، فمن كان من أتباعه أشجع منه لم يخل أمره من أحد قسمين مذمومين وهما ان انهزم بهزيمة فقد خالف الله سبحانه لقوله : « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب الله (١) » الآية . وان ثبت بعده خالف امامه ، وترك متابعته ، وأضر في دعوته ، والله تعالى أعدل في حكمه وقضائه لا مكلفا شططا ، ومنها أن يكون أسخى الأمة اذ لا قدر للدنيا عنده بأسرها حسب ما حقرها النبي بقوله : لو كان للدنيا عند الله خطر ما سقى الكافر منها شربة ماء . والسخاء بالشيء دال على الزهد فيه ، والاحتقار بقيمته ، وهذه الفضائل كلها في

---

(١) سورة الانفال : اية ١٦ .

النسب ، والعلم ، والشجاعة ، والسخاء ، كاملة في مولانا وسيدنا وامام عصرنا وزماننا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الصفوة المنتجبين ، فلن يقدر مدع على أن يغصب الإمامة ويزيلها عن مقرها ، وان هو تغلب على ملكها ، وادعى اسمها ، فان العاقبة للحق وللامام لو كان ظاهرا موجودا ، أم خفيا معدوما ، فطاعته مفترضة على سائر الخلق ، لأن مواد الامامة ونصرتها من عالم لا يقع تحت الفساد ، والملك الطبيعي تأثير فلكي بقدرة الله وقضائه امتحانا للخلق وبلوى ،فاستدركوا معشر السامعين الفائت ، وسارعوا الى الطاعة لأئمة دينكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ، ولا خلال يوم لا ينفع نفسا ايمانها ان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ، واتعظوا بقول الله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب • اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب • وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات وما هم بخارجين من النار » لا يقبل الله صلاتهم ، ولا صيامهم ، ولا حجهم ، ولا زكاتهم ، ولا جهادهم ، ولا ينفعهم شيء من أعمالهم ، وهم مخالفون لامام زمانهم • جعلنا الله واياكم من الناجين بطاعته ، الفائزين برحمته ، والحمد لله على ما هدانا من اتباع خيرته من خلقه محمد الرسول وعترته الأئمة من ذريته ، وسلم عليهم تسليما كثيرا ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير •

هذه الرسالة في الامامة كما يفهم من نصها وفحواها أملاها الداعي أبو الفوارس أحمد بن يعقوب داعي الجزيرة العراقية والشام في عهد الامام الحاكم بأمر الله الفاطمي ولد حوالي سنة ٣٦٠ هجرية في مدينة طرابلس الشام ، ثم تلقى علومه الحقانية في مدارس الدعوة في القاهرة ، وقتل في بغداد سنة ٤١٣ هجرية، على يد الخليفة العباسي بعد أن أجريت له محاكمة صورية اتهم على أثرها بالزندقة والالحاد والخروج على قواعد الدين الاسلامي الحنيف •

يستدل أنه كان على علاقة متينة بالقرامطة ، ويقال بأنه كان من كبار الدعاة المهتمين بشؤون الحركة القرمطية ، التي أمدها بعلومه ومعارفه وأفكاره العقلانية ، كان غزير الانتاج له مؤلفات عديدة فقدت بعد مصرعه ، ويقال أنها أحرقت في المنزل الذي وجد فيه •

ومن كتبه التي عثرنا عليها مؤخرا :

١ ــ كتاب بيت الدعوة الحقانية •

٢ ــ رسالة في الامامة •

وقد أشار المستشرق ايفانوف الى هذه الرسالة في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٤٧ • ثم وجدناها ضمن كتاب مجموعة التربية المجلد الاول ورقة ١٦٧ •

قائم القيامة المنتظر :

فكرة قائم القيامة أو المهدي المنتظر اعتقاد رافق أغلب الديانات والمذاهب التي ظهرت في الشرق ، وبشر بظهوره

---

(١) سورة البقرة : اية ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ •

الأنبياء والرسل والحكماء ، وخاصة أنبياء بني اسرائيل الذين ذهبوا الى أن الله سبحانه وتعالى سوف يرسل منقذ لتخليص أبناء البشرية مما يعانونه من ويلات وظلم وتعسف ، ولا زال العديد من الناس ينتظرون هذا المخلص الذي سيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما ، ويخلص البشر من كافة المساوىء والخطايا التي ارتكبوها في عالم الكون والفساد (١) .

ومن الملاحظ أن اليهود كغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب ينتظرون ظهور هذا المخلص ، كما لا يزال كثير من المسيحيين يعتقدون بعودة المسيح لانقاذ العالم من ظلم الانسان وفتكه بأخيه الانسان ، وخاصة مسيحيو الأحباش الذين ينتظرون عودة مليكهم (تيودور) كمهدي يظهر في آخر الزمان ، أي عندما يأمر الباري سبحانه وتعالى بقيام الساعة ، وفي المذاهب والآراء الدينية الغير سماوية أفكار وعقائد لا تختلف عن العقيدة الاسلامية المتعلقة بقائم القيامة ، اذ يرى المغول على سبيل المثال أن زعيمهم جنكيزخان قد وعد قبل موته بعودته الى الدنيا لتخليص أتباعه من العسف الصيني ، ويشتم من خلال الأساطير الفارسية ان المجوس ينتظرون « أشيدر بابي » أحد أعقاب زرادشت ، وفي المعتقدات الفرعونية القديمة وفي مصنفات الصينيين ، وفي عقائد الهنود المتصلة بتناسخ براهما منطلقات مماثلة ، ويبدو ان عقيدة انتظار منقذ وعودته الى العالم الأرضي ليخلص البشرية مما تعانيه قد تجاوزت ديانات ومذاهب أهل الشرق الى أهالي شبه جزيرة اسكاندناوة وبين سكان

(١) السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات : فان فلوتن ص ١٠٧ .

المكسيك ، ذلك ما أكـده فولتير حيث يقـول : يرى الهنـود والصينيون أن المسيح سيخرج مـن المغرب ، على حين يـرى الغربيون أنه سيخرج من المشرق (١) .

ويعتقد المستشرق جولدتسهير أن اليهود يرون أن النبـي ايليا قد رفع الى السماء وأنه لا بد أن يعود الى الارض في آخر الزمان لاقامة دعائم الحق والعدل ، وأن « ايليا » هو الانموذج الذي يجسد عقائد الغيبة عند بعض الفرق، والمذاهب الاسلامية، الذين يعتقدون بغيبة الامام وأنه حي لا يشاهده أحد ، وسيعود يوما الى هذا العالم كمهدي وكمخلص لأبناء البشرية (٢) .

وفي رأي المستشرق فان فلوتن ان عقيـدة المهدي المنتظر الاسلامية ليست سوى نوعا من التنبوء بأحداث ستقـع في هـذا العالم ، والتكهن بالأحداث المستقبلة المأخوذة من الاسرائيليات التي نشرها بين المسلمين « وهب بن منبه ، وكعب الأحبار » ومن المؤكد أن فكرة المخلص أو المنقذ ليست وقفا على الأفكار المنطلقة من قبل عناصر أو أشخاص لهم صلة باليهودية ، انما جاءت تلك العقيدة نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تخضع لها البيئة الاسلامية ، وخاصـة المذاهب والفرق الدينية التي تخالف آراء الخلفاء ، والحكام ، والأمراء،الذين كانوا لا يهتمون بمصالح الجماعات والشعوب التي كانوا يحكمونها ، مفضلين عليها الجري خلف مصالحهم الشخصية وشهواتهم الجسدية ، مما أدى الى انتشار الفوضى والبلبلة والاضطرابات ، حيث تناقضت في العالم الاسلامي حياة المسلمين العامة أشد التناقض ، وسادت

---

(١) السيادة العربية : فان فلوتن ص ١٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ١١٤ .

النعرات العصبية ، والدينية ، والترف ، والشهوات الجامحة ، والفساد ، والظلم ، والتعسف ، وتسارع الناس الى المال والجاه والمجون (١) .

وعمت الضائقة الاقتصادية ، البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وساء نظام الحكم ، وكثرت الفتن، والقلاقل العنصرية والدينية، وأزهقت آلاف الأرواح البريئة على مذبح الثورات المذهبية ، وتصارع التيارات الفكرية والعقلانية في أتون الأفكار اليونانية، والهندية ، والفارسية (٢) .

ويبدو أن العباسيين الذين اتخذوا من قرابتهم للنبي (ص) أفتك سلاح في انتزاع الخلافة والزعامة والقيادة الاسلامية من الأمويين ، وقد استأثروا بالسلطان والخلافة دون اخوتهم في الصراع والنضال ، وسندهم في استخلاص الخلافة ـ الهاشميون ـ الأقرب منهم نسبا ، وأحقية في تولي الخلافة ، بل ما أن قوي ساعدهم ، وتركزت أقدامهم ، واستأصلوا شأفة الأمويين ، حتى التفتوا الى الهاشميين فرموهم بنعوت الانحراف ، وصفات التآمر ، وتتبعوهم بالقتل والتنكيل والتشريد والابادة ، فأمعنوا من جانبهم بالتقية والستر ، والابتعاد عن المجالات العامة والخاصة في مجتمعاتهم الاسلامية ، وعاشوا مشردين مقهورين يتنقلون في الخفاء من بلد الى بلد ، ومن صقع الى صقع (٣) .

ولكننا نلمس من ناحية ثانية أن خلفاء بني العباس ، الذين منحتهم الدنيا كأس غرورها ، يتنكرون بكل قحة الى عروبتهم ،

---

(١) العقيدة والشريعة : جولدتسهير ص ١٩٤ .
(٢) اخوان الصفاء : الدكتور مصطفى غالب ص ٧ .
(٣) الحركات الباطنية في الاسلام : الدكتور مصطفى غالب ص ٣٧ .

كما تنكروا لآل البيت ، فأبعدوا العناصر العربية المؤمنة عن البلاط ، وما يرتبط به من مناصب ومراتب ، واستعاضوا عنها بالعناصر الشعوبية التي لا تمت اليهم بأية صلة ، أو قرابة جنسية أو عرقية ، فاستبد هؤلاء بكافة مرافق الدولة ومؤسسات الخلافة ، وتلاعبوا بمصير الخلفاء ، فتجزأت رقعة الخلافة ، وأقيمت في قلبها عدة دويلات وامارات ، وزعامات ، تنهد الى العب بشغف من شهوات الدنيا وما فيها من اغراءات مادية ومعنوية ٠

وسرعان ما تحول الخليفة العباسي الى كرة تتقاذفها الجند ، والجواري ، والغلمان ، وتتصارع في ساحاتها الواسعة الطوائف، والمذاهب ، والأديان ٠ كل هذه العوامل والاسباب تضافرت وتكوكبت ، فكان لها الأثر الفعال في تكوين فكرة الاعتقاد أن ليس ثمة من يقدر على صلاح الأمة الاسلامية وقد بلغت ما بلغته من تردي وانهيار الا على يد أحد الأئمة من آل البيت ، لأن الخلفاء الذين تسلموا الهداية ، والقيادة بعد وفاة النبي أصبحوا في حالة من التدهور والفساد ، لا تمكنهم من تلبية رغبات الأتقياء ، وتحقيق ما يتفاعل في أعماقهم من المثل العليا التي ينهدون اليها ، ويدأبون على اتباعها ، وتجلت لهم هذه الأحاسيس والانفعالات في الصورة الصحيحة الواضحة التي رسموها للدين ، والعدالة الاجتماعية ، ولما كان المؤمن التقي الزاهد يحرص على وحدة الصف الاسلامي ويؤثر المصلحة العامة ، يعزف بدافعه الديني عن شق عصا الطاعة ، ويفضل أن يتحمل المظالم القائمة معتبرا أنها ليست سوى امتحان من الله ، لا بد من الصبر ، وقبول ما يقدره الباري سبحانه وتعالى ،

بانتظار ظهور القائم المنتظر الذي وعدهم الله به (١) ٠

ويرى جولدتسهير الذي تعرض لعقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة ، أن الشيعة كانوا يرون أن ما أذن به الله أن يكون لا يمكن أن يعترض عليه انسان ، ولذا فليس بمقدور الانسان العاجز بالنسبة للقدرة الفائقة التي يتصف بها الله سبحانه وتعالى ، الا أن يضع ثقته ورجاءه في الخالق ، تلك هي الآمال الصامتة التي انطلقت منها فكرة المهدي التي وفقت بين الواقع والمثل الأعلى ، وبدأ على أثرها الاعتقاد الراسخ في ظهور حاكم الهي يوجهه الله توجيها فاضلا ، وليس انتشار هذه العقيدة كما يلاحظ جولدتسهير عند الشيعة بصورة خاصة ، سوى أمرا ينسجم مع معتقداتهم ، وأن الاسلام في ثورته الشيعية هو وحده البيئة الملائمة التي يجب أن تنمو بها بذور الأماني المهدية ، ذلك أن حركة التشيع منذ بدايتها احتجاج واستنكار لمناهضة الخلفاء للحق الالهي مناهضة عنيفة وابطالهم اياه بالقهر والاغتصاب الذي أصبحت الأسرة العلوية ضحية له مع أنها وحدها جديرة بالخلافة والهداية (٢) ٠

ومن المؤكد أن هذه العقيدة قد نمت وترعرعت عند الشيعة واشتد ساعدها حتى صارت منطلقا رئيسيا ، أو بالأحرى ركنا أساسيا في مجموعة العقائد الشيعية ، وليس أظلم وأتفه من أولئك الذين يردون القول بالمهدي المنتظر الى أصول يهودية مثل

---

(١) العقيدة والشريعة : جولدتسهير ص ١٧٤ ٠
(٢) المصدر نفسه ص ١٩٦ ٠

أحمد أمين وغيره من الكتاب (١) المتعصبين الحاقدين ، الذين ابتلاهم الله بالعقد اليهودية ، وليس المهدي سوى المنقذ الذي يقود الناس الى الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، مؤيدا بتأييد الله سبحانه وتعالى ، ولفظ المهدي كان يطلق على الأئمة من آل البيت للدلالة على طيب عنصرهم وعلو شرفهم ، وهو المعنى الذي قصده الامام جعفر الصادق عليه السلام حين سئل : أأنت المهدي من آل البيت ؟ فقال : كلنا مهديون أو نهدي الى الحق ، وأصدق تعبير عن صفة المهدي قول الامام علي حين وصف آل البيت : انا أهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، معنا راية الحق من يتبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق (٢) .

ومما لا شك فيه أن لفظ المهدي لم يكن جديدا في البيئة الاسلامية ، حيث نلاحظ أنه أطلق على بعض الأفراد وجلهم من آل بيت الرسول (ص) لما لهم من المكانة السامية ، والشرف الكبير من الله ، ولما كان لهؤلاء الأئمة الذين لقبوا بالمهدي من دور هام في السياسة وفي الدين ، وقد انطوى اللفظ على أنهم يحكمون بحكم الله وهديه لهم ، لذلك وجب أن يكون الامام قائم القيامة لطفا من الله ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، يتمتع بالهداية والانقاذ ليخلص العالم من الآثام .

ويمكننا في ضوء الأحاديث التي أخرجها الترمذي وابن داود

---

(١) ضحى الاسلام : احمد امين جـ ٣ ص ٢٣٥ .
(٢) دائرة معارف الاسلام : جـ ٣ ص ١١٢ . السيادة العربية : فان فلوتن ص ٧٨ .

والحاكم وابن ماجة ، وهي أحاديث مسندة الى الامام علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأم سلمة أن نؤكد أن فكرة المنقذ أو المخلص المهدي قد شاعت لدى المسلمين عامة ، وخاصة أهل السنة ، وان لم يتقرر كأصل من أصول العقيدة كما هو الحال لدى الشيعة (١) ٠

ففي صحيح الترمذي حديث للرسول يقول : لو لم يبق من الدنيا الا يوم ، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه أبي ٠ وفي حديث آخر للترمذي : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي ٠ وفي أحاديث أبي داود : لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا ٠ وفي أحاديثه أيضا أن النبي نظر الى الحسن بن علي فقال : ان ابني هذا سيد ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلا ٠ وفي مسند أحمد بن حنبل : لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي ٠

ومن الملاحظ أن ابن تيمية يؤكد هذا الحديث الذي رواه ابن عمر ويقر بصحته : يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وذلك هو المهدي ٠ وقول النبي (ص) : المهدي من عترتي من

---

(١) المقدمة : ابن خلدون ص ٢٢٦ ٠

ولد فاطمة . كما يرى ابن تيمية أن أحاديث المهدي صحيحة مستندا الى مسند أحمد وصحيح الترمذي وابن داود .

واذا تطلعنا الى المقدمة التي عقدها يوسف بن يحيى الدمشقي لكتابه « عقد الدرر في أخبار المنتظر » لمسنا مدى نقمة علماء السنة وفقهائهم على الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في عصره ، الأمر الذي دعاهم الى تبني فكرة المهدي المنتظر الذي يأملون بأنه الوحيد الذي باستطاعته أن ينقذهم مما هم عليه ، فهو يصف تلك الأوضاع بقوله : قل الموافي من الناس ، وكثر الخوان ، وارتفعت الاسعار ، وقلت البركات ، وتوالت الأكدار ، وكثرت الآفات ، واكفهرت ثغور الأيام ، وتقلصت سوابغ النعم ، وتظاهر بالمنكرات البر والفاجر ، وظهر الفساد في البر والبحر ، وكثرت الشحناء بين الأقارب والاجانب ، ودارت رحى الحرب الزبون من كل جانب ، وعمت الأنام الحيرة والذلة ، وزاد عدوان المارقين ، وانتشر شرهم ، وعيل صبر المتقين ، وانقطعت السبل ، وفسدت المسالك ، وترادفت الفتن ، وكثرت المهالك ، وقلنا كيف السبيل الى الخلاص ولات حين مناص ، فزعم بعضهم أن نار الحرب لا تزداد الا ضراما واستعارا ، ولا يزداد الأمر الا شدة والدنيا الا ادبارا ، وتشبثوا بأحاديث في هذا المعنى ، فقلنا نحن نسلم بصحة هذه الأحاديث ونتلقاها بالسمع والطاعة (١) لكن ليس فيها ما يدل على استمرار هذا الأمر الى أن تقوم الساعة ، ولعل زواله يكون عند ظهور المهدي وقيامه ، منوط بظهور سره المبين ، فقد بشرت بظهوره أحاديث جمة

(١) عقد الدرر في اخبار المنتظر : يوسف بن يحيى الدمشقي مخطوط رقم ٥٨٢٦ .

دونها في كتبهم علماء هذه الأمة .

ومن هنا يتبين لنا أن اعتقاد أهل السنة في ظهور المهدي ليس متأثرا بما يراه الشيعة انما كان استنادا لما ورد في الأحاديث المروية حول هذا الموضوع ، ونتيجة للأحوال والظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تمر بها الأمة الاسلامية بكاملها ، ولا يؤمل في صلاحها واعادة الأمة الى جادة الصواب ، الا بظهور الحاكم العادل ، والمهدي المنتظر الذي يقود الأمة الى المثالية والكمال ، محافظا على العقيدة التي (١) هي الأمل الوحيد الذي ينهد اليه العالم الاسلامي كله لتغيير الأحوال ، وانقاذ الأمة من الهوة التي تتردى فيها ، وليس هذا الاعتقاد بالحقيقة منبثقا من الآراء اليهودية ، ولا الافكار المسيحية ، انما انبعث من صميم البيئة الاسلامية ، والظروف الاجتماعية ، والسياسية والدينية ، التي أشار اليها العديد من العلماء والفقهاء وأرباب الشعائر الدينية .

الشيعة والمهدي المنتظر :

عقيدة الشيعة عامة في المهدي المنتظر الذي سيظهر في آخر الزمان ، وعند قيام القيامة ، لا تختلف عن عقيدتهم في الامامة ومقامها السامي المقدس ، ظهرت بوضوح وجلاء بعد غيبة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ، وما أحاط هذه الغيبة من الغموض والاشارات والرموز ، مما أدى الى رسوخ هذه

---

(١) والجدير بالذكر ان الزيدية يذهبون الى نفي فكرة المهدي ، ويرون ان كل فاطمي شجاع عالم زاهد يخرج بالسيف يدعو الى الحق فهو امام ومهدي في آن واحد ، ويعتبرون أئمتهم مهديون .

العقيدة لدى الشيعة رسوخا تفوق به سائر الفرق والطوائف والمذاهب ، التي تؤمن بضرورة انتظار المهدي سواء في الاسلام ككل ، أم في غيره من الديانات ·

وما دمنا قد خصصنا هذا البحث للتحدث عن آراء الشيعة في المهدي المنتظر وكيفية ظهوره وأوصافه ، والاشارات والعلامات التي تدل عليه ، لا نرغب أن نخوض في غمار المعارضة التي أثارها معارضو العقيدة المهدية ، والشك في ولادة المهدي بالذات ، وخاصة ما نقله ابن تيمية وابن حجر الهيثمي باسنادهم عن جعفر بن علي الذي أنكر وجود ولد لأخيه الحسن العسكري وطالب باستحقاقه ميراث أخيه ، ورفع الأمر الى الخليفة العباسي وحمله على حبس جواري الامام الحسن العسكري ليتأكد من عدم حملهن ، واستنكار الشيعة لهذا الموقف ، واستدلالهم على ظلم جعفر بقصة يوسف حين ألقوا به اخوته في الجب وعصوا أمر أبيهم (١) · بل نكتفي بايراد بعض الردود الشيعية التي استنكروا فيها بعض المواقف المعارضة خشية التطويل والدخول في متاهات لا نهاية لها ·

ولما كان الأمر يتصل بسر غيبة المهدي مع وجود آبائه في النسب والولادة واشتهار وجودهم ، يرد علماء الشيعة على ذلك فيقولون : ان الملوك من بني العباس كانوا على يقين من رأي الأئمة في أنهم يعملون بموجب نظام التقية ، ولا يسمحون بالخروج على الولاة ويعيبون من فعل ذلك من بني عمومتهم ، ولا يأذنون بالثورة حتى يخرج المهدي ، فكان أن تربص الخلفاء ولادته ليقتلوه فتزول الشبهة ، لذلك شاء الله سبحانه وتعالى أن

---

(١) الامام المنتظر : الكاظمي القزويني ص ٣٧ ·

يجعل في المهدي سنة من موسى حين أخفى أمر ولادته خشية أن يقتله فرعون (١) .

وفي ولادة المهدي أيضا سنة من عيسى ، اذ نطق حين ولادته قائلا : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٢) » ، كما وجد مكتوبا على ذراعه : « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا (٣) » وقد دعا الله أن ينجز له وعده وحمله أبوه وكلمه ، ثم حملته روح القدس الى أعلى عليين ، فقد استودعه أبوه عند من استودعت أم موسى ابنها من قبل ، وكل ذلك من دلائل مهديته ، وقف فرعون على أن سيخرج من بني اسرائيل من سيزيل ملكه ، فذبح أبناءهم ، ووقف بنو أمية ثم بنو العباس على أن سيخرج من آل بيت النبي من سيقوض دولتهم فترصدوا للمهدي ، ومع أن غيبته كانت منذ ولادته ، فانه كان يعود بين الفينة والفينة الى أن مات أبوه وبدأت غيبته الصغرى ، وبدأ دور الحجج الأربعة أو الحدود الاربعة للامام الغائب ، وكان الامام الحسن العسكري قد عين أولهم وهو عثمان بن سعيد ، ومن بعده ابنه محمد بن عثمان ، ثم الحسين بن روح ، وأخيرا علي السمري الذي سئل أن يعين من يخلفه فقال : لله أمر هو بالغه (٤) . وهؤلاء كانوا حججه والوساطة بينه وبين شيعته ينقلون اليهم معالم الدين ، وأحكام الشريعة ، ويخرجون اليهم أجوبة مسائلهم التي كانت ترد عليهم كما كان الامام الحسن العسكري

---

(١) اثبات الوصية : المسعودي ص ٢٥٠ .
(٢) سورة القصص : اية ٥ .
(٣) سورة الاسراء : اية ٨١ .
(٤) نشأة الفكر : الدكتور النشار جـ ٢ ص ١٦٥ .

قد شهد بعد التهم واختصهم أمناء على شئونه ، وبموت الحجة الرابع بدأت غيبة الامام المهدي الكبرى ·

ويعتقد الشيعة أن غيبة المهدي ، لا تدل على انقطاع طاعته عن الناس ، ولا من عالم الكون والفساد ، حتى لا يعتقد الناس بموته ، لأن الله قد حجبه عن العيون والانظار ، وهو حي يرزق تسهل رؤيته على الخاصة من أتباعه ، بين الفينة والفينة، ويتصرف بأمور أتباعه ، كما يتصرف غيره من الأئمة والمخلصين بأمر الله وقدرته التي لا ترد ·

وهذا الاعتقاد يشاركهم فيه المسلمون في عقائد نص عليها القرآن ولم تدع حجة لمرتاب ، بل ان أهل الديانات الأخرى يشاركونهم في مثل هذه العقائد · فالمسيحيون فضلا عن المسلمين يعتقدون أن المسيح حي في السماء ، كما يعتقد اليهود أن الياهو (الياس) دعى الناس الى التوراة ثم غاب خمسمائة عام ، ثم ظهر ودعى اليها ثم غاب ولا يزال حيا ، وقد تجاوز عمره ثلاثة آلاف عام ، وكذلك بالنسبة للخضر الذي لا يزال حيا حتى هذه الساعة ، ويعتقد البراهما بحياة براهما ، والبوذيون في خلود بوذا ، ولا تكاد تخلو عقيدة (١) من اعتقاد في شخص لم يمت وسيظهر ليملأ الأرض عدلا ·

فان قيل فما الفائدة في الاعتقاد في غائب كالمعدوم لا تظهر له دعوة ولا تقوم له حجة ولا ينفذ حكما ولا يرشد أحدا ، ولا يأمر بمعروف ، ولا ينهى عن منكر ، ولا يهدي ضالا ، ولا يجاهد كافرا ، فيرد الشيعة أنه ليس مسئولا عن غيبته ما دام الظالمون يطلبون دمه ، والحجة على الناس وليست على الامام ، وكما

---

(١) الامام المنتظر : الكاظمي القزويني ص ٤٩ ·

فرض الله الحج والجهاد على العباد ، ولكن الحكمة والمصلحة في تركهما ان منع الناس عن أدائهما لافساد المجرمين وتعرضهم للحجيج ، فكذلك المصلحة قائمة في غيبته واستتاره ، وتبعة ذلك على الظالمين (١) . وعندما سئل الامام السجاد عن رأيه في ذلك قال : كما ينتفع بالشمس اذا اختفت وراء السحاب ، وأما الحكمة في غيبته فقد سئل الامام الرضا في ذلك فقال : لئلا يكون في عنقه بيعة لأحد الحكام اذا قام بالأمر .

ويروى عن الامام جعفر الصادق أنه قال : لا ينكشف وجه الحكمة في غيبته الا بعد ظهوره ، كما لم (٢) ينكشف وجه الحكمة لموسى حين خرق صاحبه السفينة ، وحين قتل الغلام ، وحين أقام الجدار ، الا وقت افتراقهما ، ثم ذكر الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم (٣) » .

ويضاف الى حديث الامام الصادق (ع) قوله : أما مولد موسى ، فان فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده ، أمر باحضار الكهنة ، فدلوه على نسبه ، وأنه يكون من بني اسرائيل، حتى قتل في طلبه نيفا وعشرين ألف مولد ، وتعذر اليه الوصول الى قتل موسى ، بحفظ الله تبارك وتعالى اياه ، كذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال ملك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منا ، ناصبونا العداوة ، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول (ص) ، وابادة نسله ، طمعا منهم في الوصول الى القائم ، ويأبى الله عز وجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمة

(١) الفصول العشرة في الغيبة : الشيخ المفيد ص ٣٢ .
(٢) منتخب الاثر في الامام الثاني عشر : لطف الله الكلباكياني ص ٢٦٩ .
(٣) سورة المائدة : اية ١٠١ .

الا أن يتم نوره ولو كره المشركون ٠

وفي حديث آخر عن الامام الرضا (ع) يقول : قد وضع بنو أمية و بنو العباس سيوفهم علينا لعلتين : احداهما أنهم كانوا يعلمون ليس لهم في الخلافة حق ، فيخافون من ادعائنا اياها ، وتستقر في مركزها ٠

وثانيتهما : انهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة ، على أن زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم منا ، وكانوا لا يشكون أنهم من الجبابرة والظلمة ، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله (ص) ، وابادة نسله ، طمعا منهم في الوصول الى منع تولد القائم (ع) ، أو قتله ، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم ، الا أن يتم نوره ولو كره المشركون ٠

وانطلاقا من هذه المبررات لغيبة الامام المهدي ، وما اتصل بها من أحاديث رويت على لسان الرسول (ص) والأئمة المهديين، يمكننا أن نستهجن بعض القصص والأساطير التي افتعلها أو بالأحرى لفقها الخصوم حول واقع الغيبة ، وحشدوها بالأحاديث الكاذبة التي نسبوها الى النبي (ص) وضمنوها أن المهدي المنتظر من آل العباس ، بهدف صرف الناس عن انتظاره في آل البيت ٠ والمثال على ذلك قولهم : قال النبي (ص) مخاطبا العباس : يا عباس ، ان الله فتح هذا الأمر بي ، وسيختمه بغلام من ولدك ، يملؤها عدلا ، كما ملئت جورا ، وهو الذي يصلي بعيسى (١) ٠ قال رسول الله (ص) : اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان ، فأتوها ، فان فيها خليفة الله المهدي (٢) ٠ ويقول

---

(١) سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة : محمد ناصر الالباني ص ٩٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٤ . والمودودي ص ١٦١ .

المودودي معلقا على هذا الحديث : ان ذكر الرايات السود من قبل خراسان ، يدل دلالة واضحة على أن العباسيين أدخلوا في هذه الرواية من عند أنفسهم ، ما يوافق أهواءهم وسياستهم ، لأن اللون الاسود كان شعارا للعباسيين ، وكان أبو مسلم الخراساني هو الذي مهد الارض للدولة العباسية (١) •

ولا بد لنا من الانتقال الى الأحاديث المتفق على صحتها بالاجماع ، والتي اعتمدها الشيعة للدلالة على عدم قيام الساعة حتى يظهر المهدي المنتظر ، الذي سيملأها قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وعدوانا • يقول النبي (ص) : المهدي من ولدي ، اسمه اسمي ، وكنيته كنيتي ، أشبه الناس بي خَلقا وخُلقا ، تكون له غيبة وحيرة ، تضل فيه الأمم ، ثم يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها عدلا وقسطا ، كما ملئت ظلما وجورا •

وعن أبي سعيد عن النبي (ص) أنه قال : يكون في أمتي المهدي ان قصر عمره فسبع والا فثمان والا فتسع ، تتنعم أمتي في زمانه نعيما لم تتنعم مثله قط والبر والفاجر ، ترسل السماء مدرارا ، ولم تدخر الارض شيئا من نبات ، ومما يروى عن النبي (ص) أنه قال : يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة فيها ملك ينادي هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه • وعن أبي امامة الباهلي عن النبي (ص) أنه قال : بينكم وبين الروم أربع هدن تتم الرابعة على يد رجل من أهل هرقل تدوم سبع سنين • فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستور بن غيلان : يا رسول الله من امام الناس يومئذ ؟ قال : المهدي من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود عليه عباءتان

---

(١) الشيخ المفيد : ص ٣٣٢ •

قطويتان كأنه من رجال بني اسرائيل ، يستخرج الكنوز ، ويفتح مدائن الشرك •

وعن النبي (ص) أنه قال : لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي القسطنطينية وجبل الديلم ، ولو لم يبق الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يفتحها • وعنه (ص) : سيكون بعدي الخلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ، ثم يخرج المهدي عليه السلام من أهل بيتي ، يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا (١) •

ومما يروى عن هرون العبدي أنه قال : أتيت أبا سعيد الخدري فقلت له : هل شهدت بدرا ؟ قال : نعم • قلت : أفلا تحدثني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ، من علي عليه السلام ، وفضله ؟ قال : بلى ، أخبرك أن رسول الله (ص) مرض مرضه الذي فقد منها ، فدخلت عليه فاطمة (ع) وأنا جالس عن يمين النبي (ص) فلما رأت فاطمة ما برسول الله من الضعف ، خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدها ، فقال لها رسول الله (ص) : ما يبكيك يا فاطمة ؟ قالت : أخشى الضيعة يا رسول الله • فقال رسول الله (ص) : يا فاطمة ، ان الله اطلع على الارض اطلاعة على خلقه فاختار منهم أباك فبعثه نبيا ، ثم اطلع ثانية فاختار منهم بعلك ، فأوحى الي أن أنكحه فاطمة فأنكحته اياك ، واتخذته وصيا ، أما علمت أنك بكرامة الله أباك زوجك أغزرهم علما ، وأكثرهم حلما ،وأقومهم سلما ، فاستبشرت ، فأراد رسول الله (ص) أن يزيدها عن مزيد الخير الذي قسمه الله تعالى لمحمد (ص) فقال لها : يا فاطمة ،

---

(١) الزام الناصب في اثبات حجة الغائب : للحائري ج ١ ص ١٦٤ .

ولعلي ثمانية أخراس ، يعني مناقب ، ايمانه بالله ورسوله ، وحكمته ، وزوجته ، وسبطاه الحسن والحسين ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، يا فاطمة ، انا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين ، ولم يدركها أحد من الآخرين غيرنا ، نبينا خير الانبياء ، ووصينا خير الأوصياء ، وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء ، وهو عم أبيك ، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، وهو جعفر ، ومنا سبطا هذه الأمة ، وهما ابناك ، ومنا مهدي الأمة الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم ، ثم ضرب على منكب الحسين ، وقال : من هذا مهدي هذه الأمة .

وعن الحمويني عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ان علي بن أبي طالب امام أمتي وخليفتي عليها بعدي ، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا الثابتين على القول بامامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الاحمر (١) فقام اليه جابر بن عبد الله الانصاري فقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة ؟ قال : أي وربي ليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، يا جابر ان هذا الأمر من أمر الله وسر من سر الله علته مطوية عن عباده فاياك والشك فان الشك في أمر الله عز وجل كفر .

وعن النبي (ص) أنه قال : لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منا ، وذلك حين يأذن الله (٢) عز وجل له ومن تبعه نجى ، ومن تخلف عنه هلك ، الله عباد الله فأتوه ولو على الثلج فانه

---

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٨ .
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٠ .

خليفة الله وخليفتي .

وعن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله (ص) لما عرج بي الى السماء السابعة ومنها الى سدرة المنتهى ، ومن السدرة الى حجب النور ، وناداني ربي جل جلاله : يا محمد أنت عبدي وأنا ربك : فلي فاخضع واياي فاعبد ، وعلي فتوكل ، وبي فثق ، فاني قد رضيت بك عبدا وحبيبا ورسولا ونبيا وبأخيك علي خليفة وبابا فهو حجتي على عبادي وامام لخلقي بـه يعرف أوليائي من أعدائي وبه يميز حزب الشيطان من حزبي وبـه يقام ديني وتحفظ حدودي وتنفذ أحكامي ، وبك وبه وبالأئمة من ولدك أرحم عبادي وامائي ، وبالقائم منكـم أعمر أرضي بتسبيحي وتقديسي وتهليلي وتكبيري وتمجيدي ، وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي وبه أجعل كلمة الذيـن كفروا بي السفلى ، وكلمتي العليا ، وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي ، واياه أظهر على الأسرار والضمائر بارادتي وأمده بملائكتي ليؤيده على انفاذ أمري ، واعلان ديني ذلك ولي حقا ومهدي عبادي صدقا (١) .

علائم ظهور القائم عند الشيعة :

يستدل بعض المعتقدون بظهور القائم المنتظر من الشيعة ، وشاركهم بعض المتصوفة في الاسـلام ، بروايـات أوردوها ، وأحاديث رووها عن الرسول والأئمة من آل البيت على زمن ظهور القائم وصفاته ، والعلامات الواجب أن تتوفر فيه ، كما

---

(١) الزام الناصب في اثبات حجة الغائب : الحائري ج ١ ص ١٧١ .

أنهم اعتمدوا على حسابات تأويلية خاصة لتحديد وقت القيامة والظهور ، وذلك بحساب لحروف بعض كلمات أو آيات من القرآن الكريم ، ولكن الاتجاه لدى أغلب متكلمي الشيعة الى أن الاشتغال بمثل هذه المسائل الحسابية الدقيقة استنادا الى روايات نسبوها الى الأئمة ، قد يسبب الكثير من التناقض في التقديرات الحسابية التي تخلق بين الناس البلبلة والاستهجان(١) .

ومما لا شك فيه ان الأحاديث النبوية ، والأدلة النقلية ترشدنا الى النبي (ص) يصرح أن المهدي من ذريته ، وأنه أحد الأئمة المنحدرين بموجب النص من صلب الامام الاول علي بن أبي طالب ، ولكننا لا نستطيع أن نؤكد بدقة من هو هذا الامام ، هل هو الامام التاسع (٢) من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب ، أم غيره من الأئمة المنحدرين من هذا العرق ؟ واذا أخذنا بمفهوم عقيدة المهدي عند الشيعة والأدلة التي اعتمدوها ، كقول الرسول : الأئمة بعدي اثني عشر ، أولهم علي وآخرهم القائم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدي ، المقر بهم مؤمن والمنكر لهم كافر . وكقول ابن عباس أن النبي (ص) قال : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون .

ومما يلاحظ ان الشيعة يشيرون بصراحة الى أن المهدي المنتظر هو الامام محمد بن الحسن العسكري معتمدين على أحاديث لرسول (ص) وأقوال الأئمة من آل البيت ، كقول

---

(١) العقيدة والشريعة : جولدتسهير ص ٢٣٧ .

(٢) لا تزال بعض الفرق الشيعية حتى عصرنا الحاضر تتبع الامام المنصوص عليه من ال البيت ، وقد اصبح عدد أئمتهم اكثر من العدد المحدد بهذا الحديث ؟!

الصادق (ع) : الخلف الصالح من ولدي وهو المهدي اسمه محمد وكنيته أبو القاسم ، ويقال لأمه صقيل ، يخرج في آخر الزمان. وذكر الامام موسى الكاظم أن المهدي هو الخامس من ولده ، وذكر الامام الرضا أنه الرابع ، وأشار الامام الجواد أنه الثالث، ثم ذكر الهادي أنه الثاني من ولده حتى نص الامام الحسن العسكري أنه ابنه ، وذكر الامام الصادق أيضا أنه اذا توالى في الأئمة ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن كان الرابع هو القائم المنتظر .

أما الحسابات والعلامات فهم يعتمدون على بعض آيات القرآن ، كاعتمادهم مثلا على الآية الأولى من سورة البقرة (١) قوله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين (٢) » عن الاكمال، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ان لقيام القائم علامات تكون من الله عز وجل للمؤمنين. قلت : وما هي جعلني الله فداك ؟ قال (ع) : قول الله عز وجل : « ولنبلونكم » يعني المؤمنين قبل خروج القائم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين قال نبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم ، والجوع بغلاء أسعارهم ، ونقص من الاموال قال كساد التجارات وقلة الفضل ونقص من الأنفس قال موت ذريع ونقص من الثمرات قلة ربع ما يزرع وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم .

---

(١) الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب : الحائري ج ٢ ص ١١٢ .
(٢) سورة البقرة : اية ١٥٥ .

والآية العاشرة من سورة النحل وهي قوله تعالى : « أفآمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون • أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (١) » في كتاب المحجة وعن البحار والعوالم عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام يقوم الزم الارض ولا تحركن يدك ولا رجلك أبدا حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة وتر وترى مناديا ينادي بدمشق وخسف بقرية من قراها وتسقط طائفة من مسجدها فاذا رأيت الترك جازوها فأقبلت الترك حتى نزلت الجزيرة وأقبلت الروم حتى نزلت الرملة وهي سنة اختلاف في كل أرض من (٢) أرض العرب ، وان أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات الاصهب والابقع والسفياني من بني ذنب الحمار مضر ، ومع السفياني أخواله كلب يظهر السفياني ومن معه على بني ذنب الحمار وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣) » ويظهر السفياني ومن معه حتى لا يكون له همة الا آل محمد (ص) وشيعتهم ، فيبعث بعثا الى الكوفة فيصاب بأناس من شيعة آل محمد (ص) بالكوفة قتلا وصلبا ، وتقبل راية من خراسان حتى تنزل ساحل الدجلة يخرج رجل من الموالي ضعيف ومن تبعه فيصاب بظهر الكوفة ويبعث بعثا الى المدينة فيقتل بها رجلا ويهرب المهدي والمنصور منها ، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحد الا حبس ، ويخرج الجيش في طلب الرجلين ، ويخرج المهدي

---

(١) سورة النحل : اية ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) الزام الناصب : الحائري جـ ٢ ص ١١٦ .
(٣) سورة مريم اية ٣٧ .

منها على سنة موسى خائفا يترقب حتى يقدم مكة ، ويقبل الجيش حتى اذا نزلوا البيداء ، وهو جيش الهملات وخسف بهم فلا يفلت منهم الا مخبر فيقوم القائم بين الركن والمقام ، فيصلي وينصرف معه وزيره فيقول يا أيها الناس انا نستنصر الله على من ظلمنا وسلب حقنا من يحاجنا في الله فانا أولى الناس بالله ، ومن يحاجنا في آدم فانا أولى الناس بآدم ، ومن حاجنا في نوح فانا أولى الناس بنوح ، ومن حاجنا في ابراهيم فانا أولى الناس بابراهيم ، ومن حاجنا في محمد فانا أولى الناس بمحمد ، ومن حاجنا في النبيين فنحن أولى الناس بالنبيين ، ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله انا نشهد وكل مسلم اليوم انا قد ظلمنا وطردنا وبغي علينا وأخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهالينا انا نستغفر الله اليو وكل مسلم ، ويجيء والله ثلاثمأة وبضعة عشر يتبع بعضهم بعضا ، وهي الآية التي قال الله تعالى « أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير (١) » فيقول رجل من آل محمد أخرج منها (٢) وهي القرية الظالمة أهلها ، ثم يخرج من مكة هو ومن معه الثلاثمائة وبضعة عشر يبايعونه بين الركن والمقام ، معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه ووزيره معه فينادي المنادي بمكة باسمه وأمره من السماء حتى يسمعه أهل الارض كلهم ، اسمه اسم نبي ما اشكل عليكم فلم يشكل عليكم عهد نبي الله ورايته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين عليه السلام فان أشكل عليكم هذا فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره ، واياك وشذاذ

---

(١) سورة البقرة اية ١٤٨ .
(٢) الزام الناصب : للحائري جـ ٢ ص ١١٧ .

من آل محمد (ص) فان لآل محمد وعلي راية ولغيرهم رايات فالزم الارض ولا تتبع منهم رجلا أبدا ، حتى ترى رجلا من ولد الحسين (ع) معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه ، فان عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين ثم صار عند محمد بن علي ويفعل الله ما يشاء فالزم هؤلاء أبدا واياك ومن ذكرت لك ، فاذا خرج رجل منهم معه ثلاثمأة وبضعة عشر رجلا ومعه راية رسول الله عامدا الى المدينة حتى يمر بالبيداء حتى يقول هذا مكان القوم الذي يخسف بهم وهي الآية التي قال الله : « أفآمن الذين مكروا فما هم بمعجزين (١) » فاذا قدم المدينة اخرج محمد بن الشجري على سنة يوسف ، ثم يأتي الكوفة فيطيل بها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها ، ثم يسير حتى يأتي العذرا هو ومن معه وقد لحق به ناس كثير ، والسفياني يومئذ بوادي الرملة حتى اذا التقوا وهم يوم الابدال قال أمير المؤمنين عليه السلام يقتل يومئذ السفياني ومن معه حتى لا يترك منهم فجر ، والخائب يومئذ من خاب من غنيمة كلب ، ثم يقبل الى الكوفة فيكون منزله بها فلا يترك عبدا مسلما الا اشتراه وأعتقه ، ولا غارما الا قضى دينه ، ولا مظلمة لأحد من الناس الا ردها ولا يقتل قتيل الا قضى عنه دينه ، وألحق عياله في العطاء حتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وعدوانا ، ويسكن هو وأهل بيته الرحبة والرحبة انما كان مسكن نوح وهي أرض طيبة ، ولا يسكن رجل من آل محمد ولا يقتل الا بأرض طيبة زاكية فهم الأوصياء الطيبون (٢) .

---

(١) سورة النحل اية ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) الزام الناصب : الحائري جـ ٢ ص ١١٨ .

أقول اذا أخذنا بهذه الأدلة والاشارات التي تمثل عقيدة الشيعة في المهدي نتوصل الى أن موضوع انتظار المهدي المنقذ والمخلص ، لا يختلف عن ضروريات الأديان والمذاهب الاخرى ، وخاصة الدين الاسلامي الحنيف ، وانكار عودة القائم المنتظر انكار لضرورة من ضروريات الدين (١) .

ومن العلامات التي رواها الطبراني قوله : أخبرنا الحافظ أبو طاهر اسماعيل بن ظفر بن أحمد النابلسي بدمشق قال أخبرنا القاضي أبو المكارم أحمد بن مخمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني ، أخبرنا خلف بن أحمد بن العباس الرام هرمزي حدثنا همام بن محمد بن أيوب وحدثنا أيوب حدثنا طالوت بن عباد حدثنا سويد بن ابراهيم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال قال رسول الله : ليبعثن الله من عترتي رجلا أفرق الثنايا أجلى الجبهة ، يملأ الارض عدلا و يفيض المال فيضا .

قلت هكذا أخرجه أبو نعيم الحافظ في عواليه تفرد به طالوت بن عباد وهو معروف عندنا في روايته أخبرنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل أخبرنا محمد بن أحمد الصيدلاني ابن منزه أخبرتنا فاطمة الجوزدانية أخبرنا ابن ريدة أخبرنا سليمان أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا نعيم أخبرنا عبد الله بن مروان عن الهيثم عن عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي (ص) واسمه اسم النبي (ص) ومهاجرته بيت المقدس كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال أقنى أجلى في كتفه علامة

---

(١) الامام المهدي : محمد علي دخيل ص ٧ .

النبي (ص) يخرج براية النبي (ص) من مرط مخملة سوداء مربعة فيها حجم لم تنشر منذ توفي النبي (ص) ولا تنشر حتى يخرج المهدي يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وادبارهم (١) ·

وقد مهدت الأحاديث المنقولة عن رسول الله (ص) والأئمة سن آل البيت ، والمتفق على صحتها الى القاء الضوء على مفهوم غيبة الامام المهدي ، ووجوب انتظار ظهوره كحامي للرسالة الالهية التي حملها الانبياء ، وشعت تعاليمها من عهد آدم الى قيام الساعة · ولهذا الشيعة الى أن الامام محمد الباقر (ع) قال : « انما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر خفي ، يستخرج التوراة ، وسائر كتب الله ··· فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الانجيل بالانجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل الفرقان بالفرقان ·· (٢) » ·

ومن أشهر الكتاب المحدثين الذين عالجوا فكرة المهدي المنتظر وأوردوا تفصيلات وافية عنه ، وكشفوا عن الاسرار الكامنة وراء غيبته ، معتمدين على نصوص استقوها من القرآن الكريم ، وعلى أحاديث بشر بها الرسول (ص) ، ثم تناولوا أقوال الأئمة في المهدي بفصول طبقوها على الواقع والحقيقة ، فجاءت منسجمة مع مفهوم الشيعة لعقيدة المهدي ، علي محمد دخيل ، الذي أفرد بحثا خاصا في كتابه « الامام المهدي » ذكر فيه أسماء الصحابة الذين رووا الأحاديث عن المهدي ، وقرن تلك الاسماء بالكتب التي حوت تلك الأحاديث ، وأعقبه ببحث

---

(١) كتاب البيان في اخبار صاحب الزمان : القرشي ص (٣٣ — ٣٤) .
(٢) علل الشرائع : الصدوق ص ١٦١ .

مماثل حول التابعين ، وختم كتابه بفصل خاص عن المهدي في رأي أصحاب كتب الحديث من أهل السنة (١) ·

أما الشيخ محمد رضا المظفر فقد ذكر ان البشارة بظهور المهدي من ولد فاطمة في آخر الزمان ليملأ الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا · ثابتة عن النبي (ص) بالتواتر وسجلها المسلمون جميعا فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم ·

وليست هي بالفكرة المستحدثة عند الشيعة دفع اليها انتشار الظلم والجور ، فحلموا بظهور من يطهر الارض من رجس الظلم، كما يريد أن يصورها بعض المغالطين ··· ومما يجدر أن نعرفه في هذا الصدد أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي) أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود الى الحق من دينهم ، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل المسلم أبدا مكلف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية (٢) ·

ويشرح أحمد الكسروي كيفية ظهور المهدوية فيقول : « لا يخفى أن قدماء الايرانيين كانوا يعتقدون باله خير ويسمونه (يزدلن) وباله شر ويسمونه (اهريمن) وكانوا يزعمون أن هذين الالهين لن يزالا يحكمان على الارض حتى يقوم (ساوشيانت) بن زرادشت النبي فيغلب على اهريمن ويبيده ، ويصير العالم مهدا للخير لا يحكمه الا يزدان · فكانوا ينتظرون ساوشيانت ، وكان هذا المعتقد قد تأصل في قلوبهم

(١) الامام المهدي : علي محمد دخيل ص ١٢١ .
(٢) عقائد الشيعة : المظفر ص ٥٧ ، ٥٨ .

وازداد أغصانا وأوراقا بمرور الدهر شأن كل معتقد مثله • فلما ظهر الاسلام وفتح المسلمون العراق وايران ، واختلطوا بالايرانيين سرى ذلك المعتقد منهم الى المسلمين ، ونشأ بينهم بسرعة غريبة • ولسنا على بينة من أمر كلمة (المهدي) فلا نعلم من وضعها ومتى وضعها (١) •

ويعلق الدكتور عبد الله فياض على هذا الرأي فيقول (٢) : « ويبدو أن رأي كسروي لا يخلو من ضعف لأن فكرة المهدية عرفت عند الشيعة قبل أن يعتنق الايرانيون التشيع ، فمن المستبعد أن يقتبس الشيعة تلك الفكرة من الايرانيين » •

ويلاحظ « وات » وهو يتحدث عن عقيدة المهدي عند الشيعة، ان عددا من قادة الحركة الشيعية كالمختار ، الذي لم يكن قرشيا ولا هاشميا ، ادعوا بوجود القائد الغائب • وقالوا أن أحد أفراد عائلة بني هاشم ، ممن توفرت بهم صفات القائد الروحي، أوكل اليهم قيادة الثورة في مراحلها الأولى • وكثيرا ما كان ادعاء أولئك القادة غير مستند الى الحقيقة ، ولكن الاوضاع التي وجدوا فيها دعت الى قبول الادعاء المذكور • ومكن ذلك الادعاء بدوره القادة الموهوبين من أن يكسبوا اتباعا للحركة الشيعية (٣) • وكانت الصفات الروحية ، خلال العصر الأموي وحتى فيما بعد ذلك ، حسب النظرية الرسمية لبني العباس ، متوفرة في جميع أفراد بني هاشم ، ولا يقتصر وجودها على آل الرسول (ص) من أبناء فاطمة • وقد أصبح قبول الافكار التي

---

(١) التشيع والشيعة : احمد الكسروي ص ٣٥ .
(٢) تاريخ الامامية : عبد الله فياض ص ١٦٤ .
(٣) Watt, Op. Cit., p. 107

لها علاقة بعودة مسيح منقذ سهلا بعد أن قبلت فكرة وجود الامام الغائب • وقد ظهر في حالات كثيرة أنه في حالة موت القائد الروحي يدعي أنصاره أنه لم يمت فعلا ، وأنه يعيش في الخفاء ، وسيعود يوما كمهدي ، أي كشخص يشبه المسيح عند اليهود ، وسيعيد الحق والعدالة الى الارض • وقد ساعدت فكرة الامام الغائب الشيعة على قبول الانظمة السياسية والاجتماعية القائمة دون الاعتراف بأنها كاملة •

ويرى الدكتور أحمد محمود صبحي تعقيبا على عقيدة المهدي عند الشيعة أنه لا بد من دراسة أعماق الدوافع الكامنة وراء هذه العقيدة عند أهل الديانات عامة والشيعة الاثني عشرية خاصة ،ذلك أن هذه الدراسة تلقي الضوء على سر ذيوع هذه العقيدة لدى مختلف (١) الطوائف والفرق ، ولا يكفي لتفسير هذه العقيدة ردها الى أصول يهودية ، كما لا يكفي لنقضها ما ذهب اليه بعض الكتاب (٢) المحدثين من وصف هذه العقيدة أنها أسطورة أفسدت عقولا ساذجة يخدعها بريق الفرقة فاستجابت لكل ناعق ، أو اعتبارها حركة هدامة في التاريخ الاسلامي ، ولا تخلو هذه التعليقات على العقيدة من تناقض حين يصفونها بأنها أسطورة سلبت العقول ثم يسلمون بأنها خلقت تاريخ أمة ، مع اعترافهم بأن لهذه الأمة حظا وافرا من الحضارة اذ لا يعرف التاريخ أمة خلقت تاريخها أسطورة ، فضلا عن أن تكون هذه الأمة أرقى الأمم في مجال الحضارة في العصور الوسطى •

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٤١٦ •
(٢) امثال النشاشيبي ، واحمد امين ، وسعد محمد حسن وغيرهم •

وفي رأيي لفهم عقيدة المهدي لا بد من الاستناد الى العناصر الآتية : أولا : ان الايمان بمخلص منتظر مظهر من مظاهر الثيوقراطية ما دامت لهذا المخلص صفته الدينية والسياسية معا ، فهو مبعوث العناية الالهية ليملأ الارض عدلا ·

ثانيا : ان هذه العقيدة لا يؤمن بها الا أولئك الذين يعانون صراعا نفسيا عنيفا وأزمة طاحنة تمس ضمائرهم نتيجة السخط على تصرفات الحكام والاعتقاد القلبي بفسقهم وعدم أهليتهم أو استحقاقهم أن يتسمو باسم خلفاء لرسول الله على دينه ، ثم هم من ناحية أخرى يخضعون للأمر الواقع ويسلمون لهم بالسلطة اما خشية الفتنة كما هو الحال لدى جمهور أهل السنة وعلمائهم الذين لا يرون الخروج على أئمة الجور ، ذلك أنها ان كانت بلوى من الله عقابا لهم ، فما ثورتهم برادة عقاب الله ، وان كانت محنة للمسلمين فما هم برادي قضاء الله ، وقد يكون هذا الشعور نتيجة التخاذل واليأس بسبب فشل كثير من الحركات الثورية التي قامت لتقويض الحكم الجائر ، كما هو الحال لدى الشيعة الذين يرون الصبر على الخلفاء تقية ، فعقيدة المهدي مخرج لهذا الصراع بين ضرورة النهي عن المنكر من ناحية وبين التسليم بالسلطة القائمة من ناحية أخرى ، اذ تكون تبعة اصلاح الأوضاع الجائرة على شخص المهدي عند خروجه ·

ومن ناحية أخرى تبدو العقيدة وسط هذا اليأس القائم كبصيص من نور ، وشعاع من أمل ، مستند الى الايمان باللطف الالهي والعناية الربانية التي لا ترضى دوام هذا الحال (١) ·

---

(١) نظرية الامامة : احمد صبحي ص ٤١٧ ·

ويذكر الدكتور محمد الصادقي في كتابه « رسول الاسلام في الكتب السماوية » البشارة الثالثة فيقول (١) : وأظهر منها (دانيال ٧ : ٢٧) « ويعطى الملك والسلطان وعظمة الملك تحت السماء بأسرها لشعب قديسي العلي وسيكون ملكه ملكا أبديا ويعبده جميع السلاطين ويطيعونه » أي ويخضع له جميع السلاطين ، سواء أكانوا في زمنه أم بعده ، ولا سيما في دولة المهدي المنتظر من ولده الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، فلا تبقى في زمنه أية سلطة الا خضعت في ظله ، أو آمنت بدينه الاسلامي الحنيف ·

وعندما يبحث الدكتور الصادقي في أمر البشارة الخامسة عشر يقول : « فمه حلو تعبيرا عن حلاوة كلامه الذي يصدر عن ربه وما ينطق به عن نفسه ، فكتابه بليغ لأعلى مدارج الاعجاز في البلاغة ، بليغ في لفظه ومعناه · في رميه وحرماه ، وفي كل ما يمكن أن يعبر عنه من الحقائق الغيبية والمعارف الالهية العالية (٢) ·

وقد مضى المعني من حلاوة فمه في الآية (١٣) وشفتاه سوسن تقطران « مرا ذكيا » أجل انه مر ولكنه صاف ذكي ، يجلب القلوب رغم أنه يحمل مر الحق ، جمع بين المرارة والحلاوة ، حلاوة تقضي على مرارته ، لأنها عرضية وتلك حلاوة ذاتية ، مُر بما أنه لا يهدف الا الحق الصراح دون تزوير وزخرفة ومبالغة تزين الكلام ، وحلو لأنه ينبع عن منبع الحلاوة والكمال والجلال والجمال والكبرياء ····

(١) رسول الاسلام : محمد الصادقي ص ٣٠ ·
(٢) رسول الاسلام : الدكتور محمد الصادقي ص ٨٢ ·

وقد نحتمل أن يكون المبشر به في لسان سليمان (ع) زميله في الملك والسلطان محمد بن الحسن المهدي ، الثاني عشر من خلفاء الرسول محمد (ص) وآية على ذلك الآية (١٠) « انه بين عشرة آلاف ذو علم رفيع » كما أن المهدي (ع) لا يقوم حتى يكمل له العقد وهو عشرة آلاف ، وهذا لا ينافي أن أصحابه كعدد أصحاب بدر ٣١٣ نفرا ، فانهم أصحاب الألوية ، أي زعماء جنده ودولته الالهية الخالدة ٠

ثم لا علينا أن هذه بشارة للمهدي (ع) كيف وهو استمرار لنبي الاسلام ، وقبس من أضواء الشمس المحمدية الخالدة ، فاذا كان كله محمدا ، فمحمد الأصل أحرى بهذه الكلمة السامية، أو كما قالوا (ع) : أولنا محمد ، آخرنا محمد ، أوسطنا محمد ، كلنا محمد (ص) (١) ٠

وقد يحتمل ان البشارة تتجه أصالة الى الرسول الأعظم بشاهد « فمه حلو » فان حلاوة فمه فاقت جميع العالمين ، ثم أخيرا تقصد شخصيته المنفصلة عنه ، الممثلة له بكامله ، وهي الشخصية المهدوية السامية (ع) ٠

وبعد أن يناقش الصادقي الحداد حول علم الساعة يقول (٢): « وأخيرا ، انا حسب النقل المسلم الاسلامي السامي نرى أن ظهور القائم (ع) وقيامه آخر الزمن ، هذا من الاشراط الهامة للساعة ، ونرى بضمنه نزول المسيح من السماء واقتدائه بالمهدي (ع) أنه أيضا من أشراط الساعة ٠

وينشر الدكتور الصادقي في البشارة الثامنة والثلاثون من

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٣ ٠
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٣ ٠

كتابه تصريحات محمدية مهدوية وردت قبل زهاء خمسين قرنا في كتاب جاماسب ناجح الذي كان وزيرا لكشتاسب شاه همامنشي ، وجاماسب هذا كان يعلم أسرار النجوم ، لذلك وردت في كتابه انباءات عجيبة تكشف عن أنها وحي أو (١) ما يضاهيه، قال : « سيطلع رجل من هاشم ، له قامة متوسطة ، لا أبيض الوجه ولا أسوده ، حسن الوجه وحسن الكلام ، دعوته تشمل العالم كله ، له ميل الى النساء ، وله دولة عالية ، ليس له ولد وان كان فهو أنثى ، ولا يزال دينه في قوة وسعة ، يسيطر على الملوك ويقهر أربعة عشر ملكا معروفا . ويزيل الملك من نسل : كيان ، أشكان ، امداديين ، زرادشت ، هيليين ، ليسيين ، نقسيين ، الأطفال ، اليهود ، على رأسه العمامة بدل التاج ولا يستطيع أحد أن يزيل ويقضي على تشاريع زرادشت الا هو، حيث يهدم بيوت النيران ويهلك علماء زرادشت ، ويعفي على ملكنا وسنتنا ، لن يصنع أي أحد بنا ما يصنعه هو بنا (٢) .

وفي ختام بحثنا عن علائم ظهور المهدي عند الشيعة التي أوجزناها بقدر الامكان خشية التطويل ، وحرصا منا على عدم الخروج عن الخط البياني الذي رسمناه لبحثنا ، مع أن الحركات المهدية التي ظهرت في الاسلام قد شغلت الافكار فترة طويلة من الزمن ، ولا تزال تشغل حيزا كبيرا في التاريخ الاسلامي حتى عصرنا الذي نعيش فيه .

ومما لا شك فيه ان عقيدة انتظار المهدي ، أو المنقذ ، أو المخلص ، لم تكن وقفا على الشيعة فحسب ، بل قال بها العديد

---

(١) رسول الاسلام : الدكتور الصادقي ص ٢٠٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٦ .

من الفرق والأديان والمذاهب ، واندلعت باسم المهدي الكثير من الحركات الثورية ، التي انطلقت وفق أنظمة سياسية ، واجتماعية ، ودينية ، هادفة الى تبديل الأوضاع ، وقلب معالم الحكم ، والتسلط •

ومن أهم الثورات التي اتخذت اسم المهدية ضمانا لقيامها ونجاحها ، ثورة ابن تومرت مهدي الموحدين في المغرب ، والثورة المهدية في السودان ، وكلاهما قد نشأتا بين الأوساط السنية ، وقادتها من أهل السنة ، أما الثورات المهدية التي تسببت في انشقاق فرق وظهور مذاهب دينية ، فمن أهمها الشيخية ، والبابية والبهائية •

وبعد كل الذي أوردناه حول المهدي والمهدية ، لا بد لنا من التلفت الى جماعة أهل الحق لنرى ماذا يقولون حول الموضوع ، من الناحية الفلسفية والعقلية ، فعسى أن نكون فكرة صحيحة صادقة تلقي نورا مشعا على هذا المسلك الوعر الشائك المليء بالألغاز ، والرموز ، والاشارات •

قائم القيامة عند أهل الحق :

يعتبر قائم القيامة بالنسبة لأهل الحق خاتم الكور ومقيم الدور الجديد الذي سيأتي بعد انتهاء الكور ، والقيامة عندهم على أنواع : منها قيامة الانسان عندما تغادر نفسه جسده وتعود الى الكل الذي انبثقت منه ، وتعرف هذه العودة بالمعاد • والقيامة الوسطى عندما يتم الدور بأحد الأئمة،ويقيم هذا الامام دور جديد ، والقيامة الكبرى عند انتهاء الكور وقيام الساعة ، والبعث والحساب • ولهم بهذه القيامات آراء عرفانية فلسفية

معتمدة على المطابقات العلوية والسفلية ، وتحركات الكواكب والأفلاك ، وما يرتبط بها من عوالم وأجرام ، وعقول ابداعية ، وانبعاثية ·

ومع كل المظاهر العرفانية التي أحاطوا بها قائم القيامة ، أو صاحب الدور والكور ، فقد ظلت أفكارهم الفلسفية ، ومنطلقاتهم العقلانية تدور في فلك الامامة ، وان الامام السابع في أي دور من الأدوار يكون هو القائم صاحب الدور الذي يحاسب أهل دوره على الأخطاء التي ارتكبوها في عالم الكون والفساد ، والكور يتألف من عدة أدوار قد تصل الى السبعة ·

ولنستمع الى جماعة اخوان الصفاء ماذا يقولون حول بنية العالم العلوي ، والرئيس السابع ، الآتي في آخر الزمان سيد اخوان الصفاء (١) : « ··· ان العلم موجود ، قائم بسبعة أشخاص فاضلة ، كائنة في سبعة أوقات ، يظهر مع كل واحد منهم من قوة روح القدس ما يكون به الاخبار عن الاشياء كلها ، وان كل واحد منهم اذا ظهر في زمانه ، أقام لابلاغ رسالته ، وبيان موعظته ، وتعليم آياته وصفات معجزاته ، اثني عشر رجلا من أجلة أصحابه ، وأقاربه ، وأهل بيته ، ليبلغوا عنه ما (٢) أرسل به الى أمته ، ويعينوه في اظهار دعوته ، ثم ينبت عن كل واحد منهم رجال عدة ، لا يحصي عددهم الا الله ، كما ينبت من قوى الروحانيات السبعة الكواكب في الاثني عشر برجا ، من الملائكة والجنود ، وما يبدو عنهم ومنهم من الافعال

(١) الرسالة الجامعة : اخوان الصفاء ص (٢٨٥ ــ ٢٨٦) ، تحقيق الدكتور مصطفى غالب ·
(٢) يعني النبي في دوره ، او الامام صاحب الوقت وحججه ودعاته الموزعين في المدن والاقاليم والجزائر ·

والأعمال ، والأقوال ، والتسبيح ، والتقديس ، والتهليل ، والتكبير ، والعبادة ، وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في جسم الانسان ، وما يخرج منه من أنفاسه من الثقب ، وما يبدو من حواسه وأعماله ، وما يتركب في صنائعه ، وكلامه ، وألفاظه مما لا يعلمه الا الله ، وكذلك ما يتكون في الأقاليم السبعة والجزائر الاثنتي عشرة ، من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، مما لا يعلمه الا الله ، وكذلك الشخص الزماني أيضا موجود بسبعة أيام ، واثني عشر شهرا ، والسنة جامعة لها كلها ، وما يتفرع منها من الساعات ، والدقائق ، والدرجات ، مما يعرفه أصحاب النجوم ، ولا يخفى على أهل العلم ذلك ، والسنة جامعة لها كلها ، وكذلك الفلك المحيط جامع لما دونه من الأفلاك ، وكذلك الارض جامعة لما فيها من جميع الموجودات ، ودائرتها محيطة بجميع ما فيها ، وما حوته ، وكذلك سطح جسم الانسان حائط بجميع أعضائه ، وجوارحه ، وأدواته ، وآلاته ، وكذلك نفسه محيطة بجميع قواها ، وما يبدو منها ، ويصدر عنها ، وكذلك الرئيس السابع (١) ، الآتي في آخر الزمان ، سيد اخوان الصفا ، هو المحيط بعلوم من تقدمه من الرؤساء الستة ، وبظهوره يكون ظهور السعادات كلها ، سلام الله تعالى على ذكره ، وهو تمام العالم ، وعود الخلق الى أوله ، ورجوع الحق الى أهله ، وكذلك العلم بجميع هذه الأشياء وهو المحيط بها ، وبه تعرف نهايتها ، وبدايتها ، انها من الله سبحانه كانت ،

---

(١) يعني بهذا القول الامام السابع الاتي بآخر الدور الذي يتألف من ستة ائمة ، ويكون السابع له قوة تاييدية تساوي مجموع قوى الستة الذين تقدموه ، باعتباره محيط بالجميع ، وقد ينطبق هذا القول على الامام القائم صاحب الكور والقيامة الكبرى .

وعنه بدت ، واليه تعود ، ومنه المبدأ والمعاد ، وهو المنشيء النشأة الأولى ، ومعيد النشأة الأخرى ، « لا اله الا هو له الاسماء الحسنى (١) » والأمثال العليا » .

وقولهم في مكان آخر من رسالة الجامعة : « ... ومنهم طائفة أخرى زعمت أنهم يرون يوم القيامة ربهم رؤية الابصار، يأمر وينهى ، وان الملائكة بين يديه قيام ، ملائكة للنار ، وملائكة للجنة ، وانه يتولى حساب الخلائق بنفسه ، يأمر بأهل النار الى النار ويأمر بأهل الجنة الى الجنة ، ترضيه الحسنات ، وتغضبه السيئات ، ويحتجون فيما يتعلقون به من مظاهر هذا القول بقوله سبحانه : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٢) » ولا يعتبرون معنى قوله جل ذكره : « ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا (٣) » ،أي بالأعمال الصالحة، والاخلاق الزكية، وانما يبرز جل اسمه في ذلك اليوم ليفصل بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون ، وينصف المظلوم من الظالم ، وهو الغني عن أعمال عباده ، جل اسمه وتعالى ذكره ، والجهال لا يدرون كيف يكون هذا الوقوف في ذلك اليوم ، فهم يتخبطون في جهالتهم ، ولا يستيقظون من رقدتهم (٤) » .

ولم تقف تحليلات جماعة اخوان الصفاء عند هذا الحد ، بل تعدته الى ذكر اختتام الشرائع ونسخها عن طريق القائم

(١) سورة طه : اية ٨ .
(٢) سورة النبا : اية ٣٨ .
(٣) سورة النبأ : اية ٣٩ .
(٤) الرسالة الجامعة ص ٢٩٧ .

المنتظر وما يأتي بعدها ، فقالوا : « ثم لا يزال أهل ذلك الزمان وأصحاب تلك الشريعة والملة ، قواما بها ما دام حكمها مستمرا على جريان عادته ، وتمام نهايته ، وبلوغ غايته ، ما شاء الله • ثم يبدأ الفلك بشكل آخر ويستأنف القران ويدور الدور ، ويوجب التغيير والاستحالة ، فيبدو الكل والملل ، والنفاق والرياء ، والفساد والعناد ، والمخالفة وقلة الموافقة بين أهل تلك الشريعة ، حتى تكون بينهم الفتن والحروب ، والتلاعن ، والغضب ، فعند ذلك تهدم مساجد ، وبيع وصلوات ، يذكر فيها اسم الله ، ويقتل الذين يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر من الناس ، ولا يبقى لله سبحانه في تلك (١) الشريعة أسرار الا كشفت ، ولا حرمة الا انتهكت ، فعند ذلك يأذن الله سبحانه ، بأمره الممجد ، وكلمته العالية عن الصفة ، للحد الأول بقبض ما سطر على تاليه من ذلك الأمر الاول ويكسوه من أنوار غيره ، كما قال سبحانه : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٢) » ثم يأمر بالانبعاث والبعث منه ، فيلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ، بعد الانذار به ، والاشارة والدلالة عليه ، في صدر الامر الأول ، ليكون بمجيئه في العالم قوم عارفون به ، متهيئون لقبوله ، منتظرون الى ما يأتي به ، فاذا نطق سارعوا الى اجابته ، واستجابوا لطاعته ، واتصلت به روحانيات الوجه الاول بوساطة الوجه الثاني ، وتشكل الفلك بذلك الشكل ، ونزلت السعادات والتأييد اليه ، ونزل النحس والبلاء بأصحاب الأمر الاول عند اظهارهم الخلاف ، والعناد

(١) الرسالة الجامعة : اخوان الصفاء ص (٣٢٤ ــ ٣٢٥) .
(٢) سورة الرعد : اية ٣٩ .

والكياد ، لصاحب الأمر الثاني ، فعند ذلك تصير الطاعة معصية، والمعصية طاعة ، والشقي سعيدا والسعيد شقيا يعني السعيد بالأمر الاول في الشريعة الماضية اذا تخلف عن صاحب الامر الثاني ، والشرع الجديد الثاني ، فلذلك قيل ان السعيد يصير شقيا ، والشقي يصير سعيدا • فالشقي الذي ينقلب سعيدا هو الذي تخلى عن مذهبه الاول ، الذي يشقى في طلبه ، وجمعه ، واكتسابه ، وعاد سعيدا بما ألقي اليه ، وأفيض عليه من الأمر الذي أتاه • ولم يشف في طلبه ، ولا سعى في كسبه ، فبهذا المعنى يصير السعيد شقيا ، والشقي سعيدا • فأما كون الطاعة معصية، والمعصية طاعة ، فعند ظهور الثاني تصير طاعة الأول ، والقيام على ما جاء به معصية ، ومعصيته له طاعة ، لارتفاع حكم الأول ، ووجوب حكم الثاني ، فهذا دليل واضح بالبرهان الديني ، والحكم الشرعي •• » •

وفي حديثهم عن الوجود والعدم ، يرون انما قصد بالوجود العقل الذي هو أول موجود ، والعدم يعني النفس اذ كانت معدومة لولا العقل ، فهي بالنسبة اليه ، وبتقدمه عليها عدم ، وهو أصل ، وهو (١) وجودها • وأما من قال : الزمان والمكان فانما عني بالزمان العقل ، اذ كان هو زمان الأزمنة ، ودهر الداهرين ، وعنه بدأ الحركة التي هي أصل الزمان ، وعنى بالمكان النفس (٢) ، اذ كانت مكانا لما يلقي اليها العقل من فوائده ، وتلقيها ذلك منه ، واتساعها له ، فهي المكان وهو

(١) الرسالة الجامعة : اخوان الصفاء ص ٣٣٨ .
(٢) هذه الرموز والاشارات الى العقل والنفس قصد منها الدلالة على ان الامام يماثل العقل في العالم العلوي ، ويقابل النفس الكلية في عالم الدين .

المتمكن ، وهو الزمان ، وهي المتزمن به · ومنهم من قال : الدنيا والآخرة · فانما عنى بالدنيا النفس ، اذ كانت هي سبب عمارتها وحياة عالمها ، وبالآخرة العقل،اذ هو دار الحيوان، وجوار الرحمن ، وأما من قال : العلة والمعلول ، فانما عنى بالعلة العقل ، وبالمعلول النفس ، اذ كان العقل علة للنفس ، وهو سبب وجودها · وأما من قال : المبدأ والمعاد ، فانما عنى بالمبدأ العقل ، اذ هو أصل بداية الاشياء ، وبالمعاد النفس ، اذ كانت اليه عودتها وقت استفادتها وقبول مادتها ، ومنهم من قال : الظاهر والباطن ، فانما عنى بالظاهر العقل ، لظهور آياته وبيان موجوداته ، وبالباطن النفس ، لبطون جريان قواها، وبكون روحانياتها في بواطن المحسوسات ، وخفيات الجسمانيات، ولطائف الطبيعيات · فبهذا البيان وصحة هذا البرهان قد اتفقت أقوال الحكماء في مقاصدها وأغراضها ، واختلفت في لغاتها وألفاظها (١) » ·

ومن الطبيعي بعد هذه المقدمات التحليلية الفلسفية أن ينتقل اخوان الصفاء الى نهاية العالم وما يقال فيه ، فيقولون : « ··· وقد قيل انه اذا خلى من هذا رج العقرب ثلاث مائة وستون سنة وأربعة أشهر تكون الجائحة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، ويصير أمر العالم في الأقاليم السبعة الى التلف والهلاك، الا من كان منهم يأوي (٢) الغيران والكهوف ، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية ، والجزائر في البحار ، وتكون كيفية هلاكهم ، بفساد الحال بين الملوك ، وطمع بعضهم في بعض ، وطلب بعضهم

---

(١) الرسالة الجامعة : اخوان الصفاء ص ٣٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ص (٣٩٨ ــ ٣٩٩) .

ما في يد بعض ، فيكفر العالم بعضه بعضا ، ويكون سبب ذلك بموجبات أحكام النجوم ، ومـا سبق من حكمـة الله لسقوط الهيبة ، لفقد الملك الأعظم ، الذي في يده زمام الشريعة ، فعند ذلك يتطلع سائر الملوك الى موضعه ، ويطمعون في مكانـه ، ويقصدونه من جميع النواحي ، ويهلك بعضهم بعضا ، وذلك مثل الشمس مع الكواكب ، اذا غابت وخبت أنوارها ، وابتدأ القمر في خلافتها ، بكونه في مكانها محاكيا لها في حالها ، وتشرق الكواكب ، وترمي بأنوارها من أفلاكها الى موضع مرور الشمس، ولا يكون للقمر من القوة في ضيائه ، وكمال أنواره ما يغطي به على أنوار الكواكب ، فلا يظهر له فيه كما كان نور الشمس ، الى أن تطلع الشمس ، ويغيب القمر والكواكب ، ذلك تقدير العزيز العليم (١) ٠

وقيل انه في هذا الحد تهلك السباع كلها الضاربة المؤذية ، والحيات ، والهوام المسمومة ، حتى لا يبقى على وجه الارض منها شيء ٠ وذلك أنه كان ظهورها في هزارج السرطان ، وتهلك في العقرب ، مثلثة السرطان ، وتهلـك في العقرب ، مثلثـة السرطان ، ويصير الحكم والأمر الى القوس بيـت المشتري ، ومثلثة الشمس ، فتظهر في عالم السعادة ، ويستقيم أمر الدين ، وينتظم أمر العالم ، على كلمة واحدة ، ويجتمع بعد الشتات ، وتظهر دولة اخوان الصفا ، وتكون مدة هذا الحكم مائة وتسعا وخمسين سنة ، على مقدار دوران النير الأعظم مرتين ، من أجل أن القوس ذو جسدين ، وتكون أمور عجيبة ، وتقرب من العالم

---

(١) كل هذه الرموز والمطابقات الفلكية تعني القائم المنتظر الذي سيكون الفرج على يديه ، وهو احد الائمة من آل البيت المنصوص عليهم .

أحكام أمور الآخرة ، وأشراط الساعة ، ويبدأ حال الدور العاشر ، في حد الجدي ، بيت زحل ، وتأتي فيه أحكامه ، مما لا ينبغي لنا القول فيه ، والحكم عليه ، وهو موجود في كتب الحكماء ، الذين تكلموا على الأمور الآتية ، في الأوقات المستأنفة ، والقرانات الكائنة • واذا بلغ الدور الى الدلو ظهرت أحكامه ، الى أن يتم تمامه وتنقضي أيامه ، ثم يكون الدور الثاني عشر ، وهو الحشر ، والنشر ، والقيامة الكبرى ، الى أن تعود البداية ، والجمع اذا شاء الباري سبحانه وتعالى (١) » •

وفي ختام آراء اخوان الصفاء الفلسفية العرفانية نصل معهم الى ماهية الاشخاص الآتية بالأمر والنهي الى العالم ، من لدن آدم الى سادسهم الرسول الاعظم محمد (ص) فيرون : « انما جاؤوا ليقيموا في العالم صورة دينية تتصور في نفوس القابلين لها ، اذا تأملوها واعتبروها ، وكانوا بمنزلة الجسد الذي تتم صورة أعضائه ، في بطن أمه ، قبل بروزه الى دار الدنيا ، ويستنشق روح الحياة ، وبظهوره يكون خروجه من الضيق الى السعة ، ولذلك صار المولود اذا ولد لسبعة أشهر عاش في السابع ، ولتسعة أشهر ، ويموت بين الحدين ، وربما جاوز الشهر السابع الى التاسع ، وربما جاوز التاسع الى العاشر بحسب الاوقات ، وما يتولى تلك النطفة من تدابير الافلاك العالية ، والكواكب السامية (٢) •

وكان آدم أول ما بدا من الصورة الدينية المركبة من الامر والنهي ، تركيب هيولاه الموضوع له في نفوس العالم الناطق

---

(١) الرسالة الجامعة : اخوان الصفاء ص ٤٠٠ .
(٢) المصدر نفسه: ص (٥١٩ — ٥٢٠) .

وأجسادهم • وكان أول ناطق نطق بأمر الله ووحيه ، وكان أبا البشر وأصله ، ولذلك شملهم اسمه ، وامتد فيهم ذكره ، بالنسبة اليه ، والدلالة عليه ، وكان بمنزلة السلالة من الطين ، كما قال ابليس اللعين : « خلقتني من نار وخلقته من طين (١) »، وكان نوح ، صلعم ، كمثل النطفة التي هي في قرار مكين ، متمكنة ، في أصلها ، ثابتة في فرعها ، قائمة بصورتها ، في القوة النبوية ، وهي القوة التي تناسلت منها الذرية الطاهرة في عقب نوح ، ممن شملتهم دعوته ، وحملهم معه في سفينته ، فهم أولاده المخلوقون من تلك النطفة ، المستقرة فيه ، وهو المتمكن فيها ، الأمين عليها ، ومن بعده ، من ذريته المخلوقين منها • وهي معهم وفيهم ، تزيد وتنمو الى ابراهيم ، وكان مثل العلقة لتعلقه بأمور الأصلين ، وما تعلق به من الفرعين الكائنين منه ، وهما اسماعيل واسحاق ، عليهما السلام ، وتفرد به منهما في رفع القواعد اسماعيل ، فقال جل اسمه : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل (٢) » • وجرى الأمر في البيتين الطاهرين ، النيرين ، بيت النبوة ، والحكمة ، وبيت الامامة والرحمة ، ومقر النعمة ، التي أنعم الله سبحانه بها على ابراهيم ، وفضله على العالمين ، بالمقدر له من الشرف العظيم ، والمقام الكريم •

ثم كان موسى ، فكان مثله مثل الحاملة للجنين ، لأنه الواسطة بين الطرفين كتوسط بطن الحامل للجنين بين القوة والفعل • فكون الجنين نطفة في ظهر أبيه وجودا بالقوة ، وكونه في رحم

(١) سورة ص : اية ٧٦ .
(٢) سورة البقرة : اية ١٢٧ .

الأم كونا يؤدي الى الفعل ، وظهوره عند الولادة ، أول الفعل ، كذلك موسى حامل لأمر من تقدمه من الانبياء (١) الثلاثة بالقوة ، ومشير الى كون من يأتي بعده من الثلاثة المستقبلة بالفعل ، ولذلك نسب تأييده الى كلام الله ، وجاء في توراته ذكر من تقدمه ، ومن يأتي بعده ، ومن دعوته ظهر المسيح ، وعلى شريعته تكلم ، وهو في المهد الذي كلم الناس فيه ، وهو صبي لم يبلغ الحلم . فالثلاثة المتقدمة بمنزلة الكون بالقوة عند الذكر ، وهو الاول ، والثلاثة الآتية بعد موسى ، بمنزلة ظهور المولود ، بالفعل المقدر له ، وشريعة موسى مثلها كمثل الأم المربية للولد ، وهي أول كتاب تثبت فيه الأحكام ، وفيه حرم الحرام ، وحكم به النبيون ، وجاء فيه ذكر ما كان وما يكون ، وكان من أمره مشدود بأمر الله وكلامه ، والذين من قبله بوحي الله والهامه ، ما خلا موسى فانه كليم الله وصفيه . وكذلك اصطفى الله موسى لنفسه ، كما خلق آدم بيده ، وأسجد له ملائكته ، وكذلك يكون صاحب النهاية ، مثل صاحب البداية، الا أنه بريء من الزلة ، والخطيئة والنسيان ، يؤيده الله بكلامه، وتسجد له ملائكته ، ويرفع درجته على درجة من تقدمه ،ويملكه الأرض كلها ويستخلفه في أرضه ، كما استخلف آدم ، ويورثه الجنة ولزوجته ، وهي حجته ، المستخرجة منه ، كاستخراج حواء من آدم ، ويظهر نسله المبارك ، ويكثر أولاده ، ويخصب زرعه ، ويفتح الدور باسمه ، ويمتد في العالم ذكره ، وتقوم به القيامة الآتية ، وتكون منه النشأة الثانية ، ثم كان المسيح عيسى ، كالمضغة ، بمعنى مضغة شرائع من تقدمه ، واعتصاره لبابها ،

---

(١) الرسالة الجامعة : اخوان الصفاء ص ٥٢١ .

حتى صار غذاء له ، ومن إتبعه ، ممن استجاب اليه من آل اسرائيل ، وأقاموا على ما جاءهم به من الحق ، وكانت دعوته كدعوة آدم ، مستقرة حقائقها ، بضرب الأمثال ، والامر بصالح الأعمال ، وكان ضعيف الجسم ، اذ المضغة هي أضعف ما يكون الجنين في حالها ، وأنه متى حل بالحامل حال يؤلمها ، انفسدت المضغة ، وسقط الجنين ، ولا يبلغ الكمال ، ولذلك قال الله : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (١) » ثم كونه بمشيئته ، وتممه بقدرته ، بعد أن هم أعداؤه من اليهود الملاعين ، أن يفسدوا صورته ، ويسقطوا مضغته ، فلم يتم لهم ذلك ، وأكمل الله شريعته ، وتمم دعوته بمن استجاب اليه من حوارييه ، الى أن جاء الرسول السادس محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان بمنزلة العظام ، وذلك لشدته فيما جاء به ، وقوته كقوة العظام ، وذلك لما هو مستجن في باطنها من المخ الذي به الحياة ، والقوة الممكنة في بدن الانسان • ولذلك قال الله سبحانه له لما حاجه من الكفار من دفع منزلته فقال : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم • قل يحييها الذي أنشأها أول مرة (٢) » يعني بظهور أسرارها ، وبيان اشاراتها ، وايضاح معانيها • وما هو ممكن فيها ، عند كون النشأة الثانية ، في وقت الكرة الآتية ، يكشفه المهدي المنتظر ، والبرقليط الأكبر • « فكسونا العظام لحما (٣) » بمن أعقبه من بعده من لحمته من طينته الذين هم

---

(١) سورة ال عمران : اية ٥٩ .
(٢) سورة يس : اية ٧٨ ، ٧٩ .
(٣) سورة المؤمنون : اية ١٤ .

أولاده في الحقيقة ، وهم لحمه ودمه ، ولا يزال أمره كذلك ، الى وقت النشأة الأخرى بقيام السابع ، الذي به تتم الصورة الدينية ، وينشأ فيها روح الحياة ، وينتقل العالم بها من دار الدنيا الى دار الآخرة بالموت ، ونشأته نشأة ثانية ، وهي الصورة الملكية ، صورة التمام والكمال ، الداخلة بها الى الجنة ، والنشأة الثانية هي أمر السابع ، وهو الخلق الآخر (١) » ٠

ويبدو أن جماعة اخوان الصفاء لم يكونوا الوحيدين من علماء أهل الحق الذين تكلموا عن قائم القيامة ، بل هناك علماء وفلاسفة كبار قد ساهموا في البحث حول هذا الموضوع ، وعلى رأسهم الداعي « أبو يعقوب السجستاني » الذي قال وهو يتحدث عن رتبة صاحب القيامة : « ان نظرت في ترتيب الطبيعة في اخراج الاشخاص غير المتجزئة ، من المعادن ، والنبات،والحيوان، من الأمهات الاربع ، بافاضة النفس عليها ، ثم لا تجد في الأمهات التي هي أصول الاشياء ، مما تجده في الفروع التي هي متولدة من العروق والاعصاب واللحم والدم والعظم ، وهي بافاضة النفس عليها ، علمت ان النفس أقدر على اخراج الطبيعة ، الى غايتها الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، من الهيولي والصورة ٠ وهذه حجة من حجج الله تعالى تلزم من عباده الاقرار بكون الأشياء لا يوجد في أصولها التي منها (٢) كونت ما يوجد في المكون ، ليكون تمتمية كلمته تعالى وتقدس ، قائمة في أن بها ابداع العقل التام لا من شيء ، وليس يوجد في الليس قبل الابداع شيء من أيسية المبدع الاول ٠

---

(١) الرسالة الجامعة : اخوان الصفاء ص ٥٢٣ .
(٢) الينابيع : السجستاني ص ١٥٨ .

وهكذا بهذه المنزلة تظهر فضيلة الرسل وشرفهم ، لأنهم جمعوا بين كلمات ملتقطة معروفة مشهورة بين أقوامهم ، خالية من تلك الحكم التي أديت مع الجمع • فجمعوا بين الكلمات وألفوها تأليفا بتوفيق النفس اياهم •

واحتوت على جميع ما حكاه العالمان من الاقسام والحدود ، فسبحان الله : « لو يشاء لهدى الناس جميعا (١) » • « ولكن اكثرهم للحق كارهون (٢) » • ومن هذا المعنى يصح في أنية القيامة التي دعا اليها المرسلون ، من أنها يوم عظيم فيه تبعث الأنفس البسيطة اللطيفة ، وتبرز الصور الخفية بظهور القائم عليه السلام ، لأن النطقاء الذين مضوا قبله ألفوا شرائعهم وألقوها بين ظهراني أقوامهم ، لم يكن في شيء من شرائعهم ما يكون فيه بعث النفوس ، وبروز الصور ، الى ما أعده الله من (٣) الثواب الجزيل • فلما بلغ الأمر منتهاه ، وبلغ القائم الى منزلته التي أعدها الله له ، برز من الصور قادر على قبول الفوائد العقلية بلا تأليف ، ولا ترتيب • الا أن الانسان يكون غافلا عما بين يديه من عظمة ذلك اليوم وسمو درجته ، ساهيا عنه •

وان نظرت في أحواله ، التي جرت عليه منذ أول كونه ، الى غايته التي يبلغها ، لتقرر أنه مبعوث لا محالة ، منتقل من حال الى حالة أخرى ، أشرف من حالاته التي هو عليها ، لأنه في أول كونه في صلب أبيه نطفة ذرية ، غير قابلة للنماء ، وان كان

---

(١) سورة الرعد : اية ٣١ .
(٢) سورة الزخرف : اية ٧٨ .
(٣) الينابيع : السجستاني ص ١٥٩ .

قبولها للنماء في حال آخر موهوما عند من أحاط به ، فلما اتصل الى بطن أمه ، اتصل النماء به ، وتصرفت به الأحوال ، حالا بعد حال ، حتى استوت أعضاؤه ، وأصلحت هيئاته ودرجاته الطبيعية التي تصلح للعالم الحسي ، غير حاس في بطن أمه ، ولا واقف على كيفية اشتباك الحس به ، وان كان قبوله الحس عند وقت خروجه من بطن الأم موهوما ، متصورا عند من أحاط به ·

فلما انتقل من بطن أمه الى جوف الفلك ، اتصل بالحسية ، وتصرفت به الأحوال ، حالا بعد حال ، الى أن استعمل حواسه في ادراك المحسوسات ، ونطق لسانه ما أدركه من المبصورات ، والمسموعات ، والمشمومات ، والملموسات ·

فان ساعدته السعادة بطلب حقائق الاشياء الى الوقوف عليها ، بسبب الانتقال من العالم الطبيعي الى العالم الروحاني ، انتقل مغبوطا ، مثابا ، قادرا على نيل فوائده من الاغتذاء من نعيمه ، والالتذاذ بلذاته ، الا أن رؤيته للعالم الروحاني وقت اتحاد روحه بجسده ، غير ممكنة ولا جائزة ، وان كان به قبوله ، ورؤيته الى العالم الروحاني عند مفارقة روحه جسده ، اتصل بالعالم الروحاني بغتة بلا زمان ، وتراه متأسفا ، متلهفا على ما سبق منه من التفريط ، والتقصير · وان رؤية الانسان لما ذكرناه من انتقاله من هذا العالم الجسداني الى العالم الروحاني (١) دليل واضح ، وهو انا نراه لا يعلم شيئا ، ولا يهتدي لشيء ، فلما فتح له من هذه الجهة ، التعليم بارقة من العلم ، نراه كأنه منتقل من حالته الى حالة أخرى ، فكيف اذا

---

(١) الينابيع : السجستاني ص ١٦٠ .

اتصل به نور التأييد ، من جهة صاحب القيامة التي اليها دعا المرسلون ؟

فترى الناس على طبقتين : طبقة ممن آمنوا به وصدقوه وانتظروا ظهوره ، فهم بذلك النور مقتبسون ، متنعمون ، مستبشرون • وطبقة ممن كذبوا به وغفلوا عن حده ، فهم بذلك النور أيضا متحرقون ، معاقبون • جعلنا الله ممن ينتظره ، ولا جعلنا من الغافلين عنه » •

ولنا مع حجة العراقين الداعي الحقاني أحمد حميد الدين الكرماني موقف آخر ، حيث نلاحظ بأنه يدلي بأفكاره المتعلقة بقائم القيامة ، فيثبت وجوب الجزاء لأنه يتعلق بالبعث ، والبعث هو فعل الله ، مقدما الأدلة عن طريق تأويل عدد من الآيات القرآنية ليثبت بأن صاحب الدور السابع الذي يحصل في الوجود آخر دور حين يبعث في عالم الطبيعة أولا كما يبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه أمة بعد أمة ، وليؤكد بأن في يوم القيامة الكبرى يأتي كل صاحب دور من الأدوار السبعة ، بمن في دوره ومن اتبعه على أمره من النبي والوصي والأئمة والدعاة والتابعين باحسان • وبنفس الوقت لينفي نظرية التناسخ والتقمص ، وليقر بأن من يكون مبعوثا ممنونا عليه بالضوء الذي تضيء له المعارف كلها ، فيرتقي الى أن يظهر بقدرته البارعة الممنوحة له ما هو أعظم من المعاجز وعلم الغيب لأنه في رتبة النفس في الأعلى والاشرف •

يقول الكرماني(١): « والذي يكون بتعليم منجهة من يكون طبيعيا فلكون ما يعلم من جهة المبعوث المرقى الى درجة الكمال

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص ٥١٢ .

المنبعث الانبعاث الثاني القائم بالتعليم مما يتم فيه البعث سمي بعثا ، وهو اقامة النعمة على البشر بالمبعوث المؤيد فيكون ما يعلمهم ويدعوهم اليه فيقومون به سببا لهم في نيل السعادة في الدنيا وطريقا الى الفوز بالحياة الابدية في الأخرى ، وأمرا يجري مثلا من أنفسهم مجرى النفس النامية التي هي سبب لحصول القوة الحسية فيكون عن ذلك بعثهم كما قال الله تعالى في بني اسرائيل حيث فارقوا أحكام الديانة فطلبوا المحال الذي من كان مقيما عليه فهو معدود في الأموات وفي من يكون في طريق العذاب فأنعم عليهم بما يكون طريقا لهم الى السعادة : « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (١) » وأول الآية « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك (٢) » معناه لما قلتم يا موسى لن نصدقك فيما جئت به وقلت انه من جهة الله « حتى نرى الله جهرة (٣) » حتى تبين لنا وتعلمنا من قبل الموجودات الحسية ما نعلم منه ويصح عندنا به ما يكون من جهة الله من الأمور ، وما لا يكون من جهة الله فيكون لنا كالميزان فنعتبر ما جاء به غيرك وما جئت به أو يجيء به ساحر أو مشعوذ فنكون في معرفة ذلك مصدقين لك بأنك من جهة الله لا اله الا هو مؤمنين « فأخذتكم الصاعقة » فشملكم العذاب بالحيرة أولا التي تؤديكم الى العذاب في الآخرة لمخالفته ، وتطلبكم ثانيا منه بيان ما هو بالعبادة الثانية التي تتعلق بمن يقيمه من جهته ، لا من العبادة الأولة العملية التي هي خصوصا له « وأنتم تنظرون » تعلمون أن ذلك

---

(١) سورة البقرة : اية ٥٦ .
(٢) سورة البقرة : اية ٥٥ .
(٣) سورة البقرة : اية ٥٥ .

محال وأن الانبياء لا يتعدون مراتبهم في اسلياسة الظاهرة التي هي جمع القلوب المتفرقة والأهواء المختلفة ، والأنفس العالمة والجاهلة على ما يجع السعادة « ثم بعثناكم (١) » أفضنا عليكم النعمة التي هي بيان ما يتعلق بالعبادة الثانية العلمية باقامة من يبين ويعلم في الدعوة الباطنة (٢) من جهة موسى المؤيد المبعوث فيكم بالقوى الملكوتية ليكون بتعليمه اياكم ما طلبتم من العبادة الثانية جامعا الى العبادة الظاهرة الأولة حياة لا الحياة الحسية التي لكم بل الحياة الابدية « من بعد موتكم » من بعد أن صرنم في طريق من يكون موتى عن الآخرة بطلبكم المحال « لعلكم تشكرون » فهلا تشكرون على هذه النعمة التي أولها بعث موسى مؤيدا ليعلمكم طريق العبادة بالعمل الذي يقربكم من دار القدس ، وثانيهما اقامة من يبين ويعلم العبادة الثانية التي هي العلم فتصيرون بمثابة الملائكة المقربين ·

وأما ما يكون آخرا فهو النفخ الثاني المخصوص بالقيامة عند تكامل الأدوار واستكمال قيام العلم بالفعل بخروج الأنفس من حضانة التعليم من جهة المؤيدين ، فهو اتصال قوى النهاية الأولة التي هي الموجود الاول بالابداع الاول ، والمنبعث الاول ـ بالانبعاث لاول المعرب عنه بروح القدس ـ بالنهاية الثانية التي هي تمام كون الانسان المتعلق وجوده بتكامل الأدوار السبعة من جهة المؤيدين المنبعثين الانبعاث الثاني في دار الطبيعة الذي هو الخلق الجديد والخلق الآخر ، الجامع للأنفس كلها الحاصلة في الوجود من أول الدهر الى آخره ، المكتسبة في دنياها ، المفارقة

---

(١) سورة البقرة : اية ٥٦ .
(٢) راحة العقل : الكرماني ص ٥١٣ ، ٥١٤ .

أشخاصها في أزمانها الحاصلة في المجمع لتمام الأمر ، المنتظرة لقيامها وسريانها في الانفس تشبيها بسريان الحية الحسية في الطفل عند الولادة متقدة نارها ، سارية فيها آثارها ، يتقدم عليها وجود النفس النامية التي هي مثال المكتسب بالعلم والعمل، اللذين بهما تحصل تلك القوى الالهية وعودة الأخرى الى الأولى ، فذلك هو النفخ الثاني الذي كان التعليم في الدنيا من جهة الأنبياء والأوصياء له نفخا أولا كما بينا • قال الله تعالى : « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (١) » يعني اذا تجردت الصورة بكمالها فجمعت ، سطع فيها أنوار الملكوت فلا يكون لكل منها الا بقدر الآلة التي هي حصلت لها بالاكتساب ، فانه لا أنساب هناك كما يكون في الدنيا فيكون للنفس فيها من جهة أنسابها وانتسابها الى قبيلة منيعة أو شريفة شرف وعز وفخار فتولى لأجله الخير ، وان كانت خالية من قوة وحسن خلق وعلم وأدب وعمل ، فان تلك الدار دار القسط والعدل ، وهل تكون الا باستحقاق ؟ قال الله تعالى : « يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا (٢) » اشارة الى صاحب الدور السابع (٣) الذي يحصل في الوجود آخر دور حين يبعث في عالم الطبيعة أولا كما يبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه أمة بعد أمة ، « وفتحت السماء فكانت أبوابا (٤) » يعني يقيم الابواب

(١) سورة المؤمنون : اية ١٠١ .
(١) سورة النبأ : اية ١٨ .
(٣) يعتبر اهل الحق صاحب الدور السابع هو الامام القائم المنتظر كونه خاتم الادوار الستة المتقدمة عليه وكذلك يعد خاتم الكور وقائم ببناء الدور الجديد الاول من الكور الجديد ، وهو الذي سيحاسب كل ابناء البشر الذين وجدوا في تلك الادوار .
(٤) سورة النبأ : اية ١٩ .

للاستقصاء في العبادات ، « وسيرت الجبال فكانت سرابا (١) » فيذهب أصحاب الجزائر المقيمون للدعوة العلميـة وتسير الى مستقره فلا يفاتحون أحدًا بشيء من العلوم فيكونون لمن يقصدهم كالسراب الذي لا يوجد عنده شيء . وقال تعالى : « ونفـخ في الصور (٢) » اشارة الى صاحب الدور السابع الخاتم للأدوار الذي به يتم الخلق الجديد ، فيفتح أولا في دار الطبيعة بـاب الجزاء ، وفي دار الآخرة ثانيا ، وهو النفخ الاول ، يريد به أولا كما نفخ في أصحاب الأدوار أولا « فصعق من في السموات ومن في الأرض » يتحير في فعله أهل الأديان كلها ظاهرة وباطنـة كقوله ، كما تحير أهل الأديان في كل نفخة أولة في كـل دور « الا من شاء الله » الا من كان عارفا بمرتبته ومؤمنا به من قبل ذلك قائما به « ثم نفخ فيه أخرى » فيفعل الحكمة والبيـان ، ويشرح ما جاء به النبيون من الأولين والآخرين فلا يبقى أحد الا ويضيء بنوره ، وذلك قوله تعالى : « وأشرقت الأرض بنور ربها (٣) » أي بعلم ذلك الحد العظيم المبعوث من جهـة الله سبحانه ، وقوله : « ووضع الكتاب » جعل كل شيء من الكتب في موضعه « وجيء بالنبيين والشهداء » أهل كل ملة « وقضي بينهم بالحق » فيما كانوا متعلقين به فلا يبقى علم الا ويتعلمه أهل الأرض بمكانه ، ولا يترك أحدا يتقرب بعبادة الا بالعبـادة الناسخة لما سبقها ، فيحكم في ذلك بما يتقد بنور التأييد فتصير الصور كلها صورة واحدة تجمـع الصور فتحصل تمامهـا في

(١) سورة النبا : اية ٢٠ .
(٢) سورة النبا : اية ١٨ .
(٢) سورة الزمر : اية ٦٨ .

الصفحة الأعلى من السموات على باب الحجاب ، فويل لنفس لم تعبد ولم تكتسب فانها في عذاب ، وهو الوقت الذي يروى أن كنوز الارض تظهر في القيامة فتكون كل صورة في ذاتها ذات صور بحسب الاكتساب على ما عليه حال الجسم في كون كل جزء منه من يد ورجل واصبع ، وغير ذلك ذا صور ، وهو الحرف الذي يقال ان فيه صورة كل حيوان يوجد في الارض • فالبعث يتم لصاحب الدور السابع وتمام الأمر على ما ذكرناه ، والحساب تابع للبعث ، وهو فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب الذي (١) هو الملاذ والمسار ، والعقاب الذي هو الألم والعذاب والغم ، وينقسم هذا الفعل الى ما يكون وجوده في الدنيا والى ما يكون وجوده في الآخرة : فأما ما يكون وجوده في الدنيا فينقسم قسمين : الى ما يكون وجوده في الأنفس للأنفس عاجلا في كل الأوقات وهو عام فهو ما يكون من جهة الانفس في كل وقت وكل مكان عند مقاصدها في أعمالها بالمناسك الدينية المقننة من جهة أنبياء الله ورسله عليهم السلام من طلب عز وجاه وصيت في الناس بأنها سخية أو غنية ، أو تتصور بصورة الأخيار فيجعل لها ذلك بما تعمله من التحلي بسنن العبادتين مثل المجتهد في أعمال الصلاة الذي يكون قصده المسجد الجامع لا لقربه الى الله ولطلب وجهه والتذلل لكبريائه ، ولا لاقامة رسوم الملة وقضاء ما فرض عليه من مناسكها ، بل لأن يمشي بزي حسن ولأن يقال انه من حاله وصفته فيما يريده ويتمناه في نفسه ، أو لأن يتفرج لضيق صدره فيحصل له بذلك ما أراده عاجلا ، فذلك ثوابه ، ومثل المتزي بزي أهل الستر والعفاف الذي فعله ذلك لا لأن

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص ٥١٦ .

يكون قاصدا فيه رياضة النفس واصلاحها وعقلها عن الأمور التي فيها يشابه أهل الرذائل فيكون له من ذلك العمل الكمال المثمر له البقاء السرمدي والمسرة ، بل لأن يؤمن على فلس يجذبه من انسان أو جاه يحصله أو منزلة يطلبها أو سبب يتوصل به الى دنياه جملة ليحصل له ذلك ، فذلك ثوابه الذي يتعجله عن تنسكه وتعففه ، ولا حظ له في الآخرة ، ذلك بأنه منافق ، ومثل التهاون (١) بأمر العبادتين المنجيتين له بالاخلال بأوامر الله سبحانه وتعالى وسننه والاقرار بأوليائه وأنبيائه ورسله فيشمله بذلك من الذل والصغار عاجلا ما يحصل له من الغم والعذاب الدائم ، فذلك عقابه عاجلا دون عقابه الآجل • والذي يكون وجوده فيها لا في كل الأوقات بل هو خاص لوقت دون وقت هو الذي يكون من جهة المبعوث المؤيد بروح القدس الذي هو صاحب الدور السابع عند اتصال القوى الملكوتية به المعرب عنه بالنفخ الثاني في يوم القيامة ، وتكامل الأدوار قياما منه بما عجز عنه غيره من أصحاب الأدوار ، واظهارا منه ما لم يتمكن منه أحد ممن تقدمه من الرسل الأبرار صلوات الله عليهم، وانجاز ميعاد الله تعالى في خلقه حيث يقول : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب (٢) » بالتقاء الأمر فيه على نظام قدره بحركات السموات مساعدة وما دونها مقاربة وموافقة فتثور بذلك نار القدرة وينطق بذلك لسان الحق بأن لا اله الا من هو سبحانه متعال عن وصف بريته • ولا أمر الا له في دار حكمته فيذل له كل وجه ، كما قال تعالى :

(١) المصدر نفسه ص ٥١٧ .
(٢) سورة الزمر : اية ٦٩ .

« يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش (١) » يقول : يكون الناس في ذلك الزمان كلهم يذعنون له بالطاعة ، فتكون الجبابرة الذين لهم المنعة والشدة كالجبال أذلة مهينين بمنزلة الصوف في المواتاة فيحشر الناس للسؤال والحساب ، وتجمع الكافة للجزاء على مكتسب الاعمال « يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم (٢) » فيسألون كما قال تعالى : « فوربك لنسألنهم أجمعين • عما كانوا يعملون (٣) » ذلك يمين برب محمد الذي هو رفيع الدرجات واليه حفظ العالم وتأييد الرسل • المخصوص من بين الملائكة المقربين حول العرش بذلك ومنه يكون تأييد صاحب الدور السابع تحقيقا للأمر في السؤال والموافقة على ما فرضه الأنبياء من جهة الله سبحانه من السنن والمناسك والطاعات المكتوبة (٤) ••• » •

وبعد هذا التحليل العقلاني الفلسفي الذي يقدمه حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني معتمدا على تأويل بعض الآيات القرآنية ، يلتفت بدقة واتزان بأسلوبه الفلسفي الواضح المغلف بالرموز والاشارات فيقول (٥) : « ••• ولكل تأييد من السماء ، ويختص كل سابع منهم بقوة لا تنكر ، وتأييد من السماء لا يستحقر ، بموازنته عددا شريفا ، فيكون متمما لدور صغير في الدور الكبير الذي هو دور النطقاء (ص) المبعوثين يجري في مرتبته ـ التي هي القيام بحفظ العبادتين ظاهرا

(١) سورة القارعة : اية ٤ ، ٥ .
(٢) سورة الزلزلة : اية ٦ .
(٣) سورة الحجر : اية ٩٢ ، ٩٣ .
(٤) راحة العقل : الكرماني ص ٥١٨ .
(٥) راحة العقل : الكرماني ص ٥٧٥ .

وباطنا ، وارثا مقام النبي (ص) والأساس منهما ، وان كان غير مواصل بالوحي الأعلى التي هي مرتبة المبعوثين ـ مجرى الاساس القائم مقام المبعوث المؤيد الموفر حظه من البركات القدسية على ما بينه الله تعالى في كتابه بقوله : « الله نور السموات والأرض (١) » الآية ... ان الله تعالى هو خالق السموات والأرض ومنورهما بآثار صنعته وبارع حكمته ليخرج الى الكون بتأثيرها وفعلها ما كان في الحكمة أن يوجد من المواليد الطبيعية ، مؤيد رسله وحدوده الذين جعلهم من دينه بمنزلة السموات والأرض ، ومدهم بفيض بركاته لتحصل بمكانهم وتعليمهم وهدايتهم المواليد الروحانية « مثل نوره » يقول : ما أيد الله تعالى به النبي صلوات الله عليه وآله من « نور كلمته » وأفاض عليه من بركات وحدته ، وكان أصلا في معارفه ووحيا « كمشكاة فيها مصباح » المشكاة الكوة ، يقول تعليما وتشبيها وتفهيما : كما جعله الناطق مادة وخزانة للمعارف الالهية من الكتاب والشريعة والمناسك الوضعية التي هي كالخزائن للمعاني والمعالم فيها يقول : هذه الأمور التي هي كالخزائن « فيها مصباح » يقول : تتضمن معاني ومعارف الهية هي من أنوار الملكوت وان كانت لا تعرف بذاتها « المصباح في زجاجة » المصباح مثل على العلوم الالهية والزجاجة على الأئمة والأتماء (٢) ... » .

ويضيف بعد أن ينتهي من تأويل الآية قائلا : « ... من الدين وأمور الملة وأحكامها وما فيه من النجاة عليم خبير لا يشتبه عليه شيء منه فهم يقومون في أدوارهم الصغيرة بالهداية والتعليم

---

(١) سورة النور اية ٣٥ .
(٢) سورة ال عمران : اية ١٧٩ .

في حفظ الأمة والكتاب والشريعة في كل زمان كما قال : « انما أنت منذر ولكل قوم هاد (١) » بحسب الاستطاعة وبما يمتد اليهم من التأييد ويتم لهم من جهة الزمان بالمساعدة الى أن تتكامل سبعة خاتمة الأدوار سبعة ، فيكون الدور الكبير بها تاما ٠٠ وعلى ذلك كله الأدوار السبعة وبحكمه قال تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع • للكافرين ليس له دافع (٢) » الى قوله : « ونراه قريبا (٣) » يقول : كثر تعجب الذين يكفرون بحدود الله وآياته ممن ينذرهم من العذاب من جهة صاحب الدور السابع الذي هو اليوم الآخر عند تكامل الأدوار واقع بالكافرين الذين سقم اعتقادهم في توحيد الله تعالى وعبادته فيكفرون بأوامر الله تعالى وحدوده فيحصلون فيه وينفذ فيهم حكمه وفي من سبق من الأولين والآخرين « ليس له من دافع من الله » يقول : ما لصاحب الدور السابع مانع يمنعه بما قام فيه من امضاء حكم الله بأمر الله « ذي المعارج » يقول الله الذي له حدود يقومون (٤) بالهداية والتعليم كالمعارج لتابعيهم الى ملكوته والوسائل الى نيل رحمته مثل الانبياء المؤيدين والحاوين للفضائل والانوار ومن ذرأ الله تعالى من الأولين والآخرين « تعرج الملائكة والروح (٥) » يقول : ترتقي أنت يا محمد وحدود دورك وصاحب الدور السابع الذي هو الجامع للأدوار « في يوم » يقول : في دور كان عدد الحدود فيه من أولهم الى آخرهم الذي

---

(١) سورة الرعد : اية ٧ .
(٢) سورة المعارج : اية ١ ، ٢ .
(٣) سورة المعارج : اية ٨ .
(٤) راحة العقل : الكرماني ص ٥٧٨ .
(٥) سورة المعارج : اية ٥ .

سماهم « الروح » فقال : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا (١) » وهو صاحب القيامة خمسين حدا منهم ، هم أصحاب الأسابيع في الادوار السبعة ، سبعة في سبعة ، والجامع لشملهم مما تعدون أي ممن تعدونهم متمين لأدوارهم الصغار في الادوار الكبار ... ولكل منهم بحسب موازناتهم للأعداد الشريفة مقام تظهر فيه أفعال شريفة ، مثل الرابع الخاتم للدور الرابع الموازي من الأنبياء أرباب الادوار الكبار موسى عليه السلام ، المقابل من الأجسام العالية السيارة الشمس ، المضاهي من أيام العليل اليوم الرابع الذي هو البحران الصغير الذي يظهر في زمانه من القوة الالهية ما لم يكن لغيره ، ومثل السابع الخاتم للدور الصغير الى الدور الكبير السادس جميعا الذي يفعل في العالم (٢) ما هو الموعود به عند انتهاء الامر في قوانين الشرع الى الاختلال ، وفي معاقد الدين والحلال والحرام الى انحلال وعموم الفساد بكثرة أهل البدع والاختلاف ... » .

ويختتم الداعي الكرماني شروحاته وتأويلاته باثبات ان القيامة ستقوم بواسطة القائم المنتظر صاحب الدور السابع فيقول : « ذلك اشارة الى صاحب القيامة الذي هو خاتم الأدوار كلها بالقوة الالهية فيجمع الله به الصور ... فتقوم القيامة بذلك فتتزلزل الارض الطبيعية بأن تظهر ما في ضمنها من المعادن والكنوز كما ذكر وتكثر الخيرات ، والارض الدينية بأن تظهر الودائع العلمية المذكورة في الشرائع وتعمم العلوم

---

(١) سورة النبأ : اية ٣٨ .
(٢) راحة العقل : الكرماني ص ٥٧٦ .

والسعادات فتحصل العلوم قائمة بالفعل بكثرة أهلها (١) » ٠

وللدلالة على حدوث الكور الاعظم الذي يقود الى يوم القيامة ويرمز اليها يقول صاحب كتاب كنز الولد (٢) : « ان الكواكب المدبرات لعالم الكون والفساد ، سبعة أملاك بتجاسدها حدوث القرانات ، فباجتماعها في الحمل جميعا وجوب الكور الأعظم ، الذي هو ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة ٠ ثم قران يسمى القران الاكبر ، وهو خمسون ألف سنة دور الكشف ، ثم قران ، يسمى القران الاصغر ، وهو سبعة آلاف سنة دور الستر ، من قيام آدم والنطقاء من بعده الى القائم سلام الله عليه ٠ فكل دور ناطق تسعماية ٠٠٠ » ويقول في مكان آخر (٣) : « ٠٠٠ والقائم صلى الله عليه وآله وسلم الخلق الآخر بالحقيقة ومثل الامام ، فيكون أهل الأدوار السبعة كشخص واحد ، وتلك الصور المجتمعة كالأعضاء لتمام الشخص أوضح ذلك بقوله : كما أن بتلك الاعضاء يتم هذا الشخص الثاني الذي هو الخلق الآخر ، ويسري روح القدس فيها بانبعاث صاحب الدور السابع فيقوي الكل على العبور منمضائق الاجسام والحصولفي الصفحة الأعلى منها كما يسري روح الحس في الشخص عند عبورها من مضائق الأحشاء وحصول تمامية الدور السابع ، وخروج العلم الى الفعل في أيامه ٠٠٠ وانبعاث صاحب الدور السابع وقيامه بالفعل (٤) ٠٠ » ٠

---

(١) راحة العقل : الكرماني ص (٥٨٤ — ٥٨٥) .
(٢) كنز الولد : ابراهيم الحامدي ص ١٣٦ .
(٣) يلاحظ في نصوص حقانية اخرى ان مدة الدور خمسون الف سنة ؛ ودور القائم مع والده خمسين الف سنة دور كشف، ودور الستر سبعة الاف سنة ويأتيه بين الدوري نفترة مقدارها ثلاثة الاف سنة .
(٤) كنز الولد : الحامدي ص ٢٤١ .

ويرى الحامدي أن النطقاء هم أجزاء لنفس الكل ، ولا بد للجزء أن يصير يوما كاملا ، فلآدم جزء من النفس ، ولنوح جزءان ، ولابراهيم ثلاثة ، ولموسى أربعة ، ولعيسى خمسة ، ولمحمد ستة ، وللقائم سبعة أجزاء • « فاذا اجتمعت فيه الأنوار السبعة التي قلنا انها أجزاء صار بمنزلة النفس وقابلها وأخذ منها بغير واسطة ووصلت اليه المادة من الاول بتوسط العلة فقام مقام النفس (١) وارتقت النفس الى حد العقل ، وهي درجة سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ، وأيضا اذا انتقل القائم على ذكره السلام من هذا العالم الى العالم الروحاني بعد استقرار ما قرره وتدبير ما تدبره ، أمر ونهى من أمور ما يحتاج اليه كيف يشاء • لأن كوره طويل وليس الى صفته سبيل، ولا يجوز أن نذكر ما كان بعده الا رمزا أو اشارة دون التصريح، وفي هذا المقدار كفاية لمن عنده علم من الكتاب • فاذا انتقل الى العالم الروحاني يكون كلا لمن دونه ، وتلحق النفس بمنزلة الأولى •• وقد ذكرنا أن علم الانبياء جزء من علمه ، فاذا كملت الاجزاء كلها صار حده عظيما لا يوصف عظمة وعلو شأن ، فمن أجل ذلك قلنا انه الولد التام (٢) » •

ويعتمد صاحب كنز الولد وهو يناقش نظرية الأدوار (٣) والأكوار على ما قاله داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي في

---

(١) كنز الولد : الحامدي ص (٢٦٩ — ٢٧٠) .
(٢) كنز الولد : الحامدي ص ٢٧٠ . تحقيق الدكتور مصطفى غالب منشورات دار الاندلس بيروت .
(٣) يعتقد اهل الحق ان القائم هو اخر امام من ائمة دور محمد (ص) فيتصل به جميع المنتقلين من الائمة من ادم الناطق الاول الذي لم يكن له عزما ، الى وقت قيامه ، وتكون نفسه جاملة لهم ، ويصيرون واياه صورة نورانية واحدة قائمة .

هذا الموضوع فيقول : « قال سيدنا المؤيد في الدين في تصحيح ذلك : اذا انتقل القائم (ع٠م) ، من هـذا العالم الى العالـم الروحاني بعد استقرار ما يقرره ، وتدبير ما يدبره ، أمر ونهى من أمور ما يحتاج اليه كيف يشاء ، لأن كوره ودوره طويل ، وليس لصفته سبيل ، ولا يجوز أن نذكر ما كان بعده الا رمزا واشارة دون التصريح ٠٠٠ فاذا انتقل الى العالم الروحاني يكون كـُلا لمن دونه ، وتلحق النفس بمنزلة الأولى ، وفي هـذا كفاية لمن عنده علم من الابتداء ٠٠ (١) » ٠

وتأكيدا لنظرية أهل الحق بأن القيامة لن تقوم الا بواسطة التفاعل بين الكواكب عند تحركاتها في بروجها في عالم الاجرام ، يقول الحامدي : « ٠٠٠ وذلك أن يكون في كل عشرة آلاف سنة قيام صورة كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله : في كل عشرة آلاف سنة تكمل صورة ٠ وكذلك يكون دور الكشف في كل عشرة آلاف سنة قيام صورة تكون قائما بالفعل ، اذا كملـت الصورة التي هي الاعضاء الروحانية عند البرزخ ، كانت عند الوفاء ذلك القائم الذي يقوم ويصعد ويخلف صاحب المرتبـة العاشرة ، فيكون من دور الكشف خمس صور الى وفاء سبعـة وأربعين ألف سنة ، وقام العلم بالقوة ، وظهر الجهل بالفعل ، واندرس العلم الحقيقي واضمحل ، وتغطى واستتر في الثلاثة الاف سنة ٠

وقام قائم الستر بالكشف ٠٠٠ من الصعود الى آدوار النطقاء الآلاف من الخمسين ، وكان العلم طبيعيا فلسفيا ، وعطلـت الحدود ، وأشرك في توحيد المعبود ، ثم حدث دور الستر سبعة

---

(١) كنز الولد : الحامدي ص ١٦١ .

الستة الى البرزخ وتواردهم اليه ، ووقوفهم عنده ، وهم من صفو صفاء العالم ، قد صفتهم الامتحانات ، وصقلهم الأضداد بالعداوة ، وهذبتهم الأزمنة بالشرور الكائنات ، من أهل العمى والجهالات ، فهم أصفى وألطف ، وأعلى وأشرف ، فمن لم يمتحن بمحنة ، ولا يختبر بغمة .

وعلى ما وصفنا أن ولد الامام المنصوص عليه يقوم بدعوة أبيه ، وتكون الدعوة على سبيل الخلقة من حد السلالة الى الخلق الآخر ، دعوة الآخر أطهر وأشرف من دعوة الاول ،واتصال الامامة بالامام عند التسليم في آخر دقيقة منها عند الاول وأول دقيقة منها عند الثاني ، والمتحد الذي لا يغيب طرفة عين ، هو المسلم المتسلم ، على مرور العصور ، والأدوار والدهور ، فالمنمي للأجسام البشرية ، والقوالب الالفية ، للحدود المعنوية ، والفاعل لها المتولي لأمورها ، الشمس ، والزهرة ، والقمر ، بالاستحقاق والاتفاق ، وموجب العدل والحكمة (١) » .

وقبل أن ننتهي من الآراء العقلانية التي أوردها صاحب كتاب كنز الولد والتي تتصل بعمق في مسألة القيامة والقائم المنتظر ، نرى أن نورد ما رمز به الى صاحب الدور السابع الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، باعتباره الناطق السابع الذي يتمم شريعة جده النبي محمد (ص) ويبدأ بتكوين شريعة جديدة ، قال : « .. وأما محمد بن اسماعيل فهو متم شريعته وموفيها حقوقها وحدودها ، وهو السابع من الرسل ، وبيان ذلك في أدعية مولانا المعز السبعة ، وهو الذي يشهد له وللقائم محمد بن عبد الله المهدي ، لأنه قائم القيامة الوسطى ،

---

(١) كنز الولد : الحامدي ص ١٦٢ .

وقائم القيامة الأولى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وقائم القيامة الكبرى صاحب الكشف صلى الله عليه وسلم في أذانه بقوله : أشهد أن لا اله الا الله مرتين ، وأشهد أن محمدا رسول الله مرتين ، لأن الخلق يشهدون وهو يشهد لمتم دوره وشريعته ومنهاجه ، وهو منسوب الى عبد الله بن ميمون في التربية (١) »٠

رأينا في ضوء ما قدمناه من آراء :

الآراء والافكار التي استعرضناها في هذا الكتاب دون أن نعلق عليها الا بالقدر الذي يفرضه البحث العلمي علينا ، لا بد لنا من ابداء الرأي فيها في ضوء المنطلقات العقلانية العرفانية التي نؤمن بها ، فالامامة بالنسبة الينا ضرورة من ضروريات الحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والدينية ، تهدف الى قيادة البشرية نحو الامثل ، والافضل ، والاكمل ، لذلك نعتقد بأنها مفروضة من قبل الله سبحانه وتعالى حتى لا يبقى المسلمون دون امام يسير بهم وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، ويقودهم في الدروب الموصلة الى النجاة والخلاص ، فالامامة اذن أمر مفروض لطفا من الباري سبحانه وتعالى لاقامة الحجة على عباده٠

أما الغلو في الأئمة واعتبارهم من طينة غير الطينة التي جبل منها أبناء البشر فلا أقره مطلقا ، ولا يدور بخلدي أن أي امام من أئمة آل البيت المنصوص عليهم ، قد وافق سرا ، أو علنا ، على آراء ، وأفكار بعض الغلاة الذين ذهبوا فيهم مذاهب شتى ، لا تنسجم مع الحقيقة والواقع ٠

---

(١) كنز الولد : الحامدي ص ٢١١ ٠

أما ما أوردناه من آراء حول المهدي المنتظر باعتباره من المسائل الهامة المرتبطة بقيام الساعة ، فلا يهمنا ما ينسب الى عقيدة الشيعة الامامية الاثني عشرية ، أو غيرها من الأديان والمذاهب التي قالت بهذا الرأي ، ولا الاقوال ، والأحاديث ، والروايات ، والبشارات ، التي تشابكت وتناقضت حتى أصبح من الصعب الحكم فيها ، في ضوء الامكان المنطقي ، أو الفلسفي ، أو العملي .

فاذا أخذنا بما ورد في الجفر الاسود ، أو الاحمر ، أو بالصحيفة التي طولها سبعون ذراعا بذراع الرسول ، أو بالجفر الجامع ، أو غيرهما من الكتب والمصنفات التي تتحدث عن المهدي المنتظر ، أو المخلص والمنقذ ، لطال بنا المطاف ولما توصلنا الى أية نتيجة تدلنا على مسالك الطريق الصحيح .

ونحن وان كنا لا نؤمن بالأساطير والخرافات ، والروايات الخيالية الوهمية ، فلا بد لنا من الاقرار والاعتراف بأن اليوم المحدد لقيام الساعة ، وظهور القائم المنتظر ، قد رتب ونظم وفق تحركات الكواكب وتفاعلاتها بارادة الباري سبحانه وتعالى ، الذي رتب ونظم العالمين العلوي والسفلي بدقة وانسجام ، لذلك نرى أن القيامة لن تقوم الا اذا اكتملت الأدوار ، وتمت الأكوار ، وانتقلت الكواكب والأفلاك الى مراكزها بموجب العدل والحكمة .

« تم الكتاب »

فهرست